المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الدراسات العليا
كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الموضوع

رفع عيسى عليه السلام ونزوله في آخر الزمان

رسالة

مقدمة إلى كلية أصول الدين للحصول على الإجازة العليا «الماجستير»

إعداد

الطالب عبد العزيز بن أوغ الجبلي

بإشراف

الشيخ عبد الله الخويطر

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

لعام ١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ

رفع عیسیٰ علیہ السلام

ونزولہ فی آخر الزمان

بسم الله الرحمن الرحيـــم

المقدمـــة :

الحمد لله الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون . نحمد الله تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بـــه من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا. من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فـــلا هادى له . واصلى واسلم على رسوله الكريم نبينا محمد خاتم الانبيـــاء والمرسلين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين العاملين بسنته والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

قال الله تعالى (١) (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومـــن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالـــت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر. قال كذلك الله يخلق ما يشـــاء. اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) .

وقال تعالى (٢) : (يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق . انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاهـــا الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انمـــا الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد ..)

وقال تعالى (٣) : (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه مـــن تراب ثم قال له كن فيكون) .

وقال تعالى (٤) : (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله

---

(١) سورة آل عمران ٤٥-٤٧
(٢) سورة النساء ١٧١
(٣) سورة آل عمران ٥٩
(٤) سورة النساء ١٥٧-١٥٨

وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ـ بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) .

وقال تعالى (١) : (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون . وقالوا أءالهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا . بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه و جعلناه مثلا لبنى اسرائيل. ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون . وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها . .)

اما بعد . فان نظام الدراسات العليا فى كلية اصول الدين بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية قد قرر بأنه لا بد لكل طالب ان يقدم بحثا علميا بعد اجتيازه مرحلة التمهيد للحصول على الاجازة العليا " الماجستير" .

و حيث أننى طالب فى هذه الكلية فى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة وقد اجتزت المرحلة التمهيدية بعون الله وتوفيقه كان لزاما علىّ ان اقوم بتقديم احد البحوث العلمية وفقا لهذا النظام . فدعوت الله تعالى ان يوفقنى ويرشدنى الى موضوع ينتفع به المسلمون فى عقيدتهم ودينهم . ثم بدأت ابحث وأطالع كثيرا من الكتب الاسلامية و كتب الديانات الأخرى لاختيار الموضوع المناسب للبحث العلمى . و بمشيئة الله تعالى وقع اختيارى على موضوع له اهمية فى العقيدة الاسلامية . وهذا الموضوع سميته بالتحديد :

" رفع عيسى عليه السلام و نزوله فى آخر الزمان "

و رغم ان الموضوع كان فى الكلام على رفع عيسى عليه السلام ونزوله فى آخر الزمان الا اننى قد تعرضت فيه ايضا للكلام عن شخصيته وحياته عليه السلام. و قد تكلمت عن البشارة بظهوره و عن حمله وولادته بدون أب و عن كلامه

---

(١) سورة الزخرف ٥٧-٦١

روحه او رفع منزلته ومكانته و تأويل نزوله بظهور مثيله كما فعله القاديانيون والبهائيون او تأويل نزوله و حكمه فى الأرض بغلبة روحه و سر رسالتـــه على الناس كما فعله بعض المسلمين المتأخرين و كذلك شككوا فى تواتر احاديث نزول المسيح و فى وجوب الأخذ باحاديث الاحاد فى امور العقيدة و غيرها من الشبهات. فانخدع بها كثير من الناس الجهلاء. و هذا ما يجب مناقشته واثبات بطلا نه و بيان الرأى الصحيح فيه .

هذه الاسباب و غيرها مما جعلنى أختار هذا الموضوع واكتب فيـــه . فتكلمت فيه عن حقيقة عيسى عليه السلام و خلقه و شخصيته و عن مسألـــة رفعه و نزوله فى آخر الزمان معتمدا فى ذلك على الكتاب والسنة واقـوال العلماء والوقائع التاريخية و غيرها مع مناقشة الآراء المخالفة لذلك لاثبا ت بطلا نها وانحرافها آملا ان يكون هذا البحث المتواضع قد اجاب و سيجيب على كثير من التساؤ لا ت والشبهات او الشكوك التى تدور فى اذهان بعـض الناس حول الموضوع .

واما الخطة التى سرت عليها فى هذا البحث هى أنى قد قسمت الموضوع بعد المقدمة الى اربعة ابواب و تحتها فصول و مباحث ثم الخاتمة .

الباب الأول ـــــــ حياة المسيح عليه السلام و نبوته .

و فيه اربعة فصول :

الفصل الأول ـ ميلاد المسيح عليه السلام و يشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول : المراد من اطلاق كلمة المسيح .

المبحث الثانى : البشارة بالمسيح والنفخ فى مريم.

المبحث الثالث : حمله وولادته .

المبحث الرابع : اتهام الناس مريم وكلام المسيح فى المهد تبرئة لها .

المبحث الخامس : معنى كون المسيح كلمة الله وروحا منه .

الفصل الثانى : نشأة عيسى عليه السلام و تربيته ،

الفصل الثالث : صفة عيسى عليه السلام وشمائله .

الفصل الرابع : نبوة المسيح عليه السلام ودعوته .

الباب الثانى ـــــــ المسيح فى نظر اليهود والنصارى :

و فيه فصلان :

الفصل الأول : المسيح فى نظر اليهود

الفصل الثانى : المسيح فى نظر النصارى

الباب الثالث ـــــــ توفى المسيح عليه السلام ورفعه

و فيه فصلان :

الفصل الأول : آراء اليهود والنصارى فى صلب المسيح واسبابه و نهايته .

الفصل الثانى : رفع المسيح وموقف الاسلام من دعوى صلبه و يشمل الكلام فى هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول : انكار المسلمين صلب المسيح وبيان ادلتهم و توجيهاتهم .

المبحث الثانى : رفع المسيح الى السماء حيا روحا وجسدا .

الباب الرابع : ـــــــ نزول المسيح عليه السلام فى آخر الزمان و حكمة ذلك

و يشمل الكلام فى هذا الباب على خمسة فصول :

الفصل الأول : آراء اليهود والنصارى فى نزول المسيح

الفصل الثانى : رأى بعض الفرق الضالة كالقاديانية و غيرها فى نزول المسيح .

الفصل الثالث : عقيدة المسلمين فى نزول المسيح وموضع نزوله والادلة على ذلك .

الفصل الرابع : شبه من انكر من المسلمين نزوله و مناقشتها .

الفصل الخامس: حكمه بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد نزوله .

ثم الخاتمة : وقد تكلمت فيها عن النتائج التى توصلت اليها فى هذا البحث أو الخلاصة التى تستخرج منه .

هذا وقد بذلت فى بحث هذا الموضوع مجهودا كبيرا استغرق وقتا طويلا . ذلك لان الموضوع عظيم الخطر فسيح الارجاء فيحتاج الى اهتمام كبير و بحث عميق . وقد اعتمدت فى كتابته بقدر الامكان على المراجع الأصلية القديمة والكتب المعتبرة عند العلماء واولاها القرآن الكريم و تفسيره والاحاديث وشروحها . ويليها كتب العقيدة ثم كتب التاريخ و كتب الفرق و غيرها من الكتب القديمة المعتبرة . وراجعت أيضا الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى كالعهد القديم والعهد الجديد و غيرهما من الكتب التى اعتمدوا عليها وذلك عند الكلام عن آرائهم فى المسيح عليه السلام او عند الرد عليهم . كما اعتمدت ايضا على الكتب الحديثة و بعض المجلات وقطفت منها ما وجدت فيها من افكار جيدة تساعد على اتمام هذا البحث والزيادة من قيمته .

فاذا تعذرت الحصول على المراجع الاصلية لجأت الى المراجع الثانوية . فعندما تكلمت عن آراء القاديانية والبهائية فى نزول المسيح ، اعتمدت فيه على كتاب " ماهى القاديانية " لابى الاعلى المودودى . وكتاب " القاديانى والقاديانية " لأبى الحسن الندوى و كتاب " القاديانية " لاحسان الهى ظهير . وكتاب " البهائية " للسيد محب الدين الخطيب . وكتاب " حقيقة البابية والبهائية " للدكتور محسن عبد الحميد و غيرها من الكتب التى ألفها علماء المسلمين عن القاديانية او البهائية . و هذا المراجع كلها ثانوية . والمفروض فى البحث العلمى ان نعتمد على الكتب التى الفها القاديانيون والبهائيون انفسهم عند الكلام عن آرائهم ، ولكن تعذر علىّ الحصول على كتبهم و قد بذلت جهدا لا بأس به للبحث عنها فى كثير من المكتبات الكبرى فى الرياض و فى مكة المكرمة و غيرها من المكتبات فلم أجدها . فهذا عذرى " لا يكلف الله نفسا الا وسعها "(١)

---

(١) سورة البقرة ٢٨٦

الباب الأول

حياة المسيح عليه السلام و نبو ته

وفيه

أربعة فصول

الفصل الأول :

ميلاد المسيح عليه السلام

الفصل الثاني :

نشأة عيسى عليه السلام و تربيته

الفصل الثالث :

صفة عيسى عليه السلام وشمائله

الفصل الرابع :

نبوة المسيح عيسى عليه السلام ودعو ته .

*

اطلاقها على عيسى عليه السلام ، ولها تاريخ يعود الى عصورهم الأولى .

قال محمد عنبر في كتابه (١) (ولفظ "المسيح" له تاريخ فقد كان الأحبار والانبياء يمسحون مسحاء و تنهى التوراة عن المساس بهم (لا تمسوا مسحائي ولا تؤذوا أنبيائي .) (٢)

وكان بنو اسرائيل يعتقدون ان المسحاء هم المختارون والمباركون من السماء منقذون و مخلصون لشعب اسرائيل و هم محترمون لا يمسهم احد بضر ولا أذى .

و فكرة المسيح عند بني اسرائيل قد بدأت بمسح الكهنة والملوك والانبياء بالزيت المقدس . ويرجع تاريخها الى اجيالهم الاولى اى منذ عهد ابيهم يعقوب عليه السلام حيث اعتبر المسح بالزيت المقدس من اعظم الشعائر لتقديس و تكريم الناس او الاماكن . فكل ما يمسح بالزيت يصير مقدسا لله حسب عقيدتهم . ولا يمسح بهذا الزيت المقدس من الناس سوى الكهنة والملوك والأنبياء . لذلك سمى هؤلاء مسحاء الله اى المختارين والمباركين من الله (٣) .

وجاء في سفر التكوين (٤) قال : (١٨- ثم بكر يعقوب في الغداة وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه واقامه نصبا و صب على رأسه دهنا -١٩- وسمى ذلك الموضع بيت ايل وكان اسم المدينة اولا لوز) .

و من هنا صار المسح بالزيت عادة متوارثة في بني اسرائيل كشعار للتقديس والتكريم من جيل الى جيل . وكان هارون عليه السلام وشاول والمسيح ونبي الله داود و سليمان ممن مسحوا بالدهن المقدس فلقب هؤلاء مسحاء .

---

(١) بين عيسى و محمد ص ١٩-٢٠

(٢) سفر الايام الاول الفصل ١٦ الفقرة ٢٢ وفي الاصل "ان لا تمسوا مسحائي ولا تؤذوا انبيائي"

(٣) انظر النصرانية والاسلام محمد عزت الطهطاوى ص ٢٢٠ - ٢٢١ بتصرف .

(٤) الفصل ٢٨ الفقرة ١٨ - ١٩

جاء في سفر الاخبار ان الله امر نبيه موسى بأن يمسح بالزيت المقدس الهيكل والمذبح وغيرهما لتقديسها ثم امر بأن يمسح شقيقه هارون عليه السلام مسيحا مقدسا للرب وفعل موسى ما امره الله .

ونصه (١) :

(١٠ اخذ موسى دهن المسح ومسح المسكن وجميع ما فيه وقدسه -١١- ونضح منه على المذبح سبع مرات ومسح المذبح وجميع آنيته والمغتسل ومقعده لتقديسها -١٢- وصب من دهن المسح على رأس هارون ومسحه لتقديسه -١٣- ثم قدم موسى بني هارون والبسهم اقمصة وشدهم بمناطق وعصب لهم قلانس كما امر الرب موسى) .

ورد في سفر الملوك الأول ان الله قد امره ان يمسح شاول ليكون مسيحا مخلصا لشعب اسرائيل (٢) :

(١٦ - غدا في مثل هذه الساعة أرسل اليك رجلا من أرض بنيامين فامسحه قائدا على شعبي اسرائيل فيخلص شعبي من أيدي الفلسطينيين لأني التفت الى شعبي لأن صراخهم قد انتهى اليّ -١٧- فلما رأى صموئيل شاول قال له الرب هو ذا الرجل الذي كلمتك عنه هذا يضبط شعبي -١٨ - فدنا شاول من صموئيل وهو في وسط الباب وقال اخبرني اين بيت الرائي)

فأخذ صموئيل قارورة الدهن وصب على رأسه وقبله وقال :

ان الرب قد مسحك قائدا على ميراثه) (٣)

كما ورد في سفر الملوك الثالث ان الله قد أمر نبي ايليا بأن يمسح

---

(١) سفر الاخبار ص ٨ ف ١٠-١١-١٢-١٣

(٢) سفر الملوك الاول فصل ٩ فقرات ١٦-١٨

(٣) نفس المرجع فصل ١٠ ف ١

بعض الاشخاص ملوكا اللهم الا اليشع نيمسحه نبيا على بنى اسرائيـــــل ونصه (١) :

(١٢ .... وبعد النار صوت نسيم لطيف -١٣- فلما سمع ايليا ستر وجهه بردائه وخرج ووقف بمدخل المغارة فاذا بصوت اليه يقول ما بالك ههنا يا ايليا -١٤- فقال انـــى غرت غيرة للرب اله الجنود ولأن بنى اسرائيل قد نبذوا عهدك وقوضوا مذابحك وقتلوا انبياءك بالسيف . وبقيـــت انا وحدى وقد طلبوا نفسى ليأخذوها -١٥- فقال لـــــه الرب امض فارجع فى طريقك نحو برية دمشق فاذا وصلت فامسح حزائيل ملكا على آرام -١٦- وامسح يا هو بن نحشى ملكا على اسرائيل وامسح اليشاع بن شافاط من آبـــــل محولة نبيا بدلا منك) .

ونبى الله داود عليه السلام ايضا ممن مسح بدهن البركة وصار مسيحـــا جاء فى سفر الملوك الثانى (٢) قال :

(واقبل جميع شيوخ اسرائيل الى الملك فى حبرون فقطـــع معهم الملك داود عهدا فى حبرون امام الرب ومسحوا داود ملكا على اسرائيل - ٤ - وكان داود ابن ثلاثين سنة يوم ملك وملك اربعين سنة .)

وبعد ان توفى داود تولى ابنه سليمان ملكا على اسرائيل وصار مسيحـــا ايضا . كما بين ذلك سفر الملوك الثالث حيث قال (٣) :

(وأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخباء ومسح سليمان) .

---

(١) سفر الملوك الثالث فصل ١٩ فقرة ١٣-١٤-١٥-١٦
(٢) فصل ٥ فقرة ٣ - ٤ ٠٥
(٣) فصل ١ فقرة ٣٩

وهكذا اشترك في لقب المسيح عدد كثير من ابناء وملوك بني اسرائيل قبل اطلاقه على عيسى عليه السلام.(١)

ومما تقدم تبين ان كلمة "المسيح" مأخوذة من المسح بالزيت المقدس. فالذي يمسح بهذا الزيت صار مسيحا ويكون مقدسا ومباركا من الله والمسح بالزيت من اعظم شعائر التقديس والتكريم. هكذا كان مدلول لفظ "المسيح" عند اطلاقه على احد من الناس كما هو معروف عند بني اسرائيل قبل اطلاقه على عيسى بن مريم عليهما السلام.

اطلاق كلمة المسيح على عيسى ابن مريم عليهما السلام:

علمنا فيما سبق ان المسحاء عند بني اسرائيل هم الذين مسحوا بدهن المقدس فصاروا مسحاء ومباركين من الله. ولكن هل كان عيسى عليه السلام ايضا مسح بالدهن كما مسح هؤلاء المسحاء؟. الجواب على ذلك نقول انه ليس هناك سجل من التاريخ الموثوق به ينبأ ان عيسى عليه السلام مسح بالدهن. ولهذا اختلف العلماء واهل اللغة في المراد من اطلاق كلمة "المسيح" على عيسى عليه السلام وسببه كما سنبينه فيما يلي: ونبدأ أولا بأقوال اهل اللغة ثم نتبعها بأقوال العلماء والمفسرين:

كلمة "المسيح" لغة الصديق وبه لقب عيسى عليه السلام لصدقه وقيل لأنه سائحا في الارض لا يستقر وقيل لانه يمسح على العليل فيبرأ باذن الله وقيل لانه مسح بالبركة اولانه ممسوح بالدهن وغيرها من الأقوال.

والمسيح ايضا الضليل اذا كان مقيدا بالرجال يقال مسيح الضليل وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح العين.

---

(١) راجع النصرانية والاسلام محمد عزت الطهطاوي ص٢١٩-٢٢٠ بالاختصار والتصرف.

و تطلق كلمة المسيح مجازا على معانى كثيرة . منها الحسن الوجه - الكثير السياحة - الدرهم الاطلس - الكثير الجماع و غيرها .

جاء فى معجم متن اللغة لاحمد رضا قال (١) :

(المسيح الصديق لقب سيدنا عيسى بن مريم مسيح الهدى قال ابو بكر : واللغويون لا يعرفون هذا ولعله كان يستعمل فى الازمان فدرس فيما درس من الكلام قال : وقال الكسائى فدرس من كلام العرب كثير . و قال الازهرى : هو فى التوراة مشيحا فَعَرَّبَ و غَيَّرَ كما قيل موسى واصله موشى و " المسيح " الضليل ولا يطلق عليه الا مقيدا بالدجال) .

و جاء فى لسان العرب لابن منظور (٢) قال :

(قال ابن سيده " والمسيح عيسى بن مريم صلى الله على نبينا و عليهما قيل سمى بذلك لصدقه و قيل سمى به لأنه كان سائحا فى الأرض لا يستقر و قيل سمى بذلك لأنه كان يمسح بيده على العليل والاكمه والأبرص فيبرئه باذن الله . . وقال شمر " سمى عيسى المسيح لأنه مسح بالبركة . وقال ابو العباس " سمى مسيحا لأنه كان يمسح الأرض اى يقطعها . وروى عن ابن عباس انه كان لا يمسح بيده ذا عاهة الا برأ . و قيل سمى مسيحا لانه كان امسح الرّجل ليس لرجله أخمص و قيل سمى مسيحا لأنه خرج من بطن امه ممسوح بالدهن) .

وقال أحمد على المقرى الفيومى (٣) :

(والمسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام معرب واصله

---

(١) م ٥ ص ٣٦٣
(٢) م ٢ ص ٥٩٤
(٣) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى ج ٢ ص ٧٨٦

واصله بالشين معجمة . والمسيح الدجال صاحب الفتنة العظمى.

قال ابن فارس : " المسيح " الذى مسح احد شقى وجهه ولا عين له ولا حاجب . وسمى الدجال مسيحا لانه كذلك ومنه درهم مسيح اى اطلس لا نقش عليه . وقد جمع الشاعر بين الاسمين فقال : المسيح يقتل المسيحا ") .

و تكلم محمد مرتضى فى كتابه " تاج العروس " كلا ما طويلا عن هذه الكلمة وألخصه فيما يلى :

والمسيح عيسى بن مريم لبركته اى لانه مسح بالبركة اولان الله مسح عنه الذنوب اولانه مسحت عنه القوة الذميمة وسائر الاخلاق الذميمة والمسيح " الدجال لشؤمه " ولا يجوز اطلاقه عليه الا مقيدا به فيقال " المسيح الدجال " . والمسيح والمسيحة (القطعة من الفضة " . عن الأصمعى قيل وبه سمى عيسى لحسن وجهه والمسيح " العرق " قال لبيد : فراش المسيح كالجمان المثقب . والمسيح " الصديق" بالعبرية وبه سمى عيسى عليه السلام . ومن المجاز عن الاصمعى " المسيح " الدرهم الأطلس وهو الذى لا نقش عليه والمسيح " الممسوح بمثل الدهن " قيل وبه سمى عيسى لأنه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن . والمسيح ايضا " الممسوح بالبركة " قيل وبه سمى عيسى عليه السلام لأنه مسح بالبركة والمسيح الممسوح بالشؤم " وقيل وبه سمى الدجال ومن المجاز "المسيح " هو الرجل الكثير السياحة قيل وبه سمى عيسى عليه السلام لأنه مسح فى الأرض بالسياحة ومن المجاز " المسيح " الرجل الكثير الجماع كالماسح " قيل وبه سمى الدجال قاله ابن فارس . ومن المجاز المسيح هو الرجل الممسوح الوجه ليس على احد شقى وجهه عين

ولا حاجب و" المسيح " المنديل الاخشن لكونه يمسح بـه الوجه و" المسيح " الكذاب كالماسح والممسح (١)

تلك معانى كلمة " المسيح " واسباب اطلاقها على عيسى عليه السلام كما يراه علماء اللغة . فيبدو ان هذه الكلمة تأتى بمعان كثيرة ولذلـك اختلفوا فى تسمية عيسى بها على اقوال كما ذكرناه آنفا .

والآن ننظر ايضا الى اقوال بعض المفسرين حول معانى هذه الكلمة واسباب اطلاقها على عيسى عليه السلام لعله يزيدنا فهما ووضوحا .

قال ابن جرير الطبرى (٢) :

(واصل المسيح الممسوح صرف من مفعول الى فعيل وسماه الله بذلك لتطهيره اياه من الذنوب . وقيل مسح مـن الذنوب والادناس التى تكون فى الآدميين كما يمسح الشىء من الأذى الذى يكون فيه فيطهر منه . ولذلك قال مجاهد ومن قال مثل قوله " المسيح " الصديق . وقد زعم بعض الناس ان اصل هذه الكلمة عبرانية او سريانية مشيحا فَعُرِّبَـتْ فقيل المسيح كما عُرِّبَ سائر اسماء الانبياء التى فى القـرآن مثل اسمعيل واسحق وموسى وعيسى) .

وجاء فى تفسير ابن كثير (٣) فى تسمية المسيح قال :

(قال بعض السلف لكثرة سياحته وقيل لانه كـان مسيح القدمين لا اخمص لهما وقيل لأنه كان اذا مسح احدا من ذوى العاهات برىء باذن الله تعالى) .

وقال الشوكانى (٤) :

(والمسيح اختلف فيه ماذا أخذ ؟ : فقيل من المسـح

---

(١) انظر تاج العروس محمد مرتضى الزبيدى م٢ ص ٢٢٤-٢٢٥ بالاختصار
(٢) تفسير الطبرى ج ٦ ص ٣٥
(٣) تفسير القرآن العظيم م ١ ص ٣٦٣- ٣٦٤
(٤) فتح القدير ج ١ ص ٣٤١

لكثرة سياحته سمى به اولأنه ما مسح ذا عاهة الا برأ).

أى باذن الله تعالى .

وجاء فى تفسير القاسمى (١) فى أصل كلمة المسيح قال :

(قال البقاعى واصل هذا الوصف انه فى شريعتهم من مسحه الامام بدهن القدس كان طاهرا متأهلا للملك والعلم والولايات الفاضلة مباركا . فدل سبحانه على ان عيسى عليه السلام ملازم للبركة الناشئة عن المسح وان لم يمسح بالدهن انتهى) .

وقال عبدالوهاب النجار (٢) :

(والمسيح فى العبرية يطلق بالاشتراك على النبى والملك وليس المراد انه سيصير ملكا على بنى اسرائيل . بل هو اسم كما سمى ولدك سلطانا او أميرا . وقد يكون المراد انه يأتيهم بملكة الاخلاق والفضائل والرحمة وانه يكون فى هذه الفضائل رأسا . وقد يكون المراد بكونه مسيحا انه يكون نبيا) .

بعد أن تتبعنا اقوال أهل اللغة والمفسرين فوجدنا انهم اختلفوا فى المعنى المراد من اطلاق كلمة " المسيح " على عيسى عليه السلام و تسميته بها على اقوال . والأقرب عندى هو حمل كلمة المسيح بمعنى المبارك كما يقول الزمخشرى و من معه . ذلك لأن الله سبحانه و تعالى قد باركه فى جميع ادوار حياته كما قال الله تعالى حكايته عنه انه يقول (٣) " وجعلنى مباركا اينما كنت " . او بمعنى انه مسح بالتطهير من الذنوب باعتبار انه سيكون نبيا رسولا فيكون طاهرا من الذنوب .

---

(١) محاسن التأويل ج ٤ ص ٨٤٤

(٢) قصص الأنبياء ص ٣٧٦

(٣) سورة مريم ٣١

واما القوى بأن تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح لكثرة سياحته او لأنه مسح العليل فبرأ باذن الله او لانه مسح بالدهن او لأنه مسوح الاقدمين ففيه نظر . لأن ما ذكر حدث بعد ولادته وبعد ظهوره الى الدنيا مع ان اللقب بالمسيح يكون قبل ظهوره الى الدنيا بل تكون عند البشارة بظهوره .

كما قال الله تعالى (١) : (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين) .

تبين من هذه الآية ان تسميته بعيسى عليه السلام ولقبه بالمسيح كانت حين بشارة الملائكة مريم بعيسى عليه السلام . وبناءا على هذا ان كل ما حدث فى عيسى عليه السلام وما فعله بعد ولادته من كثرة سياحته ومسحه للمريض فبرأ باذن الله وغيرهما لا يكون سببا فى لقبه بالمسيح لأن ما ذكر حدث بعد ولادته واما اللقب بالمسيح كان قبل ولادته . لذلك اقول ان حمل كلمة "المسيح" بمعنى المبارك ارجح واقرب الاقوال الى الصواب والله اعلم .

---

(١) سورة آل عمران ٤٥

(رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) (١)

وكانت نتيجة هذه النية المخلصة والرغبة الايمانية التى نبعت عن قلب الأم وغمرت وجدانها ان تقبل الله الوليدة بقبول حسن وخصها بمميزات لم تكن لغيرها ، وانبتها نباتا حسنا وأيدها بالكرامات واعدها لاستقبال نفحة الروح وكلمة الله بمولد عيسى بن مريم دون بعل ولا زوج وجعلها خير نساء العالمين . وعاشت طول حياتها فى حضانة الطهر والسمو .

ومن مميزات مريم عليها السلام وخصائصها انها لا يمسها الشيطان عند ولادتها . وهذه الميزة خصها الله تعالى لمريم وابنها عيسى عليهما السلام . ولم توجد هذه الميزة فى احد من الناس سواهما .

عن سعيد بن المسيب قال قال ابو هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(ما من بنى آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة " وانى اعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم ") رواه البخارى (٢)

ولما قدمتها امها الى البيت المقدس ودفعتها الى العباد والربانيين تنفيذا لنذرها تخاصموا فى كفالتها فلجأوا الى القرعة فقرعهم زكريا فله الحق فى كفالتها . وقد ذكر الله تعالى فى كتابه الكريم هذه الحادثة وقال (٣) (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) .

---

(١) سورة آل عمران ٣٦-٣٧
(٢) صحيح البخارى ج ٤ كتاب الانبياء باب ٤٤ ص ١٣٨
(٣) سورة آل عمران ٤٤

وفى آية اخرى قال (١) (وكفلها زكريا) اى جعل الله زكريا كافلا لمريم لانه اكثرهم علما وافضلهم عملا واخلاقا ولأنه رسول الله فتقبس منه علما واخلاقا وعملا وتجعله قدوة فى سلوكها وسيرها . وكان عمران "ابو مريم" قد توفى وام مريم حامل بها كما ذكره الطبرى فى تفسيره (٢) ولذلك تخاصموا فى كفالتها حتى اضطرهم اللجوء الى القرعة .

وقد بين الطبرى كيفية القرعة وقال (٣) :

(انه بلغنا ان زكريا وخصومه فى مريم اذ تنازعوا فيها أيهم تكون عنده تساهموا بقداحهم رموا بها فى نهر الأردن فقال بعض أهل العلم رتب قدح زكريا فقام فلم يجر به الماء وجرى بقداح الآخرين الماء . فجعل الله ذلك لزكريا انه احق المتنازعين فيها . وقال آخرون : " بل صعد قدح زكريا فى النهر وانحدرت قداح الاخرين مع جرية الماء وذهبت فكان ذلك له علما من الله فى انه اولى القوم بها) .

وقد اتى ابن كثير ايضا فى تفسيره بقصة هذه القرعة وقال (٤) :

(وقد ذكر عكرمة ايضا والسدى وقتادة والربيع بن أنس وغير واحد دخل حديث بعضهم ببعض انهم ذهبوا الى نهر الأردن واقترعوا هنالك على ان يلقوا اقلامهم فأيهم يثبت فى جرية الماء فهو كافلها . فالقوا اقلامهم فاحتملها الماء الا قلم زكريا فانه ثبت . ويقال انه ذهب صاعدا يشق جرية الماء وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وامامهم ونبيهم صلوات الله وسلامه عليه وسائر النبيين) .

---

(١) سورة آل عمران ٣٧

(٢) جاء فى تفسير الطبرى عن محمد بن اسحق ان عمران توفى وام مريم حامل بمريم . فهى جنين فى بطنها . انظر ج ٣ ص ٢٣٥

(٣) تفسير الطبرى ج ٣ ص ٢٤١ - ٢٤٢

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٦٣

عاشت مريم عليها السلام تحت كفالة زكريا و تربت تربية دينية و تخلقت بالاخلاق الكريمة. وكانت تقضي اكثر ايامها ولياليها في خدمة البيت المقدس والعبادة لله تعالى حتى اظهرها الله بالكرامات التي لم توجد مثلها في غيرها. فعندما جاء اليها زكريا و هي في المحراب و جد عندها رزقا لا يوجد في ذلك الوقت. فعجب زكريا من ذلك فسألها "انى لك هذا يا مريم ؟ فأجابت : " هو من عند الله / ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . قال الله تعالى حكاية عن هذه القصة (١) :

(.... وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . قال يا مريم انى لك هذا . قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

جاء في تفسير ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا " قال (٢)

(قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وابو الشعثاء وابراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدى " يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف . وعن مجاهد " وجد عندها رزقا" اى علما او قال صحفا فيها علم رواه ابن ابى حاتم والأول أصح) .

وجاء في الدر المنثور (٣) في وصف هذه القصة قال :

[واخرج عبدالله بن احمد في زوائد الزهد عن نوف قال : " كانت مريم عليها السلام فتاة بتولا وكان زكريا زوج أختها كفلها فكانت معه . فكان يدخل عليها يسلم عليها فتقرب اليه فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء .

---

(١) سورة آل عمران ٣٧
(٢) انظر ج ٢ ص ٣٦٠
(٣) السيوطي ج ٤ ص ٢٦٦

فدخل عليها زكريا مرة فقربت اليه بعض ما كانت تقرب
قال " يا مريم انى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب) .

ولا شك ان هذه الكرامة وهبها الله اياها لطهارتها من الآثام وبعدها عن ارتكاب ما نهى الله عنه ولاستمرارها فى العبادة وخدمة البيت المقدس .

هكذا نشأت مريم فى جو من التقوى والطاعة مكلوءة بعناية الله وهدايته . وكانت الملائكة تأتى اليها تخبرها بأن الله اصطفاها وطهرها من الادناس والارجاس وتحثها على العبادة والقنوت لله . كما قال الله تعالى (١) :

(واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى
مع الراكعين) .

وكانت نتيجة ترغيب الملائكة اياها بالقنوت والركوع والسجود ان زادت جهودها فى القيام بالعبادة حتى اصيب بعض اعضائها بالآلام . وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره قال :(٢)

قال مجاهد : (كانت مريم عليها السلام تقوم حتى تورمت كعباها والقنوت هو طول الركوع فى الصلاة يعنى امتثالا لقوله تعالى " يا مريم اقنتى لربك " قال الحسن يعنى " اعبدى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين " اى كونى منهم .وقال الاوزاعى : ركدت فى محرابها راكعة وساجدة وقائمة حتى نزل ماء الاصفر فى قدميها رضى الله عنها وارضاها .

---

(١) سورة آل عمران ٤٢-٤٣
(٢) انظر ج ١ ص ٣٦٣

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمتها من طريق محمد بن يونس الكديمى وفيه مقال : ثنا على بن بحر بن برى ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن يحى بن ابى كثير فى قوله " يا مريم اقنتى لربك واسجدى " قال سجدت حتى نزل الماء الاصفر فى عينيها) .

هكذا كانت مواظبة مريم عليها السلام فى العبادة و ثباتها عليها بالقيام والركوع والسجود حتى تألم بعض اعضائها . فلا عجب اذًا لاصطفاء الله اياها على نساء العالمين بما عطته . و تأييدها بالكرامة العظمى و هى اعدادها لاستقبال كلمة الله والروح منه بمولد عيسى عليه السلام على غير مثال فى الخلق .

نزول الملائكة على مريم للبشارة بالمسيح والنفخ فيها :

فلما بلغت مريم مبلغ النساء وصلحت للحمل والولادة جاءت اليها الملائكة تخبرها ان الله يبشرها بأنه سيوجد منها ولد يكون وجوده بكلمة من الله تعالى اسمه المسيح عيسى ابن مرين وجيها فى الدنيا والاخرة يكلم الناس فى المهد وكهلا ويكون من المقربين . فعجبت مريم من هذه البشارة وناجت ربها وقالت متحيرة " يا رب كيف يكون الولد منى ولست بذات زوج وما كنت بغيا ولم يمسسنى احد من الناس "؟ فأجابتها الملائكة عن الله تعالى بأن امر الله عظيم فلا يعجزه شىء يخلق ما يشاء و يختار. فاذا قضى الله أمرا فانما يقول له كن فيكون .

قال الله تعالى فى هذا الشأن (١) :

(اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم . وجيها فى الدنيا والاخرة و من المقربين ، و يكلم الناس فى المهد وكهلا و من الصالحين . قالت

---

(١) سورة آل عمران ٤٥-٤٧

(٢) سورة مريم ١١-١٦
(٣) سورة التحريم ١٢

على اقوال . وقد اورد الخطيب الشربيني في تفسيره (١) تلك الأقـــوال قال :

(واختلف في كيفية نفخه فقيل ان جبريل عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبها فحملت حين لبسته وقيل مد الى جيب درعها اصابعه ونفخ في الجيب و قيل نفخ في كم قميصها ، وقيل في فيها وقيل نفخ جبريل نفخا من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى في الحال وقيل نفخ في ذيلها فدخلت النفخة في صدرها فحملت) .

وقال محمد بن جزي الكلبي (٢) في قوله تعالى :

(" فنفخنا فيه من روحنا " عبارة عن نفخ جبريل في فرجها فخلـــق الله عيسى عليه السلا) .

والصحيح ان النفخ كان في جيب درعها لا في مواضع اخرى كما عليـــه اكثر المفسرين والمؤرخين .

جاء في تفسير الجلالين (٣) في قوله تعالى :

(فنفخنا فيه من روحنا " اى جبريل حيث نفخ في جيـــب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل الى فرجها فحملت بعيسى) .

وذكر القرطبي في تفسيره (٤) في قوله تعالى :

(" التي احصنت فرجها " اى عن الفواحش . قال المفسرون انه اراد بالفرج هنا الجيب لأنه قال " فنفخنا فيه مـــن روحنا " . وجبريل عليه السلام انما نفخ في جيبهـا ولـــم ينفخ في فرجهـا) .

---

(١) تفسير السراج المنير م ٢ ص ٤١٩ وانظر تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٤٢
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٤ ص ١٣٣
(٣) تفسير القرآن العظيم لجلال الدين السيوطي ج ٢ ص ٣٣٧
(٤) الجامع لاحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٠٣

ويقول ابن كثير في البداية والنهاية (١) :

(فذكر غير واحد من السلف ان جبريل نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة الى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها . ومن قال انه نفخ في فمها او ان الذى كان يخاطبها هو الروح الأمين ولج فيها من فمها فقوله خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن . فان هذا السياق يدل على ان الذى ارسل اليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام . وانه انما نفخ فيها ولم يواجه الملك الفرج بل نفخ في جيبها فنزلت النفخة الى فرجها فانسلكت فيه كما قال تعالى " فنفخنا فيه من روحنا " يدل على ان النفخة ولجت فيه لا في فمها كما روى عن ابى كعب ولا في صدرها كما رواه السدى باسناد عن بعض الصحابة ولهذا قال تعالى "فحملته" اى حملت ولدها) .

تبين مما تقدم ان كبار المفسرين كالسيوطى والقرطبى وابن كثير وغيرهم يرون ان النفخ كان في جيبها لا في غيره وهذا هو الرأى الذى اختاره للاسباب التى ذكرها ابن كثير كما ذكرته آنفا . والله اعلم.

واختلف العلماء والمفسرون ايضا في المكان الذى لقيت فيه مريم الملك حيث حدث فيه النفخ . وذلك عند تفسيرهم لقوله تعالى (٢) (واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا) .

قال الخازن في تفسيره (٣) :

("مكانا شرقيا" اى مكان في الدار مما يلى المشرق وكان ذلك

---

(١) ج ٢ ص ٦٤-٦٥
(٢) سورة مريم ١٢
(٣) لباب التأويل في معانى التنزيل ج ٤ ص ٣٤١

* كلمة " تكون " هنا تامة بمعنى توجد
(١) سورة مريم ١٧
(٢) سورة مريم ١٧-٢١
(٣) الكامل في التاريخ ابن الاثير ج ١ ص ١٧٥-١٧٦ بالتصرف والاختصار .

تلك من اقوال العلماء والمفسرين في المكان الذى لقيت فيه مريم الملك والذى حدث فيه النفخ . وقد اختلفوا فيه الى اقوال كما ذكرناه آنفا .

والحقيقة ان القرآن الكريم لم يعين بالضبط مكان لقاء مريم بالملك بل اجمل ذلك وبين ان الملك " جبريل " جاء الى مريم عندما انتبذت اهلها مكانا شرقيا ، ولم يعين أكان شرقي بيتها او شرقي الكنيسة التي تعتكف فيها كما لم يبين القرآن سبب انتباذ مريم واعتزالها عن اهلها في ذلك المكان وكذلك لم نجد في السنة النبوية الصحيحة - حسب اطلاعي - تعيين ذلك المكان بعينه .

واما ما ورد في بعض الاثار في ذلك فلا يصح الاعتماد عليه لعدم وروده من طريق موثوق به وعلاوة على ذلك اختلاف بعضه عن بعض الآخر ولذلك اختلف العلماء والمفسرون في تعيين ذلك المكان .

وانا نفسي أرى ان الوقوف على ما عليه القرآن اولى واسلم من الاخذ بقول لم تتحقق صحته وهو ان الملك " جبريل " جاء الى مريم عندما اعتزلت اهلها مكانا شرقيا - دون تعيين ذلك المكان اذ لا فائدة فيه والله اعلم .

وكذلك اختلفوا في النافخ هل هو الله نفسه ام جبريل عليه السلام ؟ قال الخطيب الشربيني (١) :

(واختلف في النافخ فقال بعضهم كان النفخ من الله تعالى لهذه الآية *. ولأنه تعالى قال (٢) " ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم " ومقتضى التشبيه حصول المشابهة الا فيما اخرجه الدليل . وفي حق آدم النافخ هو الله . قال تعالى (٣) : " فنفخنا فيه من روحنا " فكذا ههنا . وقال بعضهم ان النافخ

---

(١) التفسير السراج المنير م ٢ ص ٤١٩

* اى الآية " فنفخنا فيه من روحنا " سورة التحريم ١٢

(٢) سورة آل عمران ٥٩

(٣) سورة ص ٧٢ وسورة الحجر ٢٩

جبريل لأن الظاهر من قول جبريل " لأهب لك " على احد القراءتين انه النافخ) .

والراجح فى نظرى هو الرأى الثانى اى ان النافخ هو جبريل عليه السلام اذ لو كانت النفخة من الله تعالى مباشرة لما ارسل جبريل عليه السلام الى مريم كما لم يرسله الى آدم للنفخ فيه . فارساله اليها دليل على انه هو النافخ بأمر الله تعالى . والله اعلم.

وعمر مريم حين النفخ سبع عشرة سنة كما رواه المسعودى وقال (١) :

(ولما بلغت مريم ابنة عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل اليها جبريل فنفخ فيها فحملت بالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام) .

هذا وقد تكلم عن البشارة بمولد عيسى والنفخ فى مريم كل من " برنابا " و " لوقا ".

ففى الفصل الأول من انجيل " برنابا " ما نصه (٢) :

(١- لقد بعث الله فى هذه الايام الاخيرة بالملاك جبريل الى عذراء تدعى مريم من نسل داود من سبط يهوذا -٢- بينما كانت هذه العذراء العائشة بكل طهر بدون أدنى ذنب المنزهة عن اللوم المثابرة على الصلاة مع الصوم يوما ما وحدها واذا بالملاك جبريل قد دخل مخدعها وسلم عليها قائلا : " ليكن الله معك يا مريم .-٣- فارتاعت العذراء من ظهور الملاك .-٤- ولكن الملاك سكن روعها قائلا لا تخافى يا مريم لأنك قد نلت نعمة من لدن الله الذى اختارك لتكونى أم نبى يبعثه الى شعب اسرائيل ليسلكوا فى شرائعه باخلاص- ٥ -

---

(١) مروج الذهب المسعودى ج ١ ص ٦٣

(٢) انجيل برنابا فصل ١ فقرة ١ -١١

فأجابت عذراء وكيف ألد بنين وانا لا اعرف رجلا -٦- فاجاب الملاك : يا مريم ان الله الذى صنع الانسان من غير انسان لقادر ان يخلق فيه انسانا من غير انسان لأنه لا محال عنده -٧- فاجابت مريم : انى لعالمة ان الله قدير فلتكن مشيئته -٨- فقال الملاك كونى حاملا بالنبى الذى ستدعينه يسوع "عيسى" -٩- فامتنعيه الخمر والمسكر وكل لحم نجس لأن الطفل قدوس الله - "مبارك" -١٠- فانعنت مريم بضمة قائلة ها أنا ذا أمة الله فليكن بحسب كلمتك -١١- فانصرف الملاك).

وأما انجيل لوقا فقد جاء فيه هكذا : (١)

(٢٦ - وفى الشهر السادس* "ارسل الملاك جبريل من قبل الله الى مدينة فى الجليل تسمى ناصرة -٢٧- الى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود واسم العذراء مريم -٢٨ - فلما دخل الملاك قال : السلام عليك يا ممتلئة نعمة ، الرب معك مباركة انت فى النساء -٢٩ - فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن يكون هذا السلام -٣٠- فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم فانك قد نلت نعمة عند الله - ٣١ - وها انت تحبلين و تلدين ابنا و تسمينه يسوع - ٣٢ - و هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى وسيعطيه الرب الاله عرش داود أبيه و يملك على آل يعقوب الى الأبد - ٣٣ - ولا يكون لملكه انقضاء -٣٤ - فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وانا لا اعرف رجلا - ٣٥ - فأجاب الملاك وقال لها : ان الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك ، ولذلك

---

(١) لوقا فصل ١ فقرات ٢٦-٣٧

* اى فى الشهر السادس من حمل اليصابات زوج زكريا ليحيى .

التى سبق ذكرها وقالت له :

(ان الله يبشرنى " بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة و من المقربين و يكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين "(١) ويروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام انه سألها فأجابته بمثل هذا والله اعلم) (٢)

(وذكر السدى باسناده عن الصحابة ان مريم دخلت يوما على اختها فقالت لها اختها : اشعرت انى حبلى ؟ فقالت مريم وشعرت ايضا انى حبلى ؟ فاعتنقتها وقالت لها ام يحس . انى ارى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك . وذلك قوله تعالى (٣) " مصدقا بكلمة من الله " و معنى السجود ههنا الخضوع والتعظيم فالسجود عند المواجهة للسلام *كما كان فى شرع من قبلنا) (٤)

هذا وقد تكلم عن الحمل بالمسيح عليه السلام كل من متى و برنابا وخلاصة كلا منهما ان مريم كانت مخطوبة ليوسف النجار . وكان رجلا بارا عابدا . فلما رأى ان مريم قد حبلت عزم على تركها . فبينما هو نائم اذ بملاك الرب قد ظهر له فى حلم وامره بأن لا يتركها لأن الذى تحمله هو الروح القدس. وستلد ابنا اسمه يسوع وسيكون نبيا على شعبه . فلما استيقظ يوسف من نومه شكر الله واقام مع مريم بكل حياته .

هذا هو مضمون ما تكلم به كل من " متى " و " برنابا " فى شأن الحمل بالمسيح عيسى عليه السلام . ولزيادة الايضاح اسوق عبارتهما بتمامها كما يلى :

---

(١) سورة آل عمران ٤٥-٤٦
(٢) ابن كثير البداية والنهاية ج ٢ ص ٦٥
(٣) سورة آل عمران ٣٩
* هذا جائز عند شرع من قبلنا واما فى شرعنا فهذا غير جائز.
(٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ٢ ص ٦٥

يقول "متى" (١)

(١٨ - اما مولد يسوع فكان هكذا . لما خطبت مريم امه ليوسف وجدت من قبل ان يجتمعا حبلى من الروح القدس -١٩- واذ كان يوسف رجلها صديقا ولم يرد ان يشهرها هم بتخليتها سرا -٢٠- وفيما هو متفكر في ذلك اذا بملاك الرب تراءى له في الحلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف ان تاخذ امرأتك مريم فان المولود فيها انما هو من الروح القدس- ٢١ - وستلد ابنا فتسميه يسوع لأنه هو الذى يخلص شعبه من خطاياهم ..-٢٤- ولما نهض يوسف من النوم صنع كما امره ملاك الرب فأخذ امرأته -٢٥- ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر وسماه يسوع) .. والله اعلم بصحة ذلك .

وأما "برنابا" فيقول (٢) :

(١ - اما مريم فاذ كانت عالمة مشيئة الله وموجسة خيفة ان يغضب الشعب عليها لأنها حبلى فيرجمها كأنها ارتكبت الزنا اتخذت لها عشيرا من عشيرتها . قويم السيرة يدعى يوسف -٢- لأنه كان بارا متقيا الله يتقرب اليه بالصيام والصلوات و يرتزق بعمل يديه لانه كان نجارا -٣- هذا هو الرجل الذى كانت تعرفه العذراء واتخذته عشيرا . وكاشفته بالالهام الالهى -٤- ولما كان يوسف بارا عزم اذ رأى مريم حبلى على ابعادها لأنه كان يتقى الله -٥- وبينما هو نائم إذا بملاك الله يوبخه قائلا -٦- لماذا عزمت على ابعاد

---

(١) متى ص ١ ف ١٨-٢٤

(٢) انجيل برنابا الفصل الثانى ف ١-١٤

امرأتك -٧- فاعلم انما كون فيها انما كون بمشيئة الله . ستلد العذراء ابنا - ٨ - و ستدعونه يسوع - ٩ - و تمنع عنه الخمر والمسكر و كل لحم نجس -١٠- لانه قدوس الله من رحم امه فانه نبي من الله ارسل الى شعب اسرائيل ليحول يهوذا الى قلبه -١١- و يسلك اسرائيل فى شريعة الرب كما هو مكتوب فى ناموس موسى -١٢- وسيجيء بقوة عظيمه يمنحها له الله -١٣- وسيأتى بآيات عظيمة تفضى الى خلاص كثيرين -١٤- فلما استيقظ يوسف من النوم شكر الله واقام مع مريم كل حياته خادما لله بكل اخلاص) .

تلك عبارات كل من " متى " و " برنابا " حول الحمل بالمسيح . واما عبارة " لوقا " فقد ذكرتها عند الكلام عن البشارة بالمسيح عيسى عليه السلام فلا داعى لتكرارها هنا .

ويلاحظ ان القصة التى جاء بها الاناجيل فى شأن البشارة والحمل بالمسيح لم تختلف كثيرا عما جاء فى القرآن العظيم غير ان الاناجيل قد بالغت فى وصف المسيح حتى أخرجته عن حدود بشريته و عبوديته وانها زادت قصة يوسف النجار ما قد سكت عنها القرآن الكريم .

و قد علق الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه (١) بعد ان أورد نصوص الاناجيل حول الحمل بالمسيح وقال :

(هذا هو ما جاء فى الاناجيل وهو لا يخالف ما فى القرآن غاية ما فى الأمر انها تزيد حكاية " يوسف النجار " و هى امر مسكوت عنه فلا نصدقها ولا نكذبها و يصح ايرادها) .

فلما شعرت مريم بالحمل وثقلت حركاتها ووجعت اعصابها فرت من قومها

---

(١) قصص الانبياء ص ٣٨٢

الى مكان بعيد حياء لما حدث بها وهروبا لما سيقوله قومها من الاتهامات الكاذبة والاقاويل الفاحشة كما قال الله تعالى (١) (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) اى مكانا بعيدا .

وأخرج عبدالله بن حمد فى زوائد الزهد عن نوف . . . ما معناه انه بعد ما نفخ جبريل فى جيبها فحملت به وبعد ان شعرت بالثقل والوجع هربت من قومها حياء لما حدث فيها . فاخذت نحو الشرق فأخذ قومها فى طلبها يسألون الناس عن فتاة كذا وكذا فلم يخبرهم احد فأخذها المخاض الى جذع النخلة فتساندت اليها (٢) . فلما وضعت حملها ونظرت الى طفلها البرىء الذى سيصبح فى نظر القوم دليل جريمتها عند ذلك خطر فى نفسها الف خاطر عما سيحدث عليها وما سيفعله قومها نحوها من رميها بالفاحشة وغيرها حتى تمنت الموت قبل هذا فلم يذكرها احد من الناس . وقد اخبرنا الله ذلك فى القرآن الكريم وقال تعالى (٣) :

(فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) *

فاحاطت عناية الله ورعايته لها اذ ناداها من تحتها ما يسكن روعها ويخفف آلامها النفسانية والجسمانية لما فيه من اشارة الى ماء جدول يجرى من تحتها تشرب وتغتسل منه بدون عناء وتعب ومعه غذاء من رطب يتساقط عليها فيه دواء وشفاء للنفساء **. وفيه ايضا تعليم لها كيف تجيب عما سيقول لها قومها وما سيرمونها به من الفاحشة كما قال تعالى (٤) :

---

(١) سورة مريم ٢٢

(٢) الدر المنثور للسيوطى ج ٤ ص ٢٦٦ بتصرف

(*) قوله (نسيا منسيا) يعنى شيئا حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته . انظر تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٤٣

(٣) سورة مريم ٢٣

** جاء فى البداية والنهاية لابن كثير قال : (قال عمرو بن ميمون : ليس شىء اجود من التمر والرطب) انظر ج ٢ ص ٦٦

(٤) سورة مريم ٢٤-٢٦

(فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك
سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا .
فكلى واشربي وقرى عينا . فاما ترين من البشر احدا فقولى
انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا)

والمراد بالصوم هنا هو الصمت .

ومعنى الكلام انى نذرت للرحمن صمتا فلن اكلم اليوم احدا من الناس .
وبهذا النداء زالت عن مريم همومها وحزنها وعادت الى الاطمئنان والهدوء .

هذا وقد اختلف المفسرون فى المنادى اهو ملك ام الوليد الذى بدأ يتحرك فى العالم الخارجى . فقال بعضهم كابن عباس وقتادة والضحاك والسدى ان المنادى جبريل عليه السلام وقال آخرون كمجاهد والحسن وسعيد بن جبير ووهب بن منبه ان الذى ناداها عيسى عليه السلام (١) .

والذى اختر ته هو الرأى الثانى اى ان المنادى عيسى عليه السلام وهو قول كثير من السلف والخلف . وقد أخرج ابن جرير فى تفسيره (٢) قال :

(حدثنا محمد بن بشر ثنا ابو عاصم قال ثنا سفيان عن ابن ابى نجيح عن مجاهد قوله فناداها من تحتها قال عيسى بن مريم وحدثنا ابن بشر قال ثنا ابو عامر قال ثنا سفيان عن ابن ابى نجيح عن مجاهد مثله ..... حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن " فناداها من تحتها " ابنها .... حدثنا ابن حميد قال : ثنا سلمة عن ابى اسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه " فناداها عيسى من تحتها

---

(١) انظر احكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢١٧-٢١٨ بتصرف
(٢) تفسير الطبرى ج ١٦ ص ٥٢

ان لا تحزني . حدثني ابو حميد احمد بن المغيرة الحمصي قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا محمد بن مهاجر عن ثابت بن عجلان عن سعيد بن جبير قوله "فناداها من تحتها" قال : عيسى اما تسمع الله يقول "فأشارت اليه ." حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فناداها من تحتها قال عيسى ناداها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) .

وقد ورد مثل هذا كثير من المفسرين وكان الرازي ممن ايد هذا الرأي . وقال في تفسيره (١) ان في المنادي ثلاثة اوجه : الاول انه عيسى عليه السلام والثاني انه جبريل عليه السلام والثالث المنادي على القراءة بالكسرة "أي مِنْ تحتها" هو الملك وعلى القراءة بالفتح "اي مَنْ تحتها" هو عيسى عليه السلام والاول اقرب لوجوه : الاول ان قوله "فناداها من تحتها بفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك ان تحتها احد . والذي علم كونه حاصلا تحتها هو عيسى عليه السلام فوجب حمل اللفظ عليه . واما القراءة بكسر الميم فهي لا تقتضي كون المنادي جبريل عليه السلام فقد صح قولنا . الثاني : أن ذلك الموضع موضع اللوث والنظر الى الصورة وذلك لا يليق بالملائكة . الثالث ان قوله "فناداها" فعل ولا بد ان يكون فاعله قد تقدم ذكره ولقد تقدم قبل هذه الاية ذكر جبريل وذكر عيسى عليهما السلام لكن ذكر عيسى اقرب لقوله تعالى "فحملته فانتبذت به" والضمير هنا عائد الى عيسى فكان حمله عليه اولى . والرابع وهو دليل الحسن بن علي رضي الله عنه ان عيسى عليه السلام لو لم يكن كلمها لما علمت انه ينطق فما كانت تشير الى عيسى عليه السلام بالكلام .

وقد اختار كون المنادي عيسى عليه السلام عبد الكريم الخطيب وقال (٢)

---

(١) تفسير فخر الرازي ج ٢١ ص ٢٠٤ بالتصرف والاختصار .
(٢) التفسير القرآني ك ٨ ص ٧٣١ - ٧٣٢

فى ترجيحه لهذا الرأى :

(والذى نأخذ به هو ان المنادى لها لا يكون ملكا اذ لو كان ملكا لناداها من علو و هو الجهة المتنزل منها . وانه اذا كان المنادى ملكا فلم يجئ من تحتها لا من فوق ؟ واذن فالمنادى لها هو من كان تحتها بالفعل وهو وليدها . وفى حديث وليدها اليها فى هذا الوقت ما يكشف لها عن التجربة التى ستواجه بها قومها منه حيث تدعوه الى الكلام فيتكلم . ولو ان عيسى لم يكن قد تكلم اليها واسمعها صوته من قبل لما وجدت الجرأة على ان تلقى قومها بالطفل ثم تلقاهم بهذا التحدى وهو ان تدعوهم الى الاستماع اليه) .

وانا مقتنع بالحجج التى أتى بها الامام الرازى والشيخ عبد الكريم الخطيب فى هذه المسألة ولذلك أطمئن الى القول بأن المنادى هو عيسى عليه السلام والله اعلم .

مدة الحمل :

واما مدة الحمل بالمسيح فقد اختلف فيها ايضا الى اقوال . قال ابن الأثير فى كتابه (١) :

(قد اختلف فى مدة حملها فقيل تسعة اشهر وهو قول النصارى وقيل ثمانية اشهر فكان ذلك آية اخرى لأنه لم يعش مولود لثمانية اشهر غيره وقيل ستة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو اشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى " فحملته فانتبذت به مكانا قصيا " عقبه) .

---

(١) الكامل فى التاريخ ج ١ ص ١٧٦

ويرى ابن كثير ان مريم حملت تسعة اشهر كما تحمل سائر النساء اذ لو كان خلاف ذلك لذكر . ثم رد على من قال ان مريم حملت به عدة ساعات ومن قال ان الولادة كانت عقب النفخ مباشرة والذين استدلوا بقوله تعالى (١) " فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة " اجاب على هذا الاستدلال : الصحيح ان تعقيب كل شيء بحسبه لقوله تعالى (٢) (فتصبح الأرض مخضرة) وكقوله (٣) : (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين) . ومعلوم ان بين كل حالين اربعين يوما كما ثبت في الحديث المتفق عليه (٤) .

واما الدكتور محمود شريف فيرى ان ليس للحمل مدة اذ ان الولادة كانت عقب الحمل مباشرة من غير فصل زمني . ووجهة نظره في هذا الرأي يقول انه اذا كان امر الحمل على غير العادة فلما نخضعه للمدة العادية وهي تسعة اشهر هلالية ؟ ولو كانت هناك مدة للحمل فلا بد ان ترى آثاره واعراضه على مريم ولا سيما في الاشهر الأخيرة منه فيرى قومها هذه الاثار فلا يكون مولده مفاجأة لهم لأن من تحمل لا بد ان تضع . وبالتالي لم يكن لحملتهم عليها مكان بعد ان رأوا حملها ابان تسعة اشهر . ولم يكن هناك مبرر لأن تجزع مريم عند الولادة لأن من حملت وهي تعلم طيلة تسعة أشهر انها حامل لا تحزن عند الولادة واذا كان القرآن قد أثبت جزع مريم وحزنها عند الولادة واثبت تقريع قومها لها بعد ان عادت اليهم وهي تحمل طفلها ، فكل ذلك يميل بنا الى ان الولادة كانت عقب الحمل مباشرة من غير فصل زمني . (٥)

---

(١) سورة مريم ٢٢-٢٣
(٢) سورة الحج ٦٣
(٣) سورة المؤمنون ١٤
(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج٢ ص ٦٥-٦٦ بتصرف
(٥) الدكتور محمود شريف "الاديان في القرآن" ص ١٥٨٠ بتصرف .

والراجح عندى ان مدة الحمل كانت كالعادة وان الحمل قد مر بجميع مراحله وادواره كما يراه ابن كثير . ذلك لأن هناك كثير من الروايات التى يفهم من سياقها ما يدل على ان الحمل مر بمراحله وادواره الى وقت الولادة .

احدها : ما جاء فى الداية والنهاية(١) قال :

(وروى عن مجاهد قال : قالت مريم : " كنت اذا خلوت حدثنى وكلمنى . واذا كنت بين الناس سبح فى بطنى) .

فيفهم من هذا ان مريم حملت بالمسيح عليه السلام مدة من الزمن وعاشرت قومها قبل ولادتها . فعندما كانت بينهم ومعاشرتهم سبح عيسى فى بطنها واذا خلت عنهم حدثها وكلمها .

ثانيها : ما جاء فى تاريخ الامم والملوك لابن جرير الطبرى(٢) قال :

(فلما دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجى من أرض قومك فانهم ان ظفروا بك عيروك وقتلوا ولدك) .

هذا السياق لا شك يبين ان بين النفخ والولادة فصل زمنى . وان مريم عاشت مع قومها مدة من الزمن حتى دنا نفاسها اوحى الله اليها ان تخرج من أرض قومها مخافة ان يعيروها ويقتلوا طفلها بعد ولادته .

ثالثها : ما جاء فى الكامل فى التاريخ " لابن الاثير و " البداية والنهاية " لابن كثير من قصة الحوار بين يوسف النجار ومريم عليهما السلام فى شأن حملها . ذلك لما رأى يوسف آثار الحمل وعلامته على مريم أخذ يتعجب من ذلك لأنه اذا أراد أن يتهمها تذكر عبادتها وديانتها . واذا أراد ان يبرئها رأى الذى بها من الحمل وهي ليست متزوجة . فبدأ

---

(١) ابن كثير ج ٣ ص ٦٥

(٢) ج ٢ ص ١٩

يسألها عما حدث بها . فأجابت مريم عما سألها . وبعد المحاورة الطويلة بينهما تبين ليوسف ان الذي بها من الحمل شيء صادر من الله ومشيئته وقد ذكرت بعده القصة من قبل (١) .

فيستفاد مما ذكر ان مريم لم تخبر احدا عما حدث بها من نفخة جبريل اياها ولا يعلمها احد الا بعد ان ظهرت عليها آثار الحمل وعلاماته فممن عرف حملها هو ابن عمها يوسف النجار فبدأ يسألها فأجابت مريم عما سأل كما ذكرته آنفا . وكان زكريا ايضا يعرف ذلك كما جاء في البداية والنهاية (٢) قال :

(ويروى مثل هذا عن زكريا* عليه السلام انه سألها فأجابته بمثل هذا والله اعلم) .

هذه القصة فيها دلالة واضحة على ان الحمل بالمسيح قد قطع مراحله واطواره الى وقت الوضع . اذ لو كانت الولادة فور النفخ بغير فصل زمني كما يقول البعض ، فلا ترى اثار حملها وعلاماته فلا يعرفه احد . فمعرفة يوسف النجار وزكريا عليه السلام لحملها بعد ان رأيا آثاره واعراضه دليل على ان الحمل كان على سبيل العادة وانه مر بمراحله واطواره . واما عدم معرفة غيرهما من قومها فلا يكون حجة على ان الحمل عدة ساعات لأن مريم كما هو المعلوم من المتدينات العابدات . فلا بد ان تستر جميع بدنها كشأن العابدات الأخرى . فلا ترى آثار حملها وعلاماته الا من عاشرها يوميا كيوسف النجار الذي كان يتعبد معها في خدمة الكنيسة وزكريا عليه السلام الذي هو كافلها وهو يراها صباح مساء .

---

(١) راجع تفاصيل هذه القصة في هذا الكتاب ص ٣٥ وما بعدها .
(٢) لابن كثير ج ٢ ص ٦٥
* اي يروى عن زكريا انه سأل مريم عما حدث بها فأجابته بمثل ما اجابت ليوسف النجار .

ومن الأدلة التي تؤيد أن الحمل قطع مراحله واطواره قوله تعالى (١) : فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض الى جذع النخلة) . عطفت هذه الآية بالفاء للدلالة على التعقيب . فتعقيب كل شيء بحسبه كما يراه ابن كثير . وقد ذكرت هذا من قبل (٢) .

ونظرا الى ما تقدم من الأدلة أرجح بأن الحمل بالمسيح عليه السلام جرى على سبيل العادة وانه مر بمراحله واطواره كسائر الحوامل والله أعلم .

واما وقت ولادة عيسى عليه السلام فكان يوم عاشوراء كما رواه الحاكم (٣) وقال :

(حدثني علي بن محمد القاضي ثنا الحسين بن محمد بن زياد ثنا الحسين بن عمرو المنقري حدثني أبي ثنا اسرائيل عن جابر عن زيد العمي قال " ولد عيسى بن مريم يوم عاشوراء) .

---

(١) سورة مريم ٢٢-٢٣

(٢) راجع هذا الكتاب ص ٤٤

(٣) المستدرك على الصحيحين ج ٢ " كتاب التاريخ " ص ٥٩٣

المبحث الرابع : اتهام الناس مريم وكلام المسيح في المهد تبرئة لها .

عاشت مريم عليها السلام بعد نفخة جبريل فيها كما كانت عادتها من قبل من الاستمرار في العبادة و خدمة البيت المقدس ، وما زالت على تلك الحال حتى ظهرت عليها آثار الحمل وعلاماته . فعلم انها حبلى . واول من علم حملها ابن عمها يوسف النجار الذى كان معها في خدمة البيت المقدس فتعجب من ذلك فأخذ يلقى الأسئلة الى مريم و حدث بينهما حوار طويل في هذا الامر . واخيرا فهم يوسف ان حملها كان من ارادة الله ومشيئته . وقد ذكرت ذلك من قبل عند الكلام على الحمل بالمسيح وولادته .

ثم انتشر خبر حملها في بني اسرائيل فاتهموها بالفاحشة قبل أن يتبينوا حقيقة امره . ففرت مريم منهم وانتبذت مكانا بعيدا . جاء في البداية والنهاية لابن كثير (١) قال :

(قال محمد بن اسحاق " شاع واشتهر في بني اسرائيل انها حامل فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل بيت زكريا .

قال واتهمها بعض الزنادقة بيوسف الذى كان يتعبد معها في المسجد وتوارت عنهم مريم واعتزلتهم وانتبذت مكانا قصيا) .

فلما حان وضعها وشعرت بألم المخاض التجأت الى جذع النخلة حيث وضعت حملها . وبعد مرور اربعين يوما من ولادتها وفراغها من نفاسها اتت بعيسى تومها تحمله ، فلما رأوها ومعها طفلها بدأوا يلومونها ويتهمونها بالفاحشة .

(قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا) (٢)

---

(١) ج ٢ ص ٦٦

(٢) سورة مريم ٢٧-٢٨

(وعن ابن عباس ان يوسف النجار انتهى بمريم الى غـــار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى ظهرت من نفاسها ، ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال " يا اماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها تباكوا وقالوا لقد جئت شيئا فريا)(١).

وهم مع ذلك هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوه . قال ابو الفداء فى كتابه(٢) :

(ولما جاءت مريم بعيسى قال لها قومها " لقد جئت شيئا فريا واخذوا الحجارة ليرجموها فتكلم عيسى وهو فى المهـــد معلقا فى منكبها فقال (انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت"(٣) . فلما سمعوا كـــلام ابنها تركوها) .

وقد روى مثل هذا ايضا مجير الدين الحنبلى (٤) .

ومعنى " شيئا فريا " اى شيئا عظيما منكرا . قال ابن كثير(٥) :

(والفرية هى الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال) .

وقال عبد الرحمن السعدى فى تفسيره(٦) :

(لقد جئت شيئا فريا " اى عظيما وخيما وأرادوا بذلك البغاء حاشاها من ذلك) .

وقوله " يا اخت هارون " اختلف المفسرون فى هارون الى اقوال . وقد أورد الامام الرازى فى تفسيره اربعة اقوال :

---

(١) غرائب القرآن للنيسابورى ج ١٦ ص ٥١
(٢) المختصر فى اخبار البشر م ١ ص ٤٩
(٣) سورة مريم ٣٠-٣١
(٤) انظر الراس الجليل بتاريخ القدوس والخليل ج ١ ص ١٦١
(٥) البداية والنهاية ج ٢ ص ٦٧
(٦) تفسير كلام المنان ج ٥ ص ١٠١

وقال عبد الرحمن السعدى (١) "الظاهر انه أخ لها حقيقى فنسبوها اليه".

ولما قالوا لمريم عليها السلام :

(يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا) (٢)

أشارت الى وليدها عيسى عليه السلام - لائذة بالصمت ناذرة للرحمن صوما عن الكلام - ان كلموه . فغضبوا من ذلك " قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا "(٣) وفى العادة انه فى هذه الحالة لا يعقل الخطاب ؟ فعند ذلك تكلم عيسى عليه السلام وهو فى حجر امه قائلا :

(.. انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا اينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت و يوم أبعث حيا) (٤)

و يبدو من كلامه ان اول شيء تفوه به عيسى عليه السلام امام القوم هو الاقرار بعبودية لله تعالى وهو قوله " انى عبد الله ". وفيه رد صريح لما نسبته النصارى من انه هو الله او ابن الله بل هو عبد الله وابن امته . ثم أردف ببيان نبوته بقوله : " آتانى الكتاب وجعلنى نبيا " . وفى هذا تهزئة له ولأمه مما أثير حولهما . وقد كان بنوا اسرائيل ادعوا ان عيسى عليه السلام ابن البغية وان امه أتت بالفاحشة فأنجبته . فباعتراف عيسى عليه السلام بنبوته كان من الأدلة البينة على براءته وامه مما افتراه المفترون .

---

(١) تفسير كلام المنان ج ٥ ص ١٠٢
(٢) سورة مريم ٢٧-٢٨
(٣) نفس السورة ٢٩
(٤) سورة مريم ٣٠-٣٣

ذلك لأن الله لا يعطى وظيفة النبوة الا لمن اصطفاه واجتباه فحاشـــاه وامه ،ولا يقول عنهما ذلك من عنده مسكة من عقل .

ثم لم يتكلم عيسى عليه السلام بعد ذلك حتى بلغ مبلغا يتكلم فيـه الصبيان . جاء في البداية والنهاية/ لابن كثير (١) قال :

(وقال اسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس ان عيسى بن مريم امسك عن الكلام بعد ان كلمهم طفلا حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ثم انطقه الله بعد ذلك الحكمة والبيان فأكثر اليهود فيه وفي امه من القول وكانوا يسمونه ابن البغية . وذلك قوله تعالى (٢) " وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) .

ولا شك ان كلام عيسى عليه السلام وهو في المهد كان معجزة له وكرامة لأمه العفيفة الطاهرة اذ هو اكبر دليل على براءتهما مما رماهما بـــه الجاهلون من الاتهامات الباطلة والاتاويل الكاذبة .

هذا ولم يتكلم في المهد الا ثلاثة كما اخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم .

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى (عليه السلام) وكان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي جاءته امه فدعته فقال أجيبها او اصلي فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات* وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت

---

(١) ج ٢ ص ٧٦
(٢) سورة النساء ١٥٦
* قوله " المومسات" جمع مومسة بضم الميم وسكون الواو وكسر الميم بعدها وهي الزانية وتجمع على مواميس انظر فتح الباري ج ٦ ص ٤١٨

فلا ما فقالت من جريج فأتوه فكسروا صومعته وأنزلـــوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم اتى الغلام فقال من ابوك يا غلام ؟ فقال الراعى . قالوا نبنى صومعتك من ذهب. قال لا الا من طين . وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بنى اسرائيل فمر بهـا رجل راكب ذو شارة * فقالت اللهم اجعل ابنى مثله فتـرك ثديها واقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلنى مثله ثـــم اقبل على ثديها يمصه. قال ابو هريرة رضى الله عنه كأنـــى انظر الى النبى صلى الله عليه وسلم يمص اصبعه ثم مر بأمـة فقالت اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه، فترك ثديها فقال اللهم اجعلنى مثلها فقالت لم ذاك. فقال الراكب جبـار من الجبابرة وهذه الامة يقولون سرقت زنيت ولم تفعل) رواه البخارى (١) .

وكان بنوا اسرائيل وان علموا ان عيسى عليه السلام قد تكلم فى المهـــد الا انهم انكروا ذلك وقالوا انه سحر واتهموا مريم بزكريا وطلبوه فلما وجدوه قتلوه .

جاء فى " الكامل فى التاريخ " لابن الاثير (٢) قال :

(وقال بنو اسرائيل : ما أحبلها غير زكريا فانه هو الذى كان يدخل عليها ويخرج من عندها فطلبوه ليقتلوه ففر منهم ثم ادركوه فقتلوه) .

---

* (ذو شارة " اى صاحب حسن وقيل صاحب هيئة ومنظر وملبس حسن يتعجب منه ويشار اليه . انظر فتح البارى ج ٦ ص ٤٨٣

(١) صحيح البخارى ج ٤ كتاب الانبياء ٦٠ باب ٤٨ ص ١٤٠

(٢) م ١ ص ٣١١

وروى مجير الدين الحنبلي في كتابه (١) قال :

(فلما علمت اليهود ان مريم ولدت من غير بعل اتهموا زكريا بها وطلبوه فهرب واختفى في شجرة عظيمة فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها وكان عمر زكريا حينئذ نحو مائة سنة وكان قتله بعد ولادة المسيح) .

ولا عجب في هذا فان بني اسرائيل او اليهود من اسلافهم حتى اليوم كانت طبيعتهم القتل والنهب و سفك الدماء و تكذيب الرسل والانبياء . قال الله تعالى مخبرا عن طبيعتهم و موقفهم من الرسل :

(٢) لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا . كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا و فريقا يقتلون) .

جاء في تفسير ابن كثير (٣) قال :

(.... عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال " كانت بنو اسرائيل تقتل في اليوم ثلثمائة نبي ثم يقوم سوق بقلهم في آخر النهار) .

هذا وقد بين الله تعالى ان الناس تفرقوا في عيسى عليه السلام الى طوائف واحزاب وذلك قوله تعالى (٤) :

(فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) .

قال ابن كثير (٥) في تلك الآية :

(اى فاختلف أهل ذلك الزمان و من بعدهم فيه فمن قائل قائل من اليهود انه ولد زنية واستمروا على كفرهم وعنادهم

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ١٥٩

(٢) سورة المائدة ٧٠

(٣) ج ١ ص ٣٩٧

(٤) سورة مريم ٣٧

(٥) البداية والنهاية ج ٢ ص ٧٠

وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا هو الله وقال آخرون هو ابن الله وقال المؤمنون هو عبد الله ورسوله وابن امته وكلمته القاها الى مريم وروح منه وهؤلاء هم الناجون المثابون المؤيدون والمنصورون . ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون وقد توعدهم المولى العظيم الحكيم العليم بقوله (١) "فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم") . والله أعلم .

---

(١) سورة مريم ٣٧

المبحث الخامس : معنى كون المسيح كلمة الله وروحا منه :

لقد وصف الله تعالى المسيح عيسى بن مريم بأنه رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه . وذلك في قوله تعالى (١) (. . . انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه . .) فما معنى كونه عليه السلام كلمة الله وروحا منه ؟ ثم لماذا اضيفت هاتان الكلمتان "الكلمة" و "الروح" الى الله ؟ هذا ما سنبينه فيما يأتي .

اولا : معنى كون المسيح كلمة الله :

قبل الكلام عما ذكر يجدر بنا ان نتعرف معاني الكلمة واطلاقاتها كما جاء في كتب اللغة وما جاء في القرآن الكريم فأقول : الكلمة معناها لغة اللفظة الواحدة وفي اصطلاح النحويين لفظ وضع لمعنى مفرد . وتطلق مجازا على القصيدة والخطبة (٢) . فمن الاول قولك مثلا حفظت كلمة العويدرة اى قصيدته (٣) ومن الثاني كأن يقول الخطيب حين يقوم للخطبة "اقوم امامكم في هذه الليلة المباركة لالقاء كلمة وجيزة" اى لالقاء خطبة قصيرة .

قال بطرس البستاني (٤) :

(وتطلق الكلمة على الخطبة والقصيدة والكلمة الباقية من قوله تعالى في سورة الزخرف "وجعلها كلمة باقية" هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله وكلمة الشهادة هي أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وكلمة التقوى هي بسم الله الرحمن الرحيم) .

---

(١) سورة النساء ١٧١
(٢) انظر معجم اللغة احمد رضا ج ٥ ص ٩٧ بتصرف
(٣) انظر تاج العروس محمد الزبيدي م ٩ ص ٤٩
(٤) محيط المحيط ج ٢ ص ١٨٣٦
* قوله "كلمة التقوى" قال الجمهور هي "لا اله الا الله" ولكن الزهري قال هي "بسم الله الرحمن الرحيم" انظر فتح القدير ج ٥ ص ٥٤ .

وجاء ت" الكلمة " فى القرآن الكريم فى مواضع عديدة لمعانى متباينة .

جاء تبمعنى القول : كما فى قوله تعالى (١) " كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا " قال الشوكانى (٢) :

(والمراد بهذه الكلمة هى قولهم اتخذ الله ولدا) .

و جاءت بمعنى العبارات من الوعد والوعيد كما فى قوله تعالى (٣) :

(و تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) والمعنى كما يقول الشوكانى فى فتح القدير (٤) :

(ان الله قد أتم وعده ووعيده فظهر الحق وانطمس الباطل .

و قيل المراد بالكلمة والكلمات القرآن) .

وجاء ت " كلمة طيبة " بمعنى كلمة الشهادة . كما فى قوله تعالى (٥)

(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت و فرعهـــا فى السماء) . و " كلمة طيبة " هنا هى شهادة ان لا اله الا الله كما اخرجه ابن جرير عن ابن عباس (٦) .

وجاء ت " كلمة خبيثة " بمعنى الشرك بالله كما فى قوله تعالى (٧) :

" ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار " و معنى الآية : مثل الشرك بالله كشجرة خبيثة (٨). وجاءت بغير هذه المعانـى فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم . ولا مجال لذكرها كلها ههنا .

---

(١) سورة الكهف ٥

(٢) فتح القدير ج ٣ ص ٢٦٩- ٢٧٠

(٣) سورة الانعام ١١٥

(٤) ج ٢ ص ١٥٥

(٥) سورة ابراهيم ٢٤

(٦) انظر تفسير ابن جرير الطبرى ج١٣ ص ٢٠٣

(٧) سورة ابراهيم ٢٦

(٨) انظر مرجع السابق ج١٣ ص ٢١٠

واما المراد بكلمة الله فى وصف عيسى عليه السلام كما جاء فى قوله تعالى (١) : (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم) فقد اختلف العلماء فيه .

قال الامام أحمد (٢) :

(فالكلمة التى القاها الى مريم حين قال له " كن " فكان عيسى "بكن" وليس عيسى هو الكن ولكن بالكن كان . فالكن من الله قول وليس الكن مخلوقا)

وقال القرطبى فى تفسيره (٣) :

(وسمى عيسى كلمة الله لأنه كان بكلمة الله تعالى التى هى " كن " فكان من غير أب .... وقيل سمى كلمة لأن الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله) .

وقال ابن جزى الكلبى (٤) :

(و " كلمته " اى مكون من كلمته التى هى كن من غير واسطة أب ولا نطفة) .

وقال المراغى (٥) :

(وكلمته القاها الى مريم وروح منه وهو مكون بكلمته وامره الذى هو " كن " من غير واسطة أب ولا نطفة . فانه لما ارسل اليها

---

(١) سورة النساء ١٧١
(٢) الرد على الجهمية تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ص ١٢٤
(٣) الجامع لاحكام القرآن ج ٤ ص ٧٦
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ج ١ ص ١٦٥
(٥) تفسير المراغى ج ٦ ص ٢٩

الروح الامين جبريل يبشرها بأنه مأمور بأن يهب لها غلاما زكيا . فاستنكرت ذلك اذ هي عذراء لم تتزوج فقال لهـــا " كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كـــن فيكون "(١) فكلمة " كن " هي الكلمة الدالة على التكوين بمحض القدرة عند ارادة خلق الشيء وايجاده ".

فيظهر مما تقدم ان اكثر المفسرين يرون ان المراد بكلمة الله في وصف عيسى عليه السلام هو خلقه بكلمة " كن " فكان عيسى عليه السلام بهـــذه الكلمة . ولكن ابن جرير الطبري خالف هذا الرأي . وقال ان المـــراد بالكلمة في قوله تعالى " وكلمته " هي البشارة او الرسالة التي امر اللـه جبريل عليه السلام بابلاغها الى مريم وهي انها ستلد ابنا اسمه المسيح . وقال في تفسيره بعد ان اورد اوجه اقوال المفسرين في هذا الصدد :

(ان اقرب الوجوه الى الصواب عندي القول الاول وهو ان الملائكة بشرت مريم بعيسى عليه السلام عن الله عز وجـــل برسالته وكلمته التي امرها ان تلقيها اليها ان الله خالـــق منها ولدا من غير بعل ولا فحل . ولذلك قال عز وجـــل " اسمه * المسيح " فذكّر ولم يقل اسمها فيؤنث ، والكلمة مؤنثة لأن الكلمة غير مقصودا بها قصد الاسم الذي هـــو بمعنى فلان وانما هي بمعنى البشارة فذكرت كنايتها كمـــا تذكر كناية الذرية والدابة والالقاب . . . . فتأويل ذلك كما قلنا آنفا من ان معنى ذلك ان الله يبشرك ثم بين عن البشرى انها ولد اسمه المسيح) (٢)

---

(١) سورة آل عمران ٤٧

* اي في قوله تعالى " اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم " فالضمير في "اسمه" يعود الى "كلمة"

(٢) تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٦٩-٢٧٠

وانا اطمئن بأن المراد بكلمة الله فى وصف عيسى عليه السلام هو خلقه بكلمة " كن " فكان عيسى عليه السلام بالكن كما يقوله اكثر المفسرين .

و مما يؤيد هذا المعنى ولادته من غير أب لما فيها من الشبه والتهم والاقاويل مما لا يخفى عنها ، فيحتاج الأمر الى بيان كيفية خلقه و حقيقة امره بخصوصه . فلذلك وصف الله عيسى بأنه " كلمته " اى انه خلق بكلمة منه التى هى " كن " ليكون ذلك جوابا على تلك الشبه والاقاويل . اذ يتضمن هذا الوصف على التصريح بأن عيسى عليه السلام خلق من مخلوقات الله تعالى خلقه الله على خلاف السنن المعروفة بارادته و مشيئته .

واما اذا قلنا ان المراد " بالكلمة " بمعنى البشارة بظهور المسيح كما يقوله ابن جرير . فهذا المعنى لا يلتئم مع الاحوال والظروف. اذ الظروف والاحوال تقتضى الجواب والبيان عما يشتبه الناس في حقيقة عيسى عليه السلام و خلقه لولادته على سبيل غير العادة . فتفسير " الكلمة " بمعنى البشارة لا يكون جوابا عما تتطلبه الظروف والاحوال . ولذلك أرجح القول بأن المراد بكلمة الله فى وصف عيسى عليه السلام بمعنى انه خلق بكلمة " كن " فكان ، لما فى هذا المعنى يتضمن "جواب عما اشتبه فيه بعض الناس فى خلق عيسى و حقيقته عليه السلام .واما قول ابن جرير ان تذكير كناية " الكلمة " بقوله تعالى " اسمه المسيح " ولم يقل اسمها والكلمة مؤنثة و هذا يدل على ان " الكلمة " غير مقصودا بها قصد الاسم الذى بمعنى والدابة فلان وانما بمعنى البشارة فذكرت كنايتها كما تذكر كناية الذرية/والالقاب ونحوها كما ذكرناه آنفا . فأجيب عنه ان تذكير كناية الكلمة لا يدل على أنها كانت بمعنى البشارة بل يدل على ان المراد بالكلمة هنا بمعنى ابن او ولد يكون خلقه بكلمة من الله هو قوله " كن " فذكرت كنايتها . والى هذا ذهب كثير من المفسرين منهم ابن كثير والقرطبى والخطيب الشربينى و غيرهم .

قال ابن كثير (١) في قوله تعالى (٢) :

(اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه " اى بولد يكون وجوده بكلمة من الله اى يقول له كن فيكون) .

وقال القرطبي في تفسيره (٣) :

(اسمه المسيح ولم يقل اسمها لأن معنى الكلمة معنى ولد) .

وقال الخطيب الشربيني في تفسيره (٤) :

(" يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه " اى بابن " اسمه المسيح عيسى بن مريم ") .

والخلاصة : ان معنى كون المسيح كلمة الله هو خلقه بكلمة " كن " فكان عيسى عليه السلام بالكن فليس هو الكن . فهذا هو المعنى الذى اختاره وارجحه . والى هذا ذهب كثير من المفسرين كما مر ذكره .

واما النصارى فقد خالفوا المسلمين وقالوا ان المسيح نفسه كلمة الله وكلمة الله عندهم ذاته فإذا كان المسيح نفسه هو الله او ابن الله. وقالوا ان الكلمة قد تجسدت في بطن مريم وظهر على صورة الانسان وسكن بين الناس وهو المسمى بالمسيح . تعالى الله عما يقولون .

واستند هؤلاء في عقيدتهم هذه على ما جاء في انجيل يوحنا (٥) حيث قال :

(١- في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله -٢- هذا كان في البدء عند الله . . . -١٤- والكلمة صار جسدا وحل فينا وقد ابصرنا مجده مجد وحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٦٣
(٢) سورة آل عمران ٤٥
(٣) الجامع لاحكام القرآن ج ٤ ص ٨٨
(٤) السراج المنير م ١ ص ٢١٥
(٥) الفصل الاول فقرات ١-٢-١٤

ولقد فهم النصارى من هذا النص ان الكلمة هى الله وان الله هو الكلمة وان الكلمة قد خلق كل شىء وانه صار جسدا وحل بيننا فى شخص المسيح الذى رآه الناس فى عصره (١) . واما ميخائيل نعيمة فقد فسر معنى الكلمة تفسيرا فلسفيا وقال ما معناه : ان المراد بالكلمة هى كلمة "انا". وان الله تعالى حينما اراد ان يعبر عن نفسه ان يقول لذاته "انا" فكلمة "انا" هى الكلمة الخلاقة التى بها كل شىء وبغيرها لم يكن اى شىء وهى التى كانت "فى البدء" وكانت لدى الله بل كانت هى الله فالمسيح قد كان تجسيدا لتلك الكلمة والكلمة صار بشرا فسكن بيننا - فرأينا مجده مجد الابن الواحد الذى من لدن الاب". ثم قال ميخائيل : ذلك هو معنى الكلمة فى انجيل يوحنا . الكلمة الخلاقة وغير المخلوقة .... وذلك ما تعنيه الكنيسة بأن المسيح كلمة الله (٢) .

اقول : هذه النصوص وتفسيراتها باطلة من كل وجه، باطلة فى قولها بأن "الكلمة" هو الله تعالى . وباطلة فى قولها ان عيسى كان تجسيدا لتلك الكلمة التى هى ذات الله . وقد بينا فيما سبق ان معنى "كلمة الله" هى قوله "كن" فالكن من الله كلمة منه . فالكلمة والكلام صفة لله تعالى وليس ذاته . كما بينا أيضا معنى كون المسيح كلمة الله هو وجوده وخلقه كان بكلمة الله التى هى "كن" وليس المسيح عيسى هو الكلمة ولكن بالكلمة . او بعبارة اخرى ليس عيسى عليه السلام هو الكن ولكن بالكن . وبذلك اتضح بطلان عقيدة النصارى من ان عيسى عليه السلام هو كلمة الله اى من ذاته . لأن عيسى كان بكلمته "كن" وليس من ذاته .

هذا وقد أورد عبد الرحمن بك افندى فى كتابه بنصوص "يوحنا"

---

(١) انظر المسيح فى القرآن عبد الكريم الخطيب ص ١٣٥ بتصرف
(٢) انظر المجموعة الكاملة ميخائيل نعيمة م ٩ ص ٣٢٥ بتصرف واختصار.

التى ذكرناها آنفا ثم علق عليها وقال (١) :

(اقول ان هذه الفقرات مع كونها باطلة من حيث المعنى فهى متناقضة متنافية غير قابلة للتعقل ولا صالحة للتوجيه فان قوله : والكلمة كان عند الله لا يلتئم مع قوله : وكان الكلمة الله فاذا كان الله عين الكلمة لا يصح ان تكون الكلمة عنده لأن العندية تقتضى المغايرة لانها عبارة عن حصول شئ عند شئ كحصول المال عند زيد ولا شك ان المال غير زيد وزيد غير المال. وهذا ظاهر لا غبار عليه . فكيف تكون الكلمة عنده وتكون عينه ثم تتجسد وتكون ابنه والابن عين ابيه والاب عين الابن ولا اظن ان من يعرف معنى الكلمة والكلام يتفوه بمثل هذا الهذيان الذى لا يكاد يجرى مثله على السنة المحمومين والسكارى والنيام، لأن الكلمة والكلام صفة المتكلم . والصفة لا تكون عين الموصوف فكلمة الله ليست ذات الله تعالى ولم نر فى شرائع الانبياء وكتبهم اطلاق الكلمة على ذات الله تعالى عز وجل) .

وسيأتى الكلام عن عقيدة النصارى بالوهية المسيح عيسى بن مريم مع مناقشتها وبيان بطلانها فى الباب الثانى ان شاء الله .

ولعل القارئ يتساءل لماذا خص عيسى عليه السلام بالوصف بأنه كلمة الله مع ان غيره من المخلوقات كلها خلقت ايضا بكلمة الله التى هى "كن" كما قال تعالى :

(٢)

" انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون " فكان خلق عيسى عليه السلام داخل تحت عموم هذه الاية ؟ .

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤٣

(٢) سورة يس ٨٢

الجواب على ذلك ان تخصيص عيسى عليه السلام بهذا الوصف اى بأنه "كلمة الله" لا يخلو من حكم اراد ها الله تعالى : منها فى نظرى لازالة شبه الناس فيه وفى امه عليهما السلام وذلك لأن ولادته من غير أب لا تخلو من الشبه والأقاويل . فاليهود ومن سار على نهجهم من الملحدين مثلا قد قذفوا مريم عليها السلام بالزنا وقالوا ان عيسى عليه السلام كان من زناها . والنصارى يقولون ان عيسى هو الله او ابن الله وقالوا ان الله قد تجسد فى بطن مريم ثم ظهر فى الأرض على صورة انسان فى شخص المسيح وسكن بين الناس حتى ظن الناس انه هو الانسان . والحقيقة انه هو الله . تعالى الله عما يصفون .

فلما وصفه الله تعالى بأنه "كلمته" اى انه خلق بكلمته التى هى "كن" تبين ان هذا تصريح واعلان من الله نفسه بأن خلق عيسى عليه السلام على غير السنن المعروفة لدى الناس من التوالد عن لقاء الزوجين كان من ارادته ومشيئته . فلا ينبغى للناس ان يشكوا فى خلقه وعبوديته لله وفى طهارة امه عليهما السلام ، لأنه خلق من مخلوقات الله تعالى على سبيل غير المادة ،

ولا عجب فى هذا فان الله خلق هذا النوع البشرى على الاقسام الممكنة ليبين عموم قدرته . فخلق آدم عليه السلام من غير ذكر ولا انثى وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى كما قال : " وخلق منها زوجها " وخلق المسيح من انثى بلا ذكر وخلق سائر الخلق من ذكر وانثى . وكان خلق آدم وحواء اعجب من خلق المسيح . فان حواء خلقت من ضلع آدم وهذا اعجب من خلق المسيح فى بطن مريم وخلق آدم اعجب من هذا وهذا وهو أصل خلق حواء . فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذى هو اعجب من خلق المسيح بقوله تعالى (١) (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من

---

(١) سورة آل عمران ٥٩

تراب ثم قال له كن فيكون) فاذا كان الله سبحانه و تعالى قادر ان يخلق آدم من تراب والتراب ليس من بدن الانسان فلِمَ لا يقدر ان يخلق عيسى من امرأة هي من جنس بدن الانسان ؟ و هو سبحانه و تعالى خلق آدم من تراب ثم قال له كن فيكون لما نفخ فيه من روحه * فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له كن فيكون . ولم يكن آدم بما نفخ فيه من روحه لاهوتا وناسوتا بل كله ناسوت فكذلك المسيح كله ناسوت(١) .

فبذلك بطل زعم النصارى في دعواهم بألوهية المسيح . وكذلك سقط اتهام اليهود مريم بالفحشاء لأن خلق عيسى كخلق آدم عليهما السلام وهو على غير السنن المعروفة و هذا يدل على عموم قدرة الله وارادته يفعل حيث يشاء قال الله تعالى (٢) (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وفي آية اخرى قال (٣) : (.... ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) .

ثانيا : معنى كون المسيح روح الله :

يجدر بنا أيضا قبل الدخول في الموضوع ان نعطي نبذة عن معاني كلمة " الروح " واطلاقاتها فنقول :

كلمة " الروح " تأتي بمعاني كثيرة : منها بمعنى النفخ سمي النفخ روحا لأنه يخرج من الروح . ومنه قول ذي الرمة في نار اقتدحها وأمر صاحبها بالنفخ فيها فقال :

فقلت له ارفعها اليك واحيها * بروحك واجعله لها قبة قدرا

اى احيها بنفخك واجعله لها (٤)

---

(١) انظر الجواب الصحيح ج ٢ ص ٢٩٤-٢٩٥ بتصرف
* اى نفخ فيه روحا من الارواح التي خلقها الله تعالى
(٢) سورة القصص ٦٨
(٣) سورة المائدة ١٧
(٤) انظر لسان العرب لابن منظور م ٢ ص ٤٥٩ - ٤٦٠

ومنها : الروح ما به حياة الانفس - او بعبارة اخرى بمعنى النفس المقوم للبدن ومنه قول الحريرى :

صبرت عليك حتى عيل صبرى وكادت تبلغ الروح التراقى (١)

وقد اطلقت " الروح " فى القرآن الكريم على معانى اخرى غير ما ذكر . قال ابن القيم فى كتابه (٢)

والروح فى القرآن على عدة اوجه " احدها " الوحى كقوله تعالى (٣) (ولذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا) ... وسمى الوحى روحا لما يحصل به حياة القلوب والارواح (الثانى) القوة والثبات والنصرة التى يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين كما قال تعالى (٤) " اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه " (الثالث) : جبريل كقوله تعالى (٥) " نزل به الروح الأمين " .... (الرابع) : الروح التى تسأل عنها اليهود فأجيبوا بانها من امر الله ... (الخامس) : المسيح بن مريم قال تعالى (٦) " انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ".

والذى نريد ان نتكلم عنه هو هذا الأخير اى الروح التى وصف الله بها عيسى عليه السلام بقوله " وروح منه " ما المراد بهذه الروح ؟ ولماذا وصف عيسى عليه السلام بأنه روح منه هذا هو الذى سنبينه ونوضحه . فنقول :

لقد اختلف العلماء فى المراد من قوله تعالى " وروح منه " فى وصف عيسى عليه السلام .

---

(١) انظر محيط المحيط لبطرس البستانى ج١ ص ٨٣٣ بتصرف

(٢) الروح ص ١٥٣-١٥٤ باختصار

(٣) سورة الشورى ٥٢

(٤) المجادلة ٢٢

(٥) الشعراء ١٩٣

(٦) سورة النساء ١٧١

قال القرافي (١) :

(وهو الروح الذى بمعنى النفس المقوم لبدن الانسان * ومعنى نفخ الله تعالى في عيسى عليه السلام من روحه أنه خلق روحا نفخها فيه فان جميع ارواح الناس يصدق انها روح الله وروح كل حيوان هى روح الله تعالى لأنه هو خالقها ومدبرها في جميع احوالها ، واما تخصيص عيسى عليه السلام بالذكر فللتنبيه على شرف عيسى عليه السلام وعلو منزلته بذكر الاضافة اليه)

وقال النسفي (٢) :

(وقيل له روح لأنه كان يحيى الموتى (باذن الله) كما سمى القرآن روحا بقوله (٣) " وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا " لما انه يحيى القلوب (منه) الى بتخليفه وتكوينه) .

وقال الجصاص (٤) :

(واما قوله تعالى " وروح منه " فلأنه كان بنفخة جبريل باذن الله تعالى . والنفخ يسمى روحا كقول ذى الرمة :

فقلت له افمها اليك واحيها بروحك واقتته لها قيتة قدرا

اى بنفخك . وقيل انما سماه روحا لأنه يحيى الناس به كما

---

(١) الاجوبة الفاخرة بهامش كتاب المعارف ص ٨ بالاختصار والتصرف .

*) واما تعريف الروح: فقد اختلف فيه . والذى يدل عليه الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقل ان النفس جسم مخالف بالماهية لهذا المحسوس وهو جسم نورانى علوى خفيف حى متحرك ينتقل فى جوهر الاعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار فى الفحم . فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الاثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم ساريا في هذه الاعضاء وافادتها هذه الاثار من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه بسبب استيلاء الأغلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الاثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الأرواح . انظر شرح الطحاوية تحقيق احمد شاكر ص ٣٤٧ .

(٢) تفسير النسفى ج ١ ص ٣٦٥

(٣) سورة الشورى ٥٢

(٤) احكام القرآن م ٢ ص ٢٩٢

يحيون بالارواح . ولهذا المعنى سمى القرآن روحا فى قوله تعالى " كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا " وقيل لانه روح من الارواح كسائر ارواح الناس. واضافة الله تعالى اليه تشريفا كما يقال بيت الله وسماء الله) .

والذى اختاره ان المراد بوصف عيسى عليه السلام بأنه روح الله هو انه كان بنفخة جبريل باذن الله تعالى . ومعنى ذلك ان الله خلق روحا ثم ارسل بها جبريل فنفخها فى مريم فحبلت به من ذلك النفخ ، واضافة الروح الى الله تعالى تشريف له .

قال ابن تيمية (١) :

(وقوله عن المسيح " روح منه " خص المسيح بذلك لأنه نفخ فى أمه من الروح فحبلت به من ذلك النفخ وذلك غير روحه التى يشارك فيها سائر البشر فامتاز بأن حبلت به من نفخ الروح فلهذا سمى روحا منه) .

واما النصارى فقد قالوا ان عيسى عليه السلام من روح الله اى من ذاته فهو عندهم قديم فلذلك عبدوه والهوه . قال ابن القيم فى كتابه (٢) :

(فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعا لأن عيسى عندهم روح من الله صار فى مريم فهو غير مخلوق عندهم) .

فهذا خطأ فاحش لأن اضافة الروح الى الله لا تعنى ان الروح من ذاته وانه قديم مثل ذاته تعالى بل المراد منها ان الله تعالى خلق روحا ثم نفخ فى عيسى عليه السلام كما قال تعالى (٣) : (والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٢ ص ٣٠٣
(٢) الروح ص ١٤٥
(٣) سورة الانبياء ٩٧

ومثل قوله في حق آدم عليه السلام (١) (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي) . فالمضاف الى الله هنا من اضافة المخلوق لخالقه والمملوك لمالكه . وينبغي الانتباه هنا ان المضاف الى الله تعالى نوعان . صفات لا تقوم بانفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر فهذه اضافة صفة الى الموصوف بها فهذه الصفات كلها غير مخلوقة . الثاني : اضافة اعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح فهذه اضافة مخلوق الى خالقه فهذه الاضافة تقتضي تخصيصا وتشريفا فاضافة الروح الى الرب فهي مخلوقة اضافها الى نفسه اضافة تخصيص وتشريف (٢) .

وقال محمد عزت الطهطاوي (٣) :

(واضافة الروح الى الله من اضافة المملوك لمالكه والمخلوق لخالقه . أي روح صادرة عن الله صدور المخلوق عن الخالق وكل ارواح البشر صادرة عن الله . واختص عيسى في القرآن بهذه النسبة تشريفا له لصفاء روحه واما اطلاق كلمة الله عليه فلأنه صادر عن الله بكلمة " كن " على غير سنن التوالد الناشيء عن لقاء الزوجين) .

وجاء في مقالة الشيخ محمد عبد الخالق عظيمة التي اصدرها مجلة " رسالة الطالب المسلم " قال :

(يروى ان طبيبا نصرانيا حاذقا كان في معية الرشيد ناظر ذات يوم علي بن الحسين الواقدي . فقال له : ان في القرآن ما يشهد على ان عيسى جزء من الله . وهو قوله : " وروح منه " فقرأ الواقدي قوله تعالى (٤) : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) وقال ان كان يجب

---

(١) سورة الحجر ٢٩
(٢) انظر الروح لابن القيم ١٥٤ بتصرف
(٣) النصرانية والاسلام ص ١٨٧
(٤) سورة الجاثية ١٣

بهذا ان يكون عيسى جزءا منه زجب ان يكون جميع ما فى السموات وما فى الارض جزءا منه تعالى ،فانقطع النصرانى واسلم).(١) وبهذا يتبين ان حرف "من" فى "وروح منه" وفى "جميعا منه" ليس للتبعيض ولكن لابتداء الغاية . قال ابن جزى الكلبى (٢) :

("وروح منه" اى ذو روح من الله فمن هنا لابتداء الغاية ، والمعنى من عند الله وجعله من عند الله لأن الله ارسل به جبريل عليه السلام الى مريم) .

والخلاصة مما تقدم ان معنى كون المسيح عيسى بن مريم روح الله اى ان الله تعالى خلق روحا ثم امر جبريل بنفخها فى مريم فحبلت به بذلك النفخ . ولهذا سمى المسيح روحا ، واضافة الروح الى الله تعالى للتشريف وهى من اضافة المخلوق الى خالقه والمملوك لمالكه . اى ان الروح صادرة عن الله تعالى صدور المخلوق عن الخالق . وليس كما تقول النصارى ان عيسى روح من الله اى كان جزءا من ذات الله - تعالى الله عما يصفون - لأن الله تعالى لا يتجزأ كأجزاء المخلوقات .

---

(١) مجلة "رسالة الطالب المسلم" العدد الثانى ١٣٩٩/٩٨ هـ تحت عنوان "نصيحتى الى الطالب المسلم" اصدرها عمادة شئون الطلاب بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص ١٦٥

الفصل الثانـــــى

نشأة عيسى عليه السلام و تربيتـــــه

ليس لدينا معلومات كثيرة عن نشأة عيسى عليه السلام وتربيته الا الشـــىء اليسير من مصادر غير موثوق بها لأنها لم تستند فى مأخذها على القـــرآن ولا على الاحاديث الصحاح .

قال محمد أبو زهرة (١) : "ولم يذكر فى الاثار الصحاح عن النبـــى عليه السلام حال عيسى عليه السلام فى مرباه ونشأته وكيف يكون منه ما يكون ارهاصا بنبوته فليس لنا الا ان نقول انه قد تربى بما كان يتربى به أمثالـــه الذين ينشأون على التقى والمعرفة فى بنى اسرائيل و يغلب على الظن ان يكون قد ظهر منه وهو غلام ما يدل على روحانيته وما يدعو اليه بعد ذلك من حيـاة روحية وسط قوم سيطرت عليهم المادة و غلبت عليهم نزعتها والاتجاه اليها .)

و قد نشأ فيما يبدو مثلما عليه اصحاب الرسالات الكبرى الذين واجهـوا الصعوبات وأصيبوا بالابتلاء والمحن فى صباهم . وما هذه كلها الا لتدريبهم و تعويدهم على الصبر والثبات والشجاعة فى مواجهة الشدائد . بل كان الابتلاء الذى أصيب به عيسى عليه السلام أشد وأقسى منهم. اذ ما ان فتح عينيه تتظران العالم وقبل أن يدب على الارض اذ بقومه يمطرون عليه وعلى أمـــه وابلا من الاتهامات والاقاويل . ولكنه بتوفيق من الله تعالى استطاع ان يتغلب على هذه الاقاويل الباطلة اذ جعله قادرا على التكلم قبل اوانه . وقـــــد ذكرت ذلك من قبل . ثم توالت عليه المحن بعد ذلك الى ان رفعه اللـــه الى السماء .

قال محمد عنبر (٢) :

(والسيد المسيح منذ صباح على فطرة امثاله من اصحاب

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٢٠

(٢) بين عيسى و محمد ص ٤٦

الرسالات الكبرى الذين لا ينقطعون لحظة عن الرياضة الروحية * التي تجعلهم من صباهم عرضة للقلق والتنقيب في أعماق الكون لعلهم يهتدون الى طريق الله . وقد تغلب المسيح على هذه المحنة القاسية كما تغلب الانبياء جميعا بعد قلق وجهاد وصبر أليم) .

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ان مريم ذهبت بعيسى عليه السلام الى مصر خوفا على حياته لما قيل ان الحاكم الروماني سيقتل كل الاطفال المولودين في ذلك الوقت . وذلك عندما اشتهر في بني اسرائيل ان عيسى عليه السلام قد تكلم في المهد وظهر فيه العجائب فتسرب هذا النبأ الى الحاكم الروماني في فلسطين - واسم هذا الحاكم هيرودوس - فخاف منه ان يهدد حكومته في المستقبل فأمر جواسيسه ان يبحثوا عنه ويحضروه اليه ليقتله فلم يجدوه . فغضب هذا الحاكم الظالم على ذلك فأمر ان يقتل كل طفل ولد في هذا الوقت . فلما علمت مريم ذلك ذهبت بعيسى الى مصر فرارا منه .

قال ابن الأثير (١) :

(وقيل : ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى . وقيل الربوة دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك . فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني اسرائيل وكان من الروم واسمه هيرودوس . فان اليهود أغروه بقتله فساروا الى مصر واقاموا بها اثنتي عشرة سنة الى ان مات ذلك الملك وعادوا الى الشام) .

---

* قوله عن " الرياضة الروحية " الاولى ان يقال " عن التفكير في مخلوقات الله " لأن كلمة (الرياضة الروحية) غالبا تستعمل في التدريب الروحي المنحرف عن الطريق المستقيم . والله اعلم .

(١) الكامل في التاريخ م١ ص ١٧٨

وجاء فى البداية والنهاية (١) قال :

(وقال اسحق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال " وكان عيسى يرى العجائب فى صباه الهاما من الله ففشا ذلك فى اليهود و ترعرع عيسى فهمت به* بنواسرائيل فخافت امه عليه فأوحى الله الى امه ان تنطلق به الى ارض مصر. فذلك قوله تعالى ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار و معين ﴾ (٢))

والربوة هى الأرض المرتفعة و يظهر ان المراد هنا الربوة فى أرض مصـــر . والله أعلم.

وقال أبو الفداء (٣) :

(وسار معها الى مصر واقاما هناك اثنتى عشرة سنة ثم عاد عيسى وأمه الى الشام ونزلا الناصرة و بها سميت النصارى) .

و هذه الروايات لم تختلف عما جاء فى انجيلي " متى " و " برنابـــا " فى قصة اوردها تتلخص بأن الملك قد أمر يوسف النجار فى حلمه ان يذهب بعيسى وأمه الى مصر ويمكثوا هنا الى ان يؤذنوا بالرجوع ،لأن هيرودوس امر بقتل كل طفل ولدوا فى بيت لحم فى ذلك الوقت فذهب بهما الى مصر واقاموا هناك الى ان مات هيرودوس(٤) .

عاش عيسى عليه السلام فى مصر كغيره من الاطفال الا ان اللـــــه قد أيده بـكرامات لم تكن لغيره .

---

(١) ابن كثير : ج ٢ ص ٧٧ .

(*) فهمت به : اى اقلقت واحزنت به انظر المنجد : فى اللغة ٨٧٢ .

(٢) سورة المؤمنين ٥٠

(٣) المختصر لاخبار البشر م ١ ص ٤٩ وانظر الأنس الجليل لمجير الدين ج ١ ص ١٦١

(٤) انظر " متى " الفصل الثانى فقرة ١٣ وما بعدها . وانظر انجيل " برنابا" الفصل الثامن والتاسع .

وقد روى انه لما ذهبت مريم عليها السلام الى مصر نزلت على دهقان وكانت داره يأوى اليها الفقراء والمساكين والمحاويج فسرق له مال . فلم ير أحد من سرقه . وعز ذلك على مريم عليها السلام وشق على الناس وعلى رب المنزل وأعياهم امرها . فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك قال إنه قد سرقه الاعمى والمقعد اشتركا فيه ، حمل الاعمى المقعد فأخذه . فاعترفا واعاداه الى الدهقان . ونزل بالدهقان أضياف كثيرون فأطعمهم ، ثم أراد ان يسقيهم شرابا فلم يجد في جراره شيئا . فشق عليه ذلك . فلما رأى عيسى منه أمرّ يده على افواه الجرار فامتلأت شرابا (١) .

هذه الكرامات وغيرها أيد الله بها عيسى عليه السلام وهو صبي . فهذا مما يدل على عناية الله تعالى به ومباركته فيه . ولعل هذا تحقيقا لقوله عليه السلام كما جاء في قوله تعالى (٢) " وجعلني مباركا أينما كنت " . كما لا يبعد ان تكون هذه الكرامات دليلا على انه سيكون رجلا عظيما وجيها في الدنيا والآخرة . والله أعلم .

وبعد ان مات هيرودوس رجع عيسى وامه عليهما السلام الى الشام وسكنا الناصرة .

جاء في قصص الأنبياء للثعلبي (٣) قال :

(قال وهب : لما مات هيرودوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام اوحى الله الى مريم يخبرها بموت هيرودوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وامه عليهما السلام وسكنا في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى) .

---

(١) راجع الكامل في التاريخ لابن الاثير م١ ص ١٧٨ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٧٥ .

(٢) سورة مريم ٣١

(٣) ص ٣٥٠

تبين مما سبق ان عيسى عليه السلام نشأ نشأة صعبة وعاش عيشة قسوة حيث انتقل من مكان الى مكان آخر لحفظ كيانه وحياته .

واما تربيته عليه السلام فلقد والده تربى تربية دينية وأخلاقية ونشأ في جو العلم والثقافة . كانت هوايته حضور مجالس العلماء والحكماء والاجتماع في حلقاتهم يستقي منهم العلوم والمعارف و يناقشهم ويجادلهم حول المسائل الدينية والثقافية . وقد امتاز بذكاء وفهم عميق حتى اعجب به معلموه . فعندما دخل في حلقات التعليم واستمع الى كلام المعلمين فلم يسلم بجميع الاقوال التي خرجت من افواههم بل يناقشهم ويجادلهم حتى اتضح له تمام الوضوح .

قال محمود زهران (١) :

(ويتسلل عيسى وهو غلام الى مجالس الأحبار والرهبان من علماء اليهود من حملة التوراة وشارحي التعاليم و معلمي الدين فيتتلمذ عليهم ويحاورهم ويأخذ عنهم ويجادلهم ويضيق صدره بما يفتون ويضيقون به حين يعترض على ما يقولون) .

وكان عليه السلام قد أقضى اكثر اوقاته في زمن صغره لأجل العلم والمعرفة .

قال الدكتور أحمد شلبي (٢) :

(وكان ينتقل مع امه بين الناصرة وبيت المقدس وامتاز بذكاء وعمق فلم يكن يهتم بمظاهر الاشياء بل كان يغوص في اعماقها وكان يسمع المدرسين والحكماء فلم يسلم بما يقولون به بل يناقشهم كلما رأى في كلامهم غموضا او الغازا مما تعود سواه ان يقبلها دون تفسير او نقاش . وقد ألمّ بالتوراة و نال من العلم قسطا كبيرا) .

---

(١) قصص القرآن ص ٢٥٤-٢٥٥

(٢) مقارنة الاديان ج ٢ ص ٣٧

وقد اشتهر عيسى عليه السلام - وهو غلام - بالذكاء والفهم العميق. وكان مقياس ذكائه وفهمه ومقدرته تتفوق امثاله بدرجة لا يدانيها أحد. قال الثعلبي (١):

(وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة).

وبجانب الذكاء الفطري الذي وهبه الله لعيسى عليه السلام كان اهتمامه بالعلوم والمعارف اكثر من غيرها حتى انه في بعض الاحيان قد أنساه الطعام والشراب لشدة حماسته في مناقشات علمية مع الحكماء والعلماء.

وفي ذات يوم ذهب عيسى مع امه عليهما السلام الى بيت المقدس. ولما وصلا هناك ترك امه دون ان يخبرها ودخل في حلقات التعليم واستمع الى حديث الكهنة مع جماعة من الناس. فكانوا يستمعون الى آرائهم وينصتون كأن على رؤوسهم طير. فيقبلون كل قول ويصدقون كل حديث صدر من افواههم ولكن عيسى عليه السلام ليس مثلهم فلا يقبل كل قول ولا يصدق كل حديث، بل كان يسألهم ويناقشهم فيما يراه يحتاج الى البيان والايضاح. ففضب عليه بعضهم لجرأته في الاعتراض على كهنتهم وانكروا عليه. ولكن عيسى عليه السلام لم يعبأ بهم بل يستمر في المناقشة ويمطر عليهم بالأسئلة.

وقد أنساه ذلك طعامه وشرابه وانتظار امه اياه - وقد طال انتظارها اياه وهو لم يرجع. فبدأت تبحث عنه في كل مكان ظنته انه يأوي اليه ولكنها لم تجده. فلما اعياها البحث ظنت انه قد رجع مع بعض اقاربه او سافر به بعض اهل بلده. فعادت الى قريتها "الناصر" فبحثت عنه فلم تجده فعادت مرة ثانية الى بيت المقدس تفتش عنه. ولم تترك في هذه المرة مكانا الا دخلته او بابا الا ولجته. وأخيرا وجدته قد اندمج في زمرة العلماء يناقشهم ويجادلهم

---

(١) قصص الانبياء ص. ٣٥٠

بحماسة وشجاعة . فعجبت مريم من ذلك ، فدعته اليها فسألته عما الهاه عنها وأنساه عن الطعام والشراب وأنبته لفعلته التى اتعبتها فى البحث عنه . فأجابها بأنه قد استهوته مناقشة الحكماء ومناقشة العلماء . ثم سار مع امه ورجعا الى الناصرة (١)

هذه القصة لخصتها من كتاب " قصص الأنبياء " الذى الفه محمد جاد المولى ورفقاؤه فى الصفحات التى اشرتها فى الهامش . ونجد هذه القصة لم تختلف عما جاء به انجيل " برنابا " ولعل مؤلفوه اخذوها منه . ولايضاح ذلك نأتى هنا بنصوص " برنابا " بكاملها .

يقول برنابا فى انجيله (٢) :

(٧ - ولما بلغ يسوع اثنتى عشرة سنة من العمر صعد مع مريم ويوسف الى اورشليم ليسجد هناك حسب شريعة الرب المكتوبة فى كتاب موسى -٨- ولما تمت صلواتهم انصرفوا بعد ان فقدوا يسوع -٩- لأنهم ظنوا انه عاد الى الوطن مع اقربائهم -١٠- ولذلك عادت مريم مع يوسف الى اورشليم/ينشدان يسوع بين الاقرباء والجيران -١١- وفى اليوم الثالث وجدوا الصبى فى الهيكل وسط العلماء يحاججهم فى أمر الناموس -١٢- وأعجب كل أحد بأسئلته وأجوبته قائلا : كيف أوتى مثل هذا العلم وهو حدث ولم يتعلم القراءة -١٣- فعنفته مريم قائلة : يابنى ماذا فعلت بنا فقد نشدتك وابوك * ثلاثة ايام ونحن حزينان -١٤- فأجاب يسوع : الا تعلمين ان خدمة الله يجب ان تقدم على الأب والأم - ١٥- ثم نزل يسوع مع أمه ويوسف الى الناصرة -١٦- وكان مطيعا لهما بتواضع واحترام) .

---

(١) راجع قص القرآن محمد جاد المولى وغيره ص ٢٥٧-٢٥٩

(٢) فصل ٩ فقرة ٧-١٦

* ينبغى ان يعلم/أن النصارى يقولون ان يوسف النجار تزوج من مريم بعد ولادتها بعيسى عليه السلام فلذلك نسب عيسى اليه . لأنه لا أب له والله اعلم بصحة هذا .

تلك هي النصوص التي كتبها "برنابا" حول قصة عيسى عليه السلام في صباه . وبعد البحث عن هذه النصوص فلم اجد فيها ما يخالف العقيدة الاسلامية . ولذلك اتيت بها هنا كمصدر من مصادر التاريخ وليس كمصدر من مصادر الدين والعقيدة .

وقد اورد الشيخ عبدالوهاب النجار في كتابه (١) هذه النصوص ثم علق عليه وقال :

(من مجموع ذلك نفهم ان المسيح عليه السلام نشأ نشأة محمودة لا غبار عليها وانه كان غيورا على الدين منذ صغره حريصا على تفهم حكمه واسراره وانه كان يختلس من وقته ما يقوى به معارفه ويثبت به علمه . ويجالس العلماء ويناقشهم ويسائلهم ويجيبهم . فالبيئة التي تمر بها صباه وشبابه بيئة علم وحكمة ودين) .

ومما تقدم اتضح لنا ان عيسى عليه السلام نشأ في بيئة علمية وتربى بتربية دينية وتخلق بأخلاق كريمة . وعاش في رعاية الله ونعمه مؤيدا بالكرامات التي بها يتغلب على المحن والبلاء التي واجهها منذ صباه وتكون حياته مملوءة بالرياضة البدنية والروحية مما يكون ذلك استعدادا له لأن يحمل مسئولية كبرى اشد وأشق . ألا وهي مسئولية الرسالة الالهية التي لا يمكن حملها الا لمن امتحنه الله واجتباه .

هكذا خلاصة نشأة عيسى عليه السلام وتربيته في صباه . ثم سكت التاريخ عما وراء هذه الفترة من حياته الى ان بدأ بنشر دعوته ورسالته في عمره الثلاثين . وسيأتي الكلام عنها في الفصل الرابع من هذا الباب ان شاء الله .

---

(١) قصص الأنبياء ص ٣٨٧ .

الفصل الثالث

صفة عيسى عليه السلام وشمائله

لقد تكلم القرآن والحديث عن حياة عيسى عليه السلام واوصافه وشمائله من بدء خلقه الى رفعه الى السماء ثم نزوله الى الارض في آخر الزمان .

فنجد أن كلا منهما له وجهته الخاصة من حيث الاهتمام والاعتناء فالقرآن الكريم اهتم ببيان مكانة عيسى عليه السلام وخصائصه وخلقه وما يدل على بشريته وطهارته مما افتراه المفترون حوله وحول امه . واما الاحاديث فقد اعتنت ببيان اوصافه وصورته الجسمانية وبيان نزوله في آخر الزمان يقتل الدجال واتباعه و يمحو جميع الاديان الا الاسلام ويحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

و بيان ذلك كما يلي :

بين القرآن الكريم بوجه عام ان عيسى عليه السلام رسول الله شأنه كشأن الرسل والانبياء الآخرين . وانهم من البشر قد اصطفاهم الله ليؤدوا رسالته وامانته الى العباد . و عيسى عليه السلام من جملتهم . قال الله تعالى (١) :

(ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام . . .)

وفي وصفهما بأنهما يأكلان الطعام دليل على بشريتهما . وفيه رد لما زعمه بعض النصارى من ان عيسى وامه الهان . قال الطبري (٢) :

(وقوله " كانا يأكلان الطعام " خبر من الله ذكره عن المسيح وامه انهما كانا اهل حاجة الى ما يغذيهما و تقوم به ابدانهما

---

(١) سورة المائدة :
(٢) تفسير الطبري ج٦ ص ٣١٥

من المطاعم والمشارب، كسائر البشر من بني آدم . فان من كان كذلك فغير كائن الها لانّ المحتاج الى الغذاء قوامه بغيره وفي قوامه بغيره وحاجته الى ما يقيمه دليل واضح على عجزه والعاجز لا يكون الا مربوبا لا ربا) .

وجاء في تفسير القرطبي (١) قال :

(وقال بعض المفسرين في قوله " كانا يأكلان الطعام " انه كناية عن الغائط والبول . وفي هذا دلالة على انهما بشران) .

ومن الأدلة التي تبين رسالة عيسى عليه السلام ونبوته وبشريته وعبوديته لله تعالى قولي تعالى حكاية عن كلام عيسى عليه السلام وهو في المهد (٢) : (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) وقوله (٣) (والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) وقوله تعالى (٤) : (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) .

فمجموع هذه الايات تبين ان عيسى عليه السلام عبد من عباد الله تعالى وانه قد ولد وسيموت وسيبعث كغيره من الناس وان الله قد اوحى اليه بالنبوة والرسالة كما اوحى الى غيره من الرسل والانبياء .

واما الصفات والخصائص التي امتاز بها عيسى عليه السلام عن سائر الناس فمنها : ولادته من غير أب اي انه مخلوق من غير أب بل بنفخة جبريل في جيب مريم بأمر الله تعالى فحملت بعيسى عليه السلام ثم ولدته . ولذلك اطلقت عليه " كلمة الله وروح منه " تشريفا له .

---

(١) ج ٦ ص ٢٥٠-٢٥١

(٢) سورة مريم ٣٠

(٣) نفس السورة ٣٣

(٤) سورة النساء ١٦٣

وقد سبق الكلام عن هذا من قبل ومنها : رفعه الى السماء وبقاؤه حيا حتى الآن ثم نزوله فى آخر الزمان كما قال الله تعالى (١) (. . . وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) . وقال تعالى (٢) (وانه لعلم للساعة) اى ان نزوله فى آخر الزمان علامة من علامات الساعة ، وسيأتى الكلام مفصلا عن هذه المسألة فى الباب الرابع ان شاء الله .

ومن فضائل عيسى عليه السلام وخصائصه ان الله قد ايده بالمعجزات الكثيرة التى لم توجد مثلها فى غيره من الرسل كخلق الطين طيرا وابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله وانباء ما يؤكل وما يدخر فى البيوت وغيرها من المعجزات . كما جاء فى قوله تعالى حكاية عنه (٣) :

(ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والأبرص واحى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) .

وسيأتى الكلام عن هذه المعجزات مفصلا فى المبحث الاول من الفصل الرابع من هذا الباب ان شاء الله .

ومن فضائله ايضا ،ان الله قد باركه فى حياته كلها وايده بروح القدس وصار وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين . كما قال تعالى حكاية عنه انه قال وهو فى المهد (٤) (وجعلنى مباركا اين ما كنت) وقال تعالى (٥) :

(ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين) .

---

(١) سورة النساء ١٥٧-١٥٨

(٢) سورة الزخرف ٦١

(٣) آل عمران ٤٩

(٤) سورة مريم ٣١

(٥) آل عمران ٤٥

روى البخارى فى صحيحه (١) قال :

(حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا ابو ضمرة حدثنا موسى عن نافع قال عبدالله ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يوما بين ظهرى الناس المسيح الدجال .. الى ان قال ... وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام فاذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رَجِل الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يديه على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا هذا المسيح بن مريم .... الحديث) .

قال ابن حجر العسقلانى (٢) :

(قوله "آدم" بالمد اى اسمر .... قوله "تضرب لمته" بكسر اللام اى شعر رأسه ويقال له اذا جاوز شحمة الاذنين وألم بالمنكبين لمة . واذا جاوزت المنكبين فهى جمة واذا قصرت عنهما وهى وفرة . قوله "رجل الشعر" بكسر الجيم اى قد سرحه ودهنه) .

وأخرج مسلم (٣) بهذا المعنى وقال :

(عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أرانى ليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن ما انت راء من أدم الرجال له لمة كأحسن ما انت راء من اللمم قد رجّلها فهى تقطر ماء متكئا على رجلين " او على عواتق رجلين" يطوف بالبيت . فسألت من هذا فقيل هذا المسيح بن مريم ..... الحديث) .

---

(١) ج ٤ كتاب (الانبياء ٦٠) باب "واذكر فى الكتاب مريم ٤٨" ص ١٤١

(٢) فتح البارى ج ٦ ص ٤٨٥ - ٤٨٦

(٣) صحيح مسلم ج ١ " كتاب الايمان ١ " باب ذكر المسيح بن مريم ٧٥ ص ١٥٤

الحمرة والبياض سبط الرأس* .... الحديث) .

تلك هى صورة عيسى عليه السلام كما بينته الاحاديث . فيبدو امامنا انه قد استجمع فيه جميع الصفات الجسمية التى يحبها كل الرجال . فاعتدال القامة وعرض الصدر من علامة القوة . وابيض اللون المائل الى الحمرة مع الشعر الاسود اللامع من معالم الجمال وحسن المنظر .

وجاء فى قصص الأنبياء (١) فى وصف المسيح قال :

(قال كعب الاحبار : كان عيسى بن مريم رجلا احمر مائلا الى البياض ما هو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشى حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حلية ولا متاعا ولا ثيابا ولا رزقا الا قوت يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى باذن الله . وكان يخبر قومه بما يأكلون فى بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشى على وجه الماء فى البحر وكان اشعث الرأس صغير الوجه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الاخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا فى الأرض حتى طلبته اليهود واراد وا قتله فرفعه الله الى السماء والله اعلم) .

وقال القرمانى (٢) فى وصفه :

(كان رجلا احمر يميل الى البياض مربوع القامة سبط الرأس صغير الوجه افرق السن وكان يمشى حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حرفة ولا حلية ولا متاعا ولا أثاثا ولا اسبابا ولا ثيابا الا ما يستره وقوت يومه وكان سياحا فى الأرض اينما غابت الشمس بات فى ذلك المكان واستمر يصلى حتى الصبح وكان يبرىء الأكمه

---

* قوله " سبط الرأس " قال اهل اللغة : الشعر السبط هو المسترسل ليس فيه تكسر .

(١) الثعلبى ص ٣٤٨

(٢) اخبار الدول واثار الاول فى التاريخ ص ٢٧ .

وسيأتي الكلام مفصلا عن نزوله في آخر الزمان وما يتعلق به في الباب الرابع ان شاء الله .

هذا هو عيسى بن مريم كما وصفه القرآن والحديث وبينته اقـــــوال المؤرخين . ويمكن اجمال ما تقدم ان عيسى عليه السلام رسول من رســـل الله تعالى ارسله الى بني اسرائيل وله صفات جسمانية وروحانية ممتازة ممـا يجعل له عظمة وهيبة في اعين الناس . ووجيها في الدنيا والاخرة ومـن المقربين . كان معتدل القامة عريض الصدر ابيض اللون المائل الى الحمرة ذا شعر لامـــع وسبط . وكان ذا عقل حاد وفهم عميق ونظرة بعيدة وفكر واسع .. وكان فصيح اللسان قوي الحجة . بليغا في الكلام بديعا فـي التعبير. وكان جريئا في الحق وصابرا على الشدائد والمكاره لا يخاف في الله لومة لائم . وكان ذا نفس زكية وطاهرة فلا يؤذي احدا قولا او فعلا . وكان سياحا زاهدا في الدنيا متوكلا على الله تعالى ساهرا في الليل للعبـادة. وله من الخصائص ما لم توجد مثلها في غيره من البشر . فولادته من غير أب ورفعه الى السماء حيا ثم نزوله في آخر الزمان من الامور الخصوصيـــة لعيسى عليه السلام ومع ذلك فلا يخرج عن كونه بشرا وعبدا مربوبا .

قال الله تعالى (١) :

(لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليـــــه جميعا) .

---

(١) سورة النساء ١٧٢ .

الفصل الرابـــع

نبوة المسيح ودعوتـــــــه

وفيه مبحثـــــان

المبحث الأول : اثبات نبوة المسيح عليه السلام :

قلنا أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله ارسله الى بنى اسرائيل خاصة . فيجب علينا الايمان برسالته ونبوته لثبوتها بالأدلة القطعيـــة اليقينية . فانكار نبوته ورسالته انكار لأحد اركان الايمان الستة . لأن الايمان بالرسل يجب ان يكون شاملا لجميعهم . فلا يكفى الايمان ببعضهم دون بعض قال الله تعالى (١) :

(آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله) .

فالله أخبرنا ان رسوله والمؤمنين قد آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله جميعـا دون التفريق بينهم وهذه من صفات المؤمن . ومن خالف شيئا من هـــذه الصفات كالتفريق بين الرسل فلا يكون مؤمنا .

ونبوة عيسى عليه السلام ورسالته قد ثبتت بأدلة كثيرة نقلية وعقلية . نذكر منها ما يأتى :

١ - منها ما جاء فى القرآن الكريم :

لقد بين القرآن الكريم فى آيات كثيرة ما يثبت نبوة عيسى عليه الســـلام ورسالته وانه من جملة الرسل . منها قوله تعالى (٢) :

(اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ... الى ان قال .. ورسولا الى بنى اسرائيل ...) .

---

(١) سورة البقرة ٢٨٥

(٢) سورة آل عمران ٤٥-٤٩

وقوله تعالى (١) :

(ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل . .)

وقوله (٢) :

(وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) .

و قد اعترف عيسى عليه السلام بنبوته حينما تكلم فى المهد كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم حيث قال (٣) :

(قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ؛ . .) .

فهذه الآيات وغيرها كثير تدل على نبوة عيسى عليه السلام ورسالته صراحة ، فلا مجال للشك فيها . و من شك فيها فقد فرق بين رسل الله تعالى وآمن ببعض و كفر ببعض . وما جزاء من يفعل ذلك الا خزى فى الحياة الدنيا و فى الآخرة .

٢ - و منها ما جاء بالحديث :

فهناك أحاديث كثيرة تدل على نبوته ورسالته عليه السلام ولكن سنكتفى بالبعض منها وبالأخص ببعض ما ثبت فى البخارى و مسلم لكونهما اصح الكتب بعد القرآن الكريم .

فمن هذه الأحاديث :

أ - ما رواه البخارى (٤) عن عبادة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله و كلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) .

---

(١) سورة المائدة ٧٥
(٢) سورة النساء ١٠٧
(٣) سورة مريم ٣٠
(٤) البخارى ج ٤ " كتاب الانبياء ٦٠ " باب قول الله تعالى اذ قالت الملائكة الخ ٤٦ " ص ١٣٩

تعالى . ولمّا كان عيسى عليه السلام قد أيده الله بالمعجزات كما سيأتي بيانها تبين انه صادق فى دعواه النبوة والرسالة . وان ما ادعاه كان من الله تعالى فكأن تأييده بالمعجزات بمثابة قوله : صدق عبدى فيما يبلغ عنى .

وفيما يلى نتكلم بالتفصيل عن معجزاته عليه السلام حسبما جاء بها القرآن مع الاتيان بآراء العلماء فى ذلك.

معجزات عيسى عليه السلام :

يجدر بنا قبل التحدث عن معجزات عيسى عليه السلام أن نعطى نبذة عن تعريف المعجزة عند العلماء فنقول :

لقد اختلفت عبارات العلماء فى تعريف المعجزة :

قال السيوطى (١) :

(ان المعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة) .

وقال ابن خلدون (٢) :

(وهى افعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وانما تقع فى غير محل قدرتهم) .

وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى (٣)

(هى كل أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين له على وجه يبين صدق دعواه) .

فمن مجموع التعاريف المتقدمة يتضح لنا ان المعجزة هى أمر خارق للعادة المألوفة عند البشر أظهرها الله على من ارسله تصديقا لدعواه مع عجز معارضيه عن الاتيان بمثلها .

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١١٦
(٢) المقدمة ص ٩٣
(٣) كبرى اليقينات الكونية ص ٢٢٩

والغالب ان تكون معجزة كل رسول من نوع ما اشتهر به قومه. وكان بنو اسرائيل فى زمن عيسى عليه السلام يفاخرون بالطب، لذا كانت معجزاته عليه السلام من هذا النوع .

قال عبد الرحمن حبنكة الميدانى (١) :

(واما معجزاته فقد ارسل الله عيسى عليه السلام فى قوم يفاخرون بمهارتهم بالطب بحسب مستوى زمانهم فأجرى الله على يديه معجزات باهرات تشاكل نوع مهارة قومه بحسب الصورة . ولكن بمستوى لا يستطيع الطب بالغا ما بلغ ان يصل الى ما وصلت اليه معجزاته عليه السلام) .

وقد بين الله تعالى معجزات عيسى عليه السلام فى عدة آيات فى سور آل عمران والنساء والمائدة . وذلك قوله تعالى (٢) :

(ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين) .

وقوله (٣) :

(ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الأكمه والأبرص وأحى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) .

وقوله تعالى (٤) :

(اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء. قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا

---

(١) العقيدة الاسلامية واسسها ص ٣٥٨
(٢) سورة آل عمران ٤٦
(٣) نفس السورة ٤٩
(٤) سورة المائدة ١١٢-١١٥

الجاهلون حولهما . وذلك لما جاءت مريم بعيسى قومه قابلوها بالانكار واتهموها بالفاحشة . فعند ذلك تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد بقوله :

(انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا) (١)

فلما سمعوا هذا الكلام تركوهما . وقد تكلمنا على هذا مفصلا فيما مضى فلا حاجة الى الاعادة هنا .

ثانيا - خلق الطين طيرا :

من معجزات عيسى عليه السلام انه يخلق من الطين كهيئة الطير فيطير في الهواء باذن الله تعالى . وقد تقدم قوله تعالى حكاية عنه انه قال (٢) :

(انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) .

قال الشوكانى (٣) :

(وقوله " باذن الله " فيه دليل على انه لولا الاذن من الله عز وجل لم يقدر على ذلك)

والطير هنا : الخفاش .

قال الثعلبى (٤) :

(ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لأنه اكمل الطير خلقا فيكون ابلغ فى القدرة لأن له ثديا واسنانا ويلد ويحيض ويطير . قال وهب : كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق عن فعل الله وليعلم ان الكمال لله عز وجل) .

---

(١) سورة مريم ٣٠
(٢) سورة آل عمران ٤٩
(٣) فتح القدير ج ١ ص ٣٤٢
(٤) قصص الأنبياء ص ٣٥٢- ٣٥٣

وأخرج ابن جرير الطبرى (١) عن ابن اسحاق قال :

(ان عيسى صلوات الله عليه جلس يوما مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال : أجعل لكم من هذا الطين طائرا ، قالوا : و تستطيع ذلك ؟ قال : نعم باذن ربي . ثم هيأه حتى اذا جعله فى هيئة الطائر نفخ فيه ثم قال : كن طائرا باذن الله . فخرج يطير بين كفيه) .

ثالثا - ابراء الأكمه والأبرص :

من معجزات عيسى عليه السلام ابراء الأكمه والأبرص . وقد عجز الأطباء عن مداواتهما . ولكن عيسى عليه السلام استطاع ذلك باذن الله تعالى .

والأبرص هو الذى اصيب بالبرص وهو بياض فى الجلد . قال الشوكانى (٢)

(والبرص معروف وهو بياض يظهر فى الجلد) .

واما الأكمه فقد اختلف فيه . وقد اورد ابن جرير فى تفسيره آراء كثيرة فى المراد بالأكمه . وقال ما معناه ان اهل التأويل اختلفوا فى المراد بالأكمه فقال بعضهم هو الذى لا يبصر بالليل و يبصر بالنهار و هذا روى عن مجاهد . وقال آخرون : هو الاعمى الذى ولدته أمه كذلك . و هذا مروى عن قتادة وابن عباس . وقال آخرون : بل هو الأعمى و هو مروى عن السدى والحسن ورواية أخرى عن قتادة وابن عباس . وقال آخرون : هو الأعمش وهو قول عكرمة (٣) .

ثم اختار ابن جرير ان المراد بالأكمه هو الأعمى الذى لا يبصر شيئا وقال فى ترجيحه لهذا الرأى (٤) :

---

(١) تفسير الطبرى ج٣ ص ٢٧٥

(٢) فتح القدير ج١ ص ٣٤٢

(٣) راجع تفسير الطبرى ج ٣ ص ٢٧٢- ٢٧٧ بالتصرف والاختصار.

(٤) نفس المرجع ج٣ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

قوله " وتبرئ الأكمه " قال :

(قال بعض السلف وهو الذى يولد اعمى ولا سبيل لأحد من الحكماء الى مداواته " والابرص " هو الذى لا طب فيه بل قد مرض بالبرص وصار دواؤه عضالا) .

وكان عيسى عليه السلام قد أبرأ امراضا كثيرة ،وانما خص بذكر هذين المرضين لكونهما لا يبرآن بالمداوات.

قال الزمخشرى (١) :

(وروى انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم أتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده ، وكرر " باذن الله " دفعا لوهم من توهم فيه الألوهية) .

وقال القرمانى (٢) :

(ويروى ان عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال من هؤلاء؟ قالوا له قوم طلبوا للقضاء فطمسوا اعينهم بأيديهم ، فقال لهم: ما دعاكم الى هذا ؟ قالوا : خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال لهم : انتم العلماء والحكماء الأخيار امسحوا وجوهكم بأيديكم وقولوا بسم الله . ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا مبصرون) .

رابعا- احياء الموتى باذن الله :

كان عيسى عليه السلام قد احيا عددا من الموتى باذن الله تعالى وذلك بالدعاء الى الله سبحانه و تعالى فاستجاب له . جاء فى تفسير القرطبى (٣) فى قوله تعالى " واحى الموتى باذن الله " قال :

---

(١) تفسير الكشاف ج١ ص ٤٣١
(٢) اخبار الدول واثار الاول فى التاريخ ص ٧٤
(٣) ج ٤ ص ٩٤ - ٩٥

خامسا - انباءه قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم :

هذه المعجزة من نوع العلم بالغيوب وكان يخبر قومه بما يأكلون وما يدخرون لغد . قال الله تعالى مخبرا عنه انه قال (١) :

(وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) .

وسبب اخباره بما ذكر كما قاله القرطبي (٢) :

(انهم لما أحيا لهم الموتى طلبوا منه آية اخرى وقالوا : أخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخر لغد . فاخبرهم فقال x يا فلان انت أكلت كذا وكذا وأنت أكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا فذلك قوله " وأنبئكم " الآية) .

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله (٣) :

(وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم " قال : كان عيسى بن مريم اذ كان في الكتاب يخبرهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون) .

وأخرج ابن جرير أيضا من طريق آخر عن سعيد بن جبير في تفسير تلك الآية قال (٤) :

(ان عيسى بن مريم كان يقول للغلام في الكتاب يا فلان ان اهلك قد خبئوا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمني منه) .

وأخرج ابن جرير ايضا عن السدي قال (٥) :

(كان يعني عيسى بن مريم يحدث الغلمان وهو معهم في الكتاب بما يصنع آباؤهم وبما يرفعون لهم وبما يأكلون ...) .

وقد يكون هنا سؤال ما الفرق بين اخبار عيسى عليه السلام بالغيوب وبين اخبار المتنجمة والمتكهنة التي قد تصيب ؟

---

(١) سورة آل عمران ٤٩

(٢) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٩٥

(٣ ، ٤ ، ٥) تفسير الطبري ج ٣ ص ٣٧٩ .

قال الشوكانى (١) :

(وقد اختلف اهل العلم . هل نزلت عليهم المائدة أم لا ؟ ذهب الجمهور الى الأول وهو الحق لقوله سبحانه " انى منزلها عليكم " ووعده الحق وهو لا يخلف الميعاد . وقال مجاهد ما نزلت وانما هو ضرب مثل ضربه الله لخلقه نهيا لهم عن مسألة الآيات لأنبيائه وقال الحسن وعدهم بالاجابة فلما قال " فمن يكفر بعد منكم " استعفروا الله وقالوا لا نريدها) .

والراجح عندى أن المائدة نزلت فعلا كما قاله الجمهور لأن الله قد صرح ووعد بانزالها . قال القرطبى (٢) :

(قوله تعالى " قال الله انى منزلها عليكم " هذا وعد من الله تعالى اجاب به سؤال عيسى كما كان سؤال عيسى اجابة للحواريين . وهذا يوجب انه قد انزلها ووعده الحق فجحد القوم وكفروا بعد نزولها فمسخوا قردة وخنازير) .

وجاء فى تفسير الطبرى (٣) قال :

(عن اسحاق بن عبد الله ان المائدة نزلت على عيسى بن مريم عليها سبعة أرغفة وسبعة احوات يأكلون منها ما شاؤا قال فسرق بعضهم منها وقال لعلها لا تنزل غدا فرفعت) .

(عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " نزلت المائدة خبزا ولحما وأمروا ان لا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير ... وعن عكرمة عن ابن عباس فى المائدة قال : كانت طعاما ينزل عليهم من السماء حيثما نزلوا) (٤)

---

(١) فتح القدير ج ١ ص ٩٣
(٢) تفسير القرطبى ج ٦ ص ٣٦٩
(٣) ج ٧ ص ١٣٣
(٤) تفسير ابن جرير ج ٧ ص ١٣٤

مما تقدم من الأدلة تبين ان المائدة نزلت فعلا من السماء وكـــان الحواريون ينظرون اليها ويأكلون منها والله أعلم.

سابعا : القاء شبه عيسى على غيره ورفع عيسى الى السماء :

هذه أيضا من المعجزات التى اختص بها الله عيسى عليه السلام وذلك لما أراد اليهود ان يقبضوا عليه شبه الله لهم فقبضوا على رجل آخـــر ظانين انه هو عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه . واما المسيح عيسى بن مريم فقد كتب الله له النجاة ورفعه الى السماء . قال الله تعالى (١) :

وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه واكن شبه لهم) .

وسيأتى الكلام بالتفصيل عن قصة نجاة المسيح عيسى بن مريم من القتل والصلب فى الفصل الثانى من الباب الثالث ان شاء الله.

مما تقدم من الايات والاحاديث والمعجزات كلها تدل دلالـة قاطعة على ثبوت نبوة عيسى عليه السلام ورسالته . . . ولكن متى بدأ هذه النبـوة والرسالة ؟

هذا أمر اختلف فيه العلماء . قال الدكتور احمد شلبى (٢) :

(بعث المسيح وهو فى حوالى الثلاثين من عمره)

والى هذا ذهب كثير من العلماء قديما وحديثا منهم ابن الأثير وأبى الفـداء ومجير الدين الحنبلى والشيخ محمد ابو زهرة وغيرهم (٣) .

---

(١) سورة النساء ١٥٧

(٢) مقارنة الأديان ج ٢ ص ٣٨

(٣) انظر الكامل فى التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ١٧٩ والمختصر فى اخبار البشر لأبى الفداء م ١ ص ٣٥ والانس الجليل لمجير الدين الحنبلى ج ١ ص ١٦١ ومحاضرات فى النصرانية محمد ابو زهرة ص ٢٢ .

عمره كما يقوله كثير من العلماء والمؤرخين كما مر ذكره آنفا . ولذلك اقول ان عيسى عليه السلام نبيء وهو في المهد وبعث بالرسالة في حوالي الثلاثين من عمره والله اعلم .

واما الفرق بين النبي والرسول فواضح . اذ النبي هو من اوحي اليه بخبر من السماء ولم يكلف بابلاغه الى الناس . واما الرسول فقد كلف بابلاغه الى الناس . وبناءا على ذلك كان كل رسول نبي وليس كل نبي رسول .

قال العلامة صدر الدين علي بن علي الحنفي (١) :

(وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول وأحسنها : أن من نبأه الله بخبر السماء ان امره ان يبلغ غيره فهو نبي رسول وان لم يأمره ان يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول فالرسول اخص من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول) .

---

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص١٠٣

واما الشرعة والمنهاج فقد اختلفت بين رسول وآخر وبين امة وأخرى . كما قال تعالى (١) (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) جاء في فتح القدير (٢) في معنى الاية قال :

(الشرعة والشريعة في الاصل الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها الى الماء ثم استعملت فيما شرعة الله لعباده من الدين . والمنهاج : الطريقة الواضحة البينة . وقال ابو العباس محمد بن يزيد المبرد : الشريعة ابتداء الطريق والمنهاج : الطريق المستمر ومعنى الاية : انه جعل التوراة لأهلها والانجيل لأهله والقرآن لأهله وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن واما بعده فلا شرعة ولا منهاج الا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

(انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والاخرة والانبياء اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد) رواه البخاري (٣)

وقوله " اخوة لعلات " اى الاخوة من الأب . ومعنى الحديث ان اصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع الشرائع (٤) .

واما دعوة عيسى عليه السلام على وجه الخصوص فقد فصل القرآن الكريم عنها وبين انه ما دعا الا الى التوحيد الكامل . وهذا ظاهر فيما اخبره الله تعالى عن عيسى يوم القيامة من مكالمة بينه وبين ربه حيث قال (٥) :

---

(١) سورة المائدة ٤٨
(٢) الشوكاني ج٢ ص ٤٨
(٣) صحيح البخاري ج ٤ " كتاب الانبياء ٦٠ " باب واذكر في الكتاب مريم ٤٨ " ص ١٤٢
(٤) انظر فتح الباري م٦ص ٤٨٩
(٥) سورة المائدة ١١٦-١١٧

(واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله. قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق. ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد) .

هذه الايات تبين قصة عيسى عليه السلام وجوابه في يوم القيامة حينما يسأله الله عن دعوته وتعاليمه في الدنيا لكون بعض الناس اتخذوه وامه الهين من دون الله. فتبين من جوابه هذا انه ما دعا الا بما امره الله به وهو عبادة الله وحده لا شريك له. وانه بريء مما افتراه المفترون حوله ومما ابتدعه الجاهلون بعده. وبهذا اتضح لنا ان ما فعله النصارى من تأليه عيسى او التثليث او اتخاذ الأحبار والقسيس او غيرهم وسطاء بينهم وبين الله تعالى ليست من تعاليم عيسى عليه السلام قطعا . بل كانت من افترائهم واختراعهم . ولذلك حكم الله تعالى بكفرهم كما قال تعالى (١) :

(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) .

وقال تعالى (٢) :

(لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد) .

وقال تعالى (٣) :

(والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفّار) .

---

(١) سورة المائدة ٧٢
(٢) نفس السورة ٧٣
(٣) سورة الزمر ٣

ذلك لأن الصلاة والزكاة كلتاهما من قوام الدين . فالصلاة فيها صلة العبد مع ربه مباشرة بالمناجات والدعاء والخضوع له بالركوع والسجود . والزكاة فيهـــا تطهير الاموال ومساعدة المحاويج فتنتج منها المودة والاخاء والتعاون بيـــن الأغنياء وذوى الحاجات . وأزالت التحاسد والتباغض فيما بينهم . وكذلـــك البر بالامهات والآباء وحسن المعاشرة بين الناس وعدم القسوة فيما بينهم تنتج المحبة والوحدة الحقيقية بين أفراد الأمة فتحصل بها القوة المادية والمعنوية .

وكانت دعوة عيسى عليه السلام تميل الى الزهادة وعدم الاهتمام بالدنيا ورفاهية الحياة لأنه اعتبر الدنيا مزرعة للآخرة . ولعل من اهم الاسباب التى من اجلها يدعو الى الزهادة لأن بنى اسرائيل فى زمنه قد تكالبوا على الدنيا ونسوا حياة الآخرة بل انكر بعضهم وجود البعث والجنة والنار . ولذلـــك جاء عيسى عليه السلام يدعوهم ويوضح لهم ان هذه الدنيا ما هى الا ممـــر ومعبر الى الدار الآخرة فلا ينبغى لأحد ان يتكالب على الدنيا فتنسيـــه حياة الاخرة .

قال محمد ابو زهرة (١) :

(ودعوة عيسى عليه السلام كما ورد فى بعض الاثار وكما تظافرت عليه اقوال المؤرخين تقوم على الزهادة والأخذ من اســـباب الحياة بأقل قسط يكفى لأن تقوم عليه الحياة . وكان يحـــث على الايمان باليوم الآخر واعتبار الحياة الاخرة الغاية السامية لبنى الانسان فى الدنيا . اذ الدنيا ليست الا طريقا غايته الاخرة وابتداء نهايته تلك الحياة الأبدية) .

وجـــاء فى البداية والنهاية ما يبين دعوة عيسى عليه السلام وانه كان يدعو الى الزهادة وعدم الاهتمام بالحياة الدنيا ورفاهيتها حيث قال (٢) :

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٥-١٦

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٨٩

(وقال ابو مصعب عن مالك انه بلغه ان عيسى كان يقول : يا بنى اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرى و خبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره ، وقال ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحى بن سعيد قال كان عيسى يقول اعبروا الدنيا ولا تعمروها وكان يقول حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع فى القلب الشهوة و حكى وهيب بن الورد مثله وزاد ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا .....

وقال سفيان الثورى : قال عيسى بن مريم " لا يستقيم حب الدنيا وحب الاخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى اناء) .

ومما يدل على ان دعوته مالت الى الزهادة ما جاء فى الاناجيل ان عيسى عليه السلام قد نهى عن الطمع فى الاموال والتمتع بلذات الدنيا من مأكل و مشرب وملبس وغيرها من نعم الحياة الدنيا لأنه اعتبر الاموال سدا منيعا يحول المرء دون عبادة الله وطاعته وقد ذكرت هذا فيما مضى عند الكلام عن صفة عيسى وشمائله عليه السلام (١) .

وقد سأل محمد ابو زهرة عن السبب الذى من اجله دعا عيسى عليه السلام الى الزهادة فى الدنيا ثم اجاب عليه بنفسه وقال (٢) :

(ولماذا كانت دعاية المسيح عليه السلام الى الزهادة والابتعاد عن اسباب النزاع والعكوف على الحياة الروحية ؟

الجواب عن ذلك ان اليهود الذين جاء المسيح مبشرا بهذه الديانة بينهم من كان يغلب عليه النزعات المادية وكان منهم من يفهم ان الحياة الدنيا هى غاية بنى الانسان . بل

---

(١) راجع ص ٦٨ وما بعدها .
(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٦

ان التوراة التى بأيديهم اليوم خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه . ومن فرقهم من كان يعتقد ان عقاب الله الذى أوعد به العاصين وثوابه الذى وعد به المتقين انما زمانه فى الدنيا لا فى الآخرة).

فلمثل هؤلاء الضالين لا بد ان يوضح لهم ان هذه الدنيا ليست بدار قرار للانسان . فثروة الدنيا ونعيمها لا تغنيه شيئا . لأن الانسان مهما كثر ما امتلكه من الأموال ومهما عظم ما ناله من الدرجة والسلطة فلا يستطيع ان يفر من ان يدركه الموت ثم ان الله سيحيه مرة أخرى حياة ابدية فى يوم الآخرة . هو يوم الحساب ويوم الجزاء على اعمال العباد ان خيرا فخير وان شرا فشر وهو اليوم الذى لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . فاذا كانت دعوة عيسى عليه السلام الى الزهادة والعكوف على الحياة الروحية دعوة تناسب الظروف والاحوال والمقام . والله أعلم .

ورسالة عيسى عليه السلام ودعوته كما دل عليه القرآن وكذا الاناجيل كانت خاصة ببنى اسرائيل وكانت مؤقتة حتى ظهور من بعده رسول الله الذى بشر به عيسى عليه السلام اسمه احمد ارسله الله تعالى الى الناس جميعا حيث لا تنتهى رسالته الى يوم القيامة . لأنها رسالة عامة شاملة للثقلين الجن والانس . كما قال الله تعالى (١) :

(واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد ...) .

وقال تعالى (٢) :

(ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . ورسولا الى بنى اسرائيل) .

---

(١) سورة الصف ٦

(٢) سورة آل عمران ٤٧-٤٨

ان تزول السماء والأرض لا تزول ياء او نقطة واحدة من الناموس حتى يتم الكل) .

وفى انجيل برنابا (١) :

(٢ - قال يسوع : اتظنون انى جئت لأجل الشريعة والانبياء؟ الحق اقول لكم لعمر الله انى لم آت لأبطلها ولكن لأحفظها)

فتبين من هذا ان رسالة عيسى عليه السلام ودعوته هى مواصلة شريعة موسى وتكميلها وتصحيح لما حرفوه وبدلوا منه .

قال الدكتور رؤف شلبى (٢) :

(فرسالة عيسى عليه السلام استمرار للرسالة الموسوية التى جاء بها سيدنا موسى الى بنى اسرائيل . ولهذا فان القرآن يصف كتاب الله الى سيدنا موسى بأنه امام لأنه اساس للتعامل فى الديانات التى خصها الله لشعب بنى اسرائيل) .

يقول الله تعالى (٣) :

(ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة . وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) .

ويمكن استخلاص مما تقدم ان دعوة عيسى عليه السلام دعوة الهية مكملة لما جاء به موسى عليه السلام ودعوة الى توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة دون سواه ودعوة الى تطهير النفوس من الاطماع والتكالب على الدنيا والى التحلى بمكارم الاخلاق والمعاملة الطيبة مع الامهات والآباء وحسن المعاشرة مع سائر الناس . وكانت دعوته خاصة ببنى اسرائيل ومؤقتة الى ظهور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . تلك خلاصة دعوة عيسى عليه السلام واما ما ادعته النصارى سوى ذلك فهو افتراء منهم وعيسى عليه السلام برىء منهم .

---

(١) الفصل ٣٨ ف ٢-٣

(٢) أضواء على المسيحية ص ١٤

(٣) سورة الاحقاف ١٢

الباب الثانى

المسيح فى نظر اليهود والنصارى

وفيه فصلان

الفصل الأول : المسيح فى نظر اليهود وموقفهم منه .

الفصل الثانى : المسيح فى نظر النصارى وموقفهم منه .

*

الفصل الأول

المسيح في نظر اليهود وموقفهم منه

ليس لدينا معلومات كثيرة عن اليهود انفسهم عن نظرهم في المسيح عيسى بن مريم وموقفهم منه عليه السلام اذ لا يوجد في تاريخهم الدينى القديم ولا في كتبهم اى ذكر لعيسى بن مريم لا لدعوته ولا احداث القبض عليه وصلبه . فالذى يقرأ كتبهم لا يجد لعيسى ذكرا . . . فاذا تكلم اليهود عن عيسى عليه السلام فليس ذلك لانه ثبت في تواريخهم المأثورة عن ابائهم ومشايخهم ولكن لأنهم سمعوا ما يقوله النصارى عن المسيح فيروون عنهم احيانا واما كتبهم فخالية من ذلك . .

و يقول الدكتور اسرائيل " ولفنسون " ان مسألة قتل المسيح كانت موجودة في التلمود *ولكن اليهود اخرجوه منه حتى لا يجده احد من الأمم التي يقيم بينها اليهود (١) .

ومع ذلك فهناك مصادر اخرى من الكتاب والسنة والاثار والكتب المقدسة عند النصارى و غيرها من المصادر قد تكلمت و تحدثت عن عيسى عليه السلام وولادته و نبوته ودعوته وموقف الناس في زمنه منه من اليهود والنصارى فاعتمدنا في كتاباتنا و معارفنا على هذه المصادر و بالأخص على القرآن والحديث .

---

* التلمود : معناه بالعربية النظام وهو مجموعة من التعاليم التي قررها احبار اليهود شرحا للتوراة واستنباطا من اصولها وهو مقسم الى كتابين . . . وهما تلمود اورشليم و تلمود بابل . . . انظر دائرة المعارف القرن العشرين محمد فريد وجدى م ٢ ص ٦٨٣ .

(١) انظر " مقارنة الاديان " احمد شلبى ج٢ ص ٦٥ بتصرف واختصار وانظر النصرانية والاسلام محمد عزت الطهطاوى ص ٢٢٥ .

وقد اوضح القرآن الكريم بوجه عام موقف اهل الكتاب من المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وبين انهم فيه بين افراط وتفريط . فالنصارى افرطوا فيه حتى ادعوا انه هو الله او ابن الله كما قال تعالى (١) :

(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) .

وقال تعالى (٢) :

(... وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم . يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون) .

واما اليهود فقد فرطوا فيه وادعوا ان عيسى عليه السلام ابن زنى وان مريم قد زنت فانجبت به - والعياذ بالله من ذلك - والكل باطل وخطأ على الاطلاق .

والصحيح هو ما وصفه القرآن وجاءت به الاحاديث وما يعتقده المسلمون من ان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وأمه هى العفيفة الطاهرة الصديقة التى احصنت فرجها وكانت من القانتين . قال الله تعالى (٣) :

(ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون) .

وقال تعالى (٤) :

(ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) .

---

(١) سورة المائدة ١٧ و ٧٢
(٢) سورة التوبة ٣٠
(٣) سورة المائدة ٧٥
(٤) سورة التحريم ١٢

فهاتان الايتان فيهما رد صريح على الفريقين . اذ فى وصف عيسى بأنه رسول الله وفى وصف امه بانها صديقة عفيفة احصنت فرجها وكانت من القانتين فيهما رد على على زعم اليهود بأن عيسى عليه السلام ابن زنى اذ لا يعقل ان يكون رسول الله من ابن البغية . وفى وصفهما بانهما "كانا يأكلان الطعام" فيه اشارة الى احتياجهما الى الطعام والشراب لحفظ كيانهما . فبطل ادعاء النصارى بأن عيسى عليه السلام اله او ابن الاله لأن المحتاج ليس باله .

فاليهود كانت عقولهم قاصرة ونظرتهم ضيقة وعقيدتهم منحرفة لذا لما رأوا مريم ولدت ابنا بدون أب بدأوا يتهمونها بالزنا وان الابن من زناها دون ان يستبينوا امرها كما قال تعالى (١) :

(فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) .

قذفوا مريم بالزنا لأن الابن كما قالوا لا يأتى الا من التقاء الذكر والأنثى . فلما كانت مريم عليها السلام ليس لها زوج فلا بد ان تكون قد زنت وان هذا الابن من زناها . هذا هو منطق اليهود وتصوراتهم فى خلق عيسى عليه السلام دون تفكير فى قدرة الله تعالى وأنه يخلق ما يشاء على غير مثال سابق .

فالله تعالى الحكيم الخبير قد رد هذا الزعم الباطل باتيان ما يدل على ان شأن عيسى عليه السلام وخلقه غير جار على ما جرى عليه الناس - لعلهم يتفكرون فى هذا الأمر - بأن ينطق هذا الطفل الصغير الذى لا يعقل النطق عادة لتبرئته مما اتهموه به . فنطق هذا الطفل بقوله :

(انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ... الخ) (٢)

---

(١) سورة مريم ٢٧
(٢) نفس السورة ٣٠

ولكن جمهور اليهود لما رأوا ان ما حدث لعيسى يخالف منطقهم - اى نطقه فى المهد يخالف معتادهم و تصوراتهم - قالوا هذا سحر . فصمموا على قولهم بأن عيسى ابن زنى واصروا على عنادهم واستكبارهم عن التفكير فى حقائق الأمور وعن قبول الحق وان تبين خطأهم وضلالهم .

قال ابن كثير فى تفسيره (١) :

(فصممت طائفة منهم و هم جمهور اليهود عليهم لعائن الله على أنه ولد زنية وقالوا كلامه هذا سحر) .

وقد اتهموا مريم بزكريا الرسول - والعياذ بالله من ذلك - فطلبوه و قتلوه . وقد تكلمت على هذه القصة عند الكلام عن "اتهام الناس مريم بالفحشاء" وكلام المسيح تبرئة لها .

هكذا موقف اليهود من الايات والبينات التى اظهرها الله لهم ليتفكروا فيها . فهم لا يفكرون فيها ولا يعقلونها بل قابلوها بالانكار والاحتيال دون قبولها عنادا واستكبارا .

فلما شب عيسى عليه السلام و بلغ حوالى ثلاثين سنة من عمره كما ورد فى بعض الاثار اوحى الله اليه وارسله الى بنى اسرائيل "اليهود" وايده بالمعجزات والبينات الدالة على صدقه فى دعواه قاوموه بالانكار والتكذيب ولم تؤ من بدعوته الا فئة قليلة منهم . وقد سماها الله بالحواريين *. كما قال تعالى (٢) :

(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحاريون نحن أنصار الله . آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص ١٢٠-١٢١

* الحواريون جمع حوارى وحوارى الرجل صفوته وخلاصته وهو مأخوذ من الحور وهو البياض عند اهل اللغة وكانوا اثنى عشر رجلا . واختلف فى سبب تسميتهم بذلك فقيل لبياض ثيابهم و قيل لخلوص نياتهم وقيل لأنهم خاصة الانبياء : انظر فتح القدير ج١ ص ٣٤٤

(٢) سورة آل عمران ٥٢

قال خلف محمد الحسينى فى كتابه (١) :

(لما ارسل الله عيسى بن مريم عليه السلام الى بنى اسرائيل وجاءهم بالبينات الدالة على صدقه والمؤيدة لرسالته كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص باذن الله ، قابلوه - الا قليلا منهم وهم الحواريون - بالكفر والتكذيب واتهموه بالسحر كما جاء فى قوله تعالى فى سورة الصف آية ٦ " واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ") .

فاتهام عيسى عليه السلام بالسحر من نوع الاسلوب والسلاح الذى يتوارثه الكفار من جيل الى جيل لمحاجة الرسل والانبياء و تكذيبهم وللاعراض عن الحق . فكل رسول لما جاء قومه بالبينات والمعجزات الدالة على صدقه قال الكفار منهم ان هذا الا سحر . كما قال تعالى مخبرا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بشأن الكفار مع الانبياء والرسل السابقين :

(كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون)(٢)

والحقيقة ان انكار اليهود لدعوة عيسى عليه السلام واتهامهم له بالسحر هذا كله ناشئ عن الحسد الذى يملأ قلوبهم فهو من اعظم الاسباب - لعما رضتهم للحق وجحودهم بتعاليم عيسى عليه السلام . قال ابن القيم (٣) :

(ومن اعظم هذه الاسباب "الحسد" فانه داء كامن فى

---

(١) اليهودية بين المسيحية والاسلام ص ٤٤
(٢) سورة الذاريات ٥٢
(٣) هداية الحيارى ص ١٦

النفس ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأتى مالم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد ان ينقاد له ويكون من اتباعه . وهل منع ابليس من السجود لآدم الا الحسد ؟ فانه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه غص بريقه واختار الكفر على الايمان بعد ان كان بين الملائكة . وهذا الداء هو الذى منع اليهود من الايمان بعيسى بن مريم وقد علموا علما لا شك فيه انه رسول الله جاء بالبينات والهدى فحملهم الحسد على ان اختاروا الكفر على الايمان واطبقوا عليه وهم أمة فيهم الاحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والأمراء . هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة ولم يأت بشريعة تخالفها ولم يقاتلهم . وانما اتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفا ورحمة واحسانا . وجاء مكملا لشريعة التوراة ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الايمان) .

ولم يكتف اليهود بمجرد الانكار والتكذيب لدعوة المسيح عليه السلام وتعاليمه بل اظهروا له العداوة والبغضاء تخرج من افواههم وتعلو فى وجوههم . ولقد غلا فى عداوته اكابر اليهود ولا سيما طائفة الفريسيين * والصدوقيين ** لما سمعوا تعاليم المسيح عيسى عليه السلام لا تلائم اهواء هم وطباعهم .

---

* كلمة الفريسيين معناها المنعزلون والمنشقون فهم بذلك يناظرون الى حد ما فريق المعتزلة عند المسلمين وقد اطلق عليهم اعداؤهم هذه التسمية ولذلك فهم يكرهونها ويسمون انفسهم "الاحبار" أو (الاخوة فى الله) انظر مقارنة الاديان احمد شلبى ج٢ ص ٢٢٦ .

** الصدوقيون : كانوا ينسبون الى الكاهن صادوق الذى جعله سليمان كبير الكهنة فى اورشليم بعد ان عزل ابياثار - انظر مقدمة مترجمى الاناجيل الاربعة الخورى يوسف عون ص"س".

ومما زادهم غيظا وغضبا على المسيح عدم محافظته على يوم السبت ومخالفته للطقوس والعادات اليهودية الفاسدة . فتشاوروا فيما بينهم للبحث عن الحيل دون انتشار هذه التعاليم التي يمدونها من اخطر التعاليم على مجتمعهم وعلى دينهم .

ففي بادئ الأمر اختاروا طريق المجادلة والمحاجة لعل عيسى عليه السلام لا يستطيع ان يجيب ما عارضوه وما جادلوه فتسقط هيبته وشيمته امام اعين الناس، فتضيع بذلك ثقتهم به فلن يؤمنوا به . فأرسلوا بعض كهنتهم واحبارهم الى مجالس عيسى عليه السلام ليعارضوه ويجادلوه . ولكن هذه الطريقة لم تؤد بهم الى النجاح ولم توصلهم الى النتيجة المرجوة بل زادتهم خيبة ويأسا . لأن عيسى عليه السلام استطاع بذكائه ومقدرته التي وهبها الله اياه ان يجبرهم على السكوت باتيان الحجج الدامغة والمقنعة فاضطروا لذلك الى الاعتراف فخابوا وندموا على فعلتهم .

جاء في الفصل الثلاثين من انجيل "برنابا" ما معناه :

(انه ذات يوم ذهب عيسى عليه السلام الى اورشليم قرب المظال وهو احد اعياد بني اسرائيل فلما علم هذا الكتبة* والفريسيون تشاورا فيما بينهم ليتسقطوه بالكلام . فارسلوا فقيها منهم ليجادله ويحاجه فبدأ الفقيه يسأله عن العمل الذي يجب ان يفعله ليحصل على الحياة الابدية . فأجاب عيسى عليه السلام على هذا السؤال ثم حدثت بينهما المحاورة والمجادلة الطويلة حيث أتى عيسى عليه السلام بالعبر والأمثلة حتى لا يستطيع الفقيه ان يجادله ويحاجه واخيرا انصرف بالخيبة) (١)

---

* الكتبة : تطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود الذين كانت مهمتهم كتابة الشريعة لمن يطلبها فهم اشبه شيء بالنساخ وعن طريق صلتهم بكتابة الشريعة عرفوا بعض المعلومات من الكتب التي نسخوها فاتخذوا الوعظ وظيفة اخرى لهم بجوار الكتابة للشريعة . انظر مقارنة الاديان احمد شلبي ج٢ ص ٢٣١-٢٣٢

(١) انظر انجيل برنابا الفصل الثلاثين فقرات ١-٢٨

وجاء فى انجيل برنابا ايضا ما معناه ان وفدا من جماعة الكهنة اقتربوا الى عيسى عليه السلام وسألوه " يا معلم أيجوز أن تعطى الجزية لقيصر ام لا ؟ " هذه احبولة محبوكة فان قال " نعم " هاج عليه الرأى العام لأن اليهود كرهوا الضرائب كما يكرهها جميع الناس وان قال " لا " اتهموه بخيانة السلطة الحاكمة . ولكن عيسى عليه السلام تحاشى هذا الجدل . فأخذ الفلس وقال لجماعة الكهنة : ان على هذا الفلس صورة فقولوا لمن هذه الصورة ؟ فأجابوه " صورة قيصر " اذا باستعمالكم عطته تعترفون بسلطانه عليكم . اعطوا اذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . حينئذ انصرفوا خائبين (١) . وجاء مثل هذا المعنى فى انجيل متى (٢) ومثل هذه التجربة والمعارضة كثير كما ذكرته الاناجيل . وكلها أدت بهم الى الخيبة والفشل .

فلما كانت طرق المجادلة والمعارضة الكلامية لاسقاط عيسى عليه السلام والتقليل من شأنه و هيبته و مقدرته و لا يقاعه فى الشبكة لم تفدهم ولم توف بهم الى النجاح ولم تغنهم من جوع - بل انعكس الامر عليهم لدلالتها على قصور عقولهم وسذاجة افكارهم - لما كان الأمر كذلك تشاوروا فيما بينهم للبحث عن هذا الأمر فوافقوا على قتل عيسى عليه السلام واباد ته بالوشاية الى الحاكم كذبا وافتراءا .

قال محمد على الصابونى (٣) :

(اجتمع عظماء اليهود واحبارهم وتشاوروا فى أمر المسيح فقالوا : انا نخاف ان يفسد علينا ديننا و يتبعه الناس . قال لهم رئيس الكهنة لأن يموت رجل واحد خير من ان يذهب الشعب بأسره

---

(١) نفس المرجع فصل ٣١ فقرة ١-٦ بالتصرف والتعليق
(٢) انظر انجيل متى فصل ٢١ فقرة ١٥-٢٢
(٣) النبوة والأنبياء ص ١٦٦

فاجمعوا على قتله فسعوا به لدى الحاكم الرومانى " بيلاطس النبطى " الذى كان حاكما على اليهود باسم الملك" قيصر" وزينوا له دعواهم بأنه يريد ان يكون ملكا على اليهود وانه يسعى لتقويض الحكم القائم وأوغروا صدره حتى قرر أن يتخلص من عيسى عليه السلام بالقتل والصلب على طريقتهم التى كانوا يفعلونها فيمن يحكمون عليه بالقتل) ؛

فأمر الحاكم ان يقبضوا على عيسى عليه السلام لمحاكمته ، فبحثوا عنه . فلما أرادوا القبض عليه القى الله شبهه على رجل آخر فقبضوا عليه ظانين انه هو عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه . واما عيسى عليه السلام فقد رفعه الله الى السماء (١) .

قال الله تعالى (٢) :

(وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) .

قال القاضى مجير الدين الحنبلى (٣) :

(فان اليهود لما قصدوه اظلمت الدنيا حتى صارت كالليل واظلمت الشمس وظهرت الكواكب وانشقت الصخور فلذلك لم يتحققوا المشبه به من شدة الظلمة و حصول الارجاف) .

وسيأتى الكلام بالتفصيل عن مسألة القبض على المسيح مع الاثبات ان المقبوض عليه والمصلوب ليس هو المسيح فى الباب الثالث ان شاء الله .

---

(١) النبوة والانبياء ص ٢٠٠ .
(٢) سورة النساء ١٥٧-١٥٨
(٣) الانس الجليل ج ١ ص ١٦٦

مما تقدم تبين ان اليهود يرون ان عيسى عليه السلام رجلا عاديا وليس نبيا ولا رسولا وليس هو الذى تنبأت به التوراة بل اعتبروه رجلا مفسدا يفسد دينهم ويشتت شملهم ويغير أوضاعهم وعاداتهم التى ورثوها من آبائهم واجدادهم . فلما أتى عيسى عليه السلام بالمعجزات والبينات الدالة على صدقه فى دعواه اتهموه بالسحر ولم يؤمنوا به بل بحثوا عن الحيل لاسقاطه وللتقليل من شأنه .

وأخيرا تآمروا على قتله وصلبه كما ذكرنا .

هذا الموقف لم يكن غريبا من اليهود لأن هذا سلوك آبائهم واجدادهم مع الانبياء والمرسلين السابقين كما قال تعالى : (١)

(كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا و فريقا يقتلون) .

ولقد ثبت فى التاريخ انهم قتلوا من الانبياء حزقيال واشعيا وأرميا ويحيى وزكريا . وقتلوا ايضا مع يحيى عددا كبيرا من العلماء . وسبب قتلهم كلهم لانكارهم على افعالهم المنكرة ومعاصيهم لبارئهم (٢) .

ولم يقتصر عدوان اليهود وهجومهم على عيسى عليه السلام طيلة وجوده فى هذه الأرض بل استمر على مر الزمان وحتى الآن . فاذا كان هجومهم على المسيح قبل رفعه الى السماء بأفواههم وافعالهم من الشتم والذم ومحاولة القتل وغيرها فان هجومهم عليه بعد رفعه كان بطرق اقلامهم . وقد كتبوا عن عيسى عليه السلام وافتروا عليه افتراء تقشعر منه الجلود لسماعه .

وقال عنه احبار اليهود فى التلمود كما نقله عبدالله التل (٣) :

(ان يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين القار والنار

---

(١) سورة المائدة ٧٠

(٢) انظر مكايد يهودية عبر التاريخ عبد الرحمن حبنكة الميدانى ٢٩-٣٠

(٣) خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية عبدالله التل ص ٣٧ نقلا عن التلمود .

هذا ما فعله اليهود فى وقتنا الحاضر لتشكيك عقيدة الناس فى عيسى عليه السلام وقداسته بالافتراء والكذب . ومثل هذا فعله اباؤهم واجدادهم بالانبياء والرسل الاخرين .

ويمكن استخلاص ما تقدم ان نظر اليهود فى عيسى عليه السلام وموقفهم منه - قدمائهم ومتأخريهم - لم يتغير + فهم يقولون ان عيسى عليه السلام ابن زنا . وانه أتى بالتعاليم الضالة المفسدة لدين اليهود وعاداتهم وطقوسهم التى توارثوها من اجدادهم . ولذلك اعتبروا عيسى واتباعه اعداء الداء للأمة اليهودية - فاستحلوا دمه ودم اتباعه . بل كان قتله هو واتباعه من القربان المستحق للثواب حسب زعمهم . فلذلك هاجموا على عيسى واتباعه على مر الزمان بكل الوسائل بلسانهم وافعالهم وبأطراف اقلامهم . وافتروا عليه وعلى امه بمختلف الاساليب البعيدة عن الصواب بعد السماء من الأرض لاهانتها والتقليل من شأنهما .

فهذا نظر اليهود فى المسيح وموقفهم منه . ولعل هذا الموقف وغيره من الاسباب مما ادى الى لعنهم على لسان داود وعيسى عليهما السلام كما قال تعالى (١) :

(لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .

---

(١) سورة المائدة ٧٨

الفصل الثانـــــى

المسيح فى نظر النصارى وموقفهم منه

يعتقد المسلمون ان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وكلمته القاهـــا الى مريم وروح منه بعثه الله الى بنى اسرائيل ليدعوهم الى الهدى و دين الحق كقوله تعالى حكاية عنه انه قال وهو فى المهد (١) :

(.... انى عبد الله آتانى الكتاب و جعلنى نبيا) .

وقوله تعالى (٢) :

(... انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ...)

وان الله قد انزل اليه الانجيل ليهتدوا به فى امور معاشهم و معادهم . كما قال تعالى (٣) :

(.... وآتيناه الانجيل فيه هدى و نور ومصدقا لما بين يديه من التوراة و هدى وموعظة للمتقين) .

وأنه عليه السلام كغيره من الرسل والانبياء صلوات الله عليهم فى اتصافهم بالاعراض البشرية . كان يأكل و يشرب وينام ويستيقظ و يعمل ويستريح ويقوم و يجلس ويمشى ويتكلم ويسكت وغيرها من الاعراض البشرية مما يدل على بشريته و عبوديته . هذه هى عقيدة المسلمين و نظرهم فى المسيح عيسى بن مريـــم عليهما السلام . و هى العقيدة الصحيحة المرضية عند الله والمطابقة للواقـع و نفس الأمر . و هذه ايضا هى العقيدة التى كان عليها الحواريون والمؤمنون به فى زمنه عليه السلام .

---

(١) سورة مريم ٣٠
(٢) سورة النساء ١٧١
(٣) سورة المائدة ٤٦

ولكن لم تستقر هذه العقيدة الصحيحة الا عدة سنوات بعد رفعه الـــى السماء حيث أخذت مظاهر الشرك تتسرب الى معتقدات بعض الفرق النصرانية فانقسمت النصارى بعد ذلك الى طائفتين . طائفة اصطبغت عقائدها بصبغة وثنية . وأخرى ظلت عقائدها محافظة على التوحيد ؛ ثم تفرق كل من هاتين الطائفتين الى فرق كثيرة .

فمن أهم الفرق التى انحرفت عقائدها ومالت الى الشرك فرقة المرقيونيين وفرقة البربرانية و فرقة الالبانية و فرقة التثليث . فهذه الفرق كلها ترى ألوهية عيسى عليه السلام .

واما الفرق التى استمرت عقائدها على التوحيد فأهمها فرقة ابيـون و فرقة بولس الشمشاطى وفرقة أريوس . فهذه الفرق كلها لا تقول بألوهية المسيح عليه السلام وانما هو بشر ورسول . ولكن هذه الفرق لم تعمر طويلا اذ اخذت تتقلص و يتناقص اتباعها شيئا فشيئا حتى انقرضت كلها حوالى القرن السابع الميلادى ، وذلك بضغط من المجتمع النصرانى الكافر . و بقيت الفرق النصرانية الكافرة التى استقرت اخيرا على عقيدة التثليث بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م و مجمع القسطنطينية الاول سنة ٣٨١ م الى وقتنا الحاضر (١) .

و من اسباب دخول الشرك فى عقيدة النصارى كما جاء فى " قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار . هو انه لما اذيعت الديانة النصرانية فى جماعة الوثنيين الذين كانوا يدينون بالاقانيم و تجسد الالهة والصلب والفداء ودخلوا فـــى النصرانية حاملين لتلك العقيدة - أحبوا ان يوفقوا بين ما الفوه من العقيدة الوثنية و بين هذا الدين الجديد وأخذوا يؤلهون المسيح ويقولون ان الله انحدر منه اقنون الابن المتحد مع الأب والروح القدس و تجسد فى رحم مريم ثم خرج انسانا الها ... فهذه من العوامل التى آلت بهم الى عبادة المسيح . (٢)

---

(١) راجع الاسفار المقدسة الدكتور على عبد الواحد وافى ص ١٠٥-١١٢
(٢) انظر قصص الانبياء عبد الوهاب النجار ص ٤٥٤ بتصرف

فريضة مقدسة يشار فيها الغسل بالماء باسم الآب والابن والروح القدس الى تطهير النفس من ادران الخطيئة بدم يسوع المسيح و هى ختم عهد النعمة ... والمعمودية تدل على اعترافهم العلنى بايمانهم وطاعتهم للأب والابن والروح والقدس كألههم ومعبودهم الوحيد . اقول هذه عقيدة ضالة وليست من تعاليم المسيح قطعا . انظر محاضرات فـــى النصرانية ص ١٣٦ .

وجاء مثل هذا في هداية الحيارى لابن القيم والفصل في الملل لابن حزم(١) .

واورد رشيد رضا في تفسيره عقيدة النصارى وقال ما معناه :

اما تقرير هذه العقيدة كما سمعنا من بعض دعاة البروتستانت في بعض المجامع العامة التي يعقدونها للدعوة في مدارسهم وفي المجالس الخاصة التي اتفق لنا حضورها مع بعضهم فهي : ان آدم لما عصى الله تعالى بالأكل من الشجرة المنهى عنها صار هو وجميع افراد ذريته مخطئين مستحقين للعقاب في الآخرة ولما كان الله تعالى متصفا بالعدل والرحمة فكر في وسيلة للجمع بينهما فالعقاب للخطاة منافيا للرحمة وعدم عقابهم منافيا للعدل فلم يهتد الى ذلك سبيلا الا بأن يحل ابنه تعالى الذي هو نفسه في بطن امرأة من ذرية آدم ويتحد بجنين في رحمها ويولد منها فيكون ولدها انسانا كاملا من حيث هو ابنها والها كاملا من حيث ابن الله الذي هو الله نفسه ثم يعيش مع بني آدم زمانا يفعل كما يفعلون ويتلذذ كما يتلذذون ويتألم كما يتألمون ثم يسخر اعداءه لقتله وصلبه لأجل فداء البشر وخلاصهم من خطاياهم كما قال يوحنا في رسالته الاولى وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم ايضا (٢)

جاء في كتاب سوسنة سليمان لنوفل بن نعمة الله بن جرجس النصراني عن عقيدة النصارى كما نقله الشيخ محمد ابو زهرة(٣) :

---

(١) انظر هداية الحيارى ص ١٤٣ والفصل في الملل ص ٥٤-٥٥

(٢) انظر تفسير المنار رشيد رضا ج ٦ ص ٢٤-٢٥ بتصرف واختصار

(٣) محاضرات في النصرانية ص ١١٧

اولا - قولهم بالوهية عيسى او بنوته لله :

تعتقد النصارى ان المسيح هو الله او ابن الله الذى هو نفسه الله . وقالوا ان " الكلمة " التى هى ذات الله قد تجسدت من روح القدس فى بطن مريم ثم ظهرت على شخص المسيح . ولكنهم اختلفوا فى تفسير الوهيته اختلافا كثيرا * حتى قال ابن القيم (١) :

(فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وامه واباه عن دينهم لاجابك كل منهم بغير جواب الاخر . ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن احد عشر مذهبا) .

هذه كناية عن شدة الخلاف بين النصارى فى مسائل الدين والعقيدة خصوصا فى شخصية المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام . ولكن مهما كثرت الخلافات فلا تخرج عن الاقوال الثلاثة وهو القول بألوهية المسيح او بنوته لله او القول بأن الله ثالث ثلاثة " التثليث " .

وقد ذكر القرآن الكريم ان النصارى على ثلاث فرق :

١ - منهم من يعتقد ان المسيح هو الله نزل الى الأرض و تجسد فى صورة عيسى عليه السلام .

٢ - و منهم من يعتقد انه ابن الله لأنه خلق من روحه .

٣ - و منهم من يعتقد ان الله ثالث ثلاثة اى يعتقد ان عيسى وامه عليهما السلام الهان من دون او يعتقد ان الله مكون من الاقانيم الثلاثة الأب والابن والروح القدس . وان الثلاثة واحد . والواحد ثلاثة (٢) .

---

* اختلفت النصارى فى تفسير الوهية عيسى اختلافا كبيرا منهم من قال ان المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين احدهما طبيعة الناسوت والاخرى طبيعة اللاهوت فتركبتا فصارا انسانا واحدا . و منهم من قال ان عيسى هو الابن الأزلى الذى هو الكلمة تجسدت من مريم تجسدا كاملا وصار انسانا من جوهر الناس والها من جوهر اللاهوت . وغير هذا من الاختلافات راجع هداية الحيارى لابن القيم ص ١٦٤ .

(١) هداية الحيارى ص ١٦٤

(٢) انظر النبوة والانبياء محمد على الصابونى ص ٢٠٩ بتصرف .

(١) سورة المائدة ١٧ و ٧٢
(٢) سورة التوبة ٣١
(٣) سورة المائدة ٧٣
(٤) ما يجب ان يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية ص ٧٣ .

٣- وورد نصوص من الاناجيل والرسائل تشعر بألوهيته وبنوته لله)

و من النصوص التى اعتمدت عليها النصارى فى تأليه عيسى عليه السلام ماورده الشيخ محمد ابو زهرة فى كتابه (١) نقلا عن صاحب كتاب " الاصول والفروع " قال :

(اما الايات الالهية التى تثبت لاهوت المسيح فهى كثيرة جدا . ولضيق المقام نكتفى باقتباس شئ يسير . فمن اقواله تعالى بلسان اشعيا النبى * "هما العذراء تحبل و تلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل (اى الله معنا) وقوله " كأنه يولد هنا ولد ونعطى ابنا و تكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا ابا ابديا رئيس السلام . اشعيا ٧ : ١٤ و ٩/٦

وعند عماده و تجليه على الجبل شهد له الله من السماء بصوت مسموع قائلا " هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت متى ٣ : ١٧ و ١٨ ويشهد له يوحنا الرسول قائلا :

" فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله و كان الكلمة الله + . . . كل شئ به كان و بغيره لم يكن شئ والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما للتوحيد من الآب مملوءا نعمة و حقا : يوحنا : ١ : ١ و ٣ و ١٤ .

---

(١) المحاضرات فى النصرانية ص ١٢٣ - ١٢٤

(* قوله " اثبات الوهية المسيح بالايات الالهية على لسان النبى " اشعيا" هذا الكلام كذب وافتراء على الله وعلى نبيه . اذ استحال عليهما ان يقولا بألوهية المسيح لأنه عبدالله ورسوله و خلق من مخلوقاته . وقد قلنا آنفا ان ليس لهؤلاء حجة ولا دليل على ما قالوه فى المسيح بل مجرد افتراء و كذب فتنبه .

وقال المسيح نفسه " انا والآب واحد . يوحنا ١٠ : ٣١
وقال له احد تلاميذه : " ربي والهي " يوحنا ٢٠ : ٢٨
وقبل منه السجود ولم يوبخه على دعوته الها . ولما سأله
رئيس الكهنة وقال له : استحلفك بالله الحي ان تقول لنا ؟
هل انت المسيح ابن الله ؟ اجابه المسيح على الحلف " انا
هو " قابل متى ٢٦ : ٦٣ مرقس ١٤ : ٦٢
و حينما ركب بحر الجبل اظهر طبيعتي لاهوته وناسوته
الكليتين وذلك بينما كان نائما هاجت الرياح واضطربت
الأمواج فقام من النوم واسكتها فصار هدوء عظيم متى
٨ : ٢٤-٢٧ فبنومه اظهر ناسوته و بتسكينه الامواج والرياح
اظهر لاهوته) *

ومثل هذه المعاني توجد بكثرة في الاناجيل و غيرها من الرسائل والاسفار المقدسة عند النصارى . و خصوصا في اطلاق بنوة عيسى لله و أبوته له عليه السلام . تلك من الحجج التي افترتها النصارى في تأليه عيسى بن مريم عليهما السلام . و حججهم كلها باطلة وداحضة كما سترى في المناقشات التي سنقدمها فيما يلي :

المناقشة الأولى :

قولهم ان احياء المسيح للموتى يدل ألوهيته . هذا الاستدلال باطل ومردود من وجهين :

---

* ينبغي ان يعلم ان ترجمة الكتب المقدسة يختلف بعضها مع بعض وبعض النصوص المذكورة اعلاه فيه شيء من الاختلاف مع ما جاء في الطبعة الثانية في بيروت سنة ١٨٨٢ . و مع ذلك فلم تختلف في المعنى .

(١) سورة النساء ١

الأمر الأول : ان تلك الكتب والاسفار كلها منحرفة و مبدلة ومفترية .فاسناد هذه الكتب والأسفار الى موسى اوعيسى او غيرهما من الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام كذب وافتراء عليهم. و بالنسبة لاسفار التوراة قال عنها ابن القيم فى كتابه (١)

(و من العجيب انهم والنصارى يقرون ان التوراة كانت طول مملكة بنى اسرائيل عند الكاهن الاكبر الهارونى و حده . واليهود تقران السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة . وذلك بعد المسيح فى عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على ايديهم . ومن رضى بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤ من من تحريف غيره . واليهود تقر ايضا أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهرا وزادوا ونقصوا والسامرة تدعى ذلك عليهم) .

وقال فى موضع آخر (٢) :

(و فى التوراة التى بأيديهم من التحريف والتبديل ما لا يجوز نسبته الى الانبياء ما لا شك فيه ذو بصيرة . والتوراة التى أنزلها الله على موسى بريئة من ذلك) .

وعن أسفار الأناجيل الاربعة قال عنها الدكتور عبد الواحد وافى فى كتابه (٣) :

(فالقرآن يحدثنا عن كتاب سماوى انزله الله على عيسى وهذه

---

(١) هداية الحيارى ص ١٠٦
(٢) نفس المرجع ص ١٠٧
(٣) " الاسفار المقدسة " ص ٨٧ .

فالذى يقرأ الاسفار المقدسة كلها يقطع بأنها محرفة و مبدلة ومفتريـــة وليست من الرسل والانبياء ولا من الالهام كما زعموا . فالتناقض والاختـــلاف بين هذه الاسفار من الأدلة القاطعة على ذلك.(١)

و لقد أشارت الى تحريفها وافترائها آيات كثيرة من القرآن الكريـــم منها قوله تعالى (٢) :

(افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) .

وقوله(٣) :

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهـــم وويل لهم مما يكسبون) .

وقوله تعالى (٤) :

(أولئك خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) .

وقوله (٥) :

(قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) .

و قد اتضح مما تقدم ان الاسفار المقدسة كلها محرفة ومبدلة ومفترية . حرفتها وافترتها اليهود والنصارى حسب اهوائهم ثم اسندوها الى الأنبيـــاء

=== المعارف الفرنسية المعروفة باسم " لاروس القرن العشرين " ليذهبون الى ان هذه الاناجيل قد كتبها اناس اخرون غير الحواريين والتلاميذ والتابعين الذين تنسب اليهم . انظر " الاسفار المقدسة" الدكتور عبد الواحد وافى ص ٩١ .

(١) راجع " اظهار الحق " للشيخ رحمت الله الهندى فانه قد تكلم فى الصفحة ١٠٢ وما بعدها من هذا الكتاب عن متناقضات واختلافات فى التوراة والاناجيل وفى الصفحة ٢٠٥ وما بعدها تكلم عن تحريفها بالتبديل والزيادة والنقصان .

(٢) سورة البقرة ٧٥

(٣) نفس السورة ٧٩

(٤) سورة هود ٢١

(٥) سورة يونس ٦٩

كذبا وافتراء عليهم.

فاذا صح كون هذه الاسفار المقدسة محرفة ومفترية كان الاستدلال بها غير صحيح والاعتماد عليها غير جائز وخصوصا فيما يتعلق بالعقيدة.

وبناءا على ذلك فكل ما جاء في الاناجيل او غيرها من الاسفار المقدسة مما يشير الى الوهية عيسى عليه السلام او بنوته لله لا يجوز الأخذ به والاعتماد عليه لأن ذلك دخيلة في الاسفار المقدسة ومقتبسة من الديانات الوثنية. فليست من تعاليم الانبياء قطعا. بل من افتراء اليهود والنصارى.

الأمر الثاني : ان الاناجيل الاربعة وغيرها من الاسفار المقدسة ايضا اثبتت ناسوت عيسى عليه السلام وعبوديته وبشريته وانه ابن الانسان وليس هو الله او ابن الله كما اثبتت ألوهية الله وحده لا شريك له.

ومن العبارات التي اثبتت ناسوت عيسى عليه السلام وعبوديته ما جاء في انجيل مرقس ان عيسى يقول لتلاميذه (١) :

(ان ابن البشر سيسلم الى ايدي الناس)

وجاء في لوقا (٢) :

(انه ينبغي لابن البشر ان يتألم كثيرا)

وفي انجيل يوحنا (٣) : ان عيسى قال لليهود :

(ان تعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني)

وفي لوقا (٤) :

(وسأله رئيس قائلا : ايها المعلم الصالح ماذا اعمل لأرث الحياة الابدية ؟ فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحا انه لا صالح الا الله وحده .

---

(١) انجيل مرقس فصل ٩ فقرة ٣١
(٢) انجيل لوقا فصل ٩ فقرة ٢٢
(٣) انجيل يوحنا فصل ٧ فقرة ١٦
(٤) انجيل لوقا فصل ١٨ فقرة ١٨-١٩

فالعبارات المذكورة تصرح بناسوتعيسى عليه السلام وبشريته وعبوديته وانه ابن الانسان وليس هو الله او ابن الله كما يظنون . وقد رفض عيسى عليه السلام نفسه ان يوصف بالصالح لأن الصالح من خصوصية الله وحده .

قال القرافى (١) :

(فاضاف المسيح عليه السلام لربه الوحدة وخصصه بالصلاح ونفاه عن نفسه وذلك ينافى الالهية ويثبت العبودية ويبطل التثليث)

واما العبارات التى اثبتت الوهية الله وحده لا شريك له فمنها ما جاء فى انجيل يوحنا (٢) : قول عيسى عليه السلام فى خطابه لله تعالى :

(وهذه الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك والذى ارسلته يسوع المسيح) .

فبين عيسى عليه السلام ان الحياة الأبدية عبارة عن ان يعرف الناس أن الله واحد حقيقى لا شريك له وان عيسى عليه السلام عبده ورسوله .

ومنها ما جاء فى انجيل مرقس(٣) :

(فدنا أحد الكتبة وقد سمعهم يباحثونه ورأى انه احسن فى الجواب لهم فسأله أية الوصايا هى اول الكل . اجابه يسوع ان اول الوصايا كلها اسمع يا اسرائيل ان الرب الهنا رب واحد) .

ومنها ما جاء فى سفر تثنية الاشتراع(٤) :

(لتعلم ان الرب هو الاله ليس اله سواه)

وفيه أيضا (٥) :

(اسمع يا اسرائيل ان الرب الهنا رب واحد) .

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص٩٤

(٢) يوحنا : فصل ١٧ فقرة ٣

(٣) مرقس : فصل ١٢ فقرة ٢٨-٢٩

(٤) سفر التثنية فصل ٤ فقرة ٣٥

(٥) نفس المرجع فصل ٦ فقرة ٤

تبين من هذه العبارات ان الأناجيل الاربعة والاسفار المقدسة قد اثبتت ناسوت عيسى عليه السلام وعبوديته وبشريته وانه ابن الانسان وليس هو الله او ابن الله كما اثبتت وحدانية الله تعالى لا شريك له .

وقد ذكرنا فيما مضى من ايات الاناجيل وبعض الاسفار ما يشير الى الوهية عيسى عليه السلام او بنوته لله ، فتعارضت مع ما ثبت بعبوديته وبشريته وما ثبت بوحدانية الله تعالى لا شريك له . ولكن الذى يثبت بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته اقوى وأرجح لوجوه :

الوجه الأول : انه قد ثبت بالتواتر ان عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة فى العبادة والطاعة لله تعالى . ولو كان الها لاستحال ذلك لان الاله لا يعبد نفسه فهذا من الادلة الجلية على فساد قولهم (١) .

الوجه الثانى : ان هناك انجيلين " حسبما عرفت " غير الاناجيل الاربعة التى تتمسك بها النصارى قد اثبتا بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته ورسالته وانه كغيره من الرسل . وهذان الانجيلان اولهما انجيل ابيونيين . وهو الانجيل الذى تمسكت به فرقة نصرانية تسمى فرقة الابيونيين نسبة الى زعيمها ابيون . وهذا الانجيل انكر الوهية المسيح ويعتبره مجرد بشر ورسول وهو فيما يتعلق بشخصية المسيح موافق مع ما جاء فى القرآن الكريم (٢) .

وثانيهما " انجيل برنابا " فهو منسوب للقديس " برنابا " وكان من تلاميذ المسيح وكان حريصا فى الدعوة حتى باع جميع ما يملكه من أرض فى فلسطين وقدم ثمنه للحواريين لغرض الدعوة ومساعدة الفقراء (٣) . وهو ممن انكر الوهية عيسى عليه السلام وبنوته لله تعالى . وقد جاء فى مقدمة انجيله انه لما رأى غلو بعض اتباع عيسى عليه السلام فى رفعه وتعظيمه حيث جعلوه الها أو

---

(١) راجع اظهار الحق الشيخ رحمت الله الهندى ص ٣٦٠
(٢) انظر " الاسفار المقدسة " الدكتور عبد الواحد وافى ص ٩٥
(٣) انظر نفس المرجع ص ٩٥ و ص ٧٣ .

ابن الاله وانحرفوا عن تعاليمه بدأ يكتب انجيله وهاجمهم هجوما عنيفا على ما افتروه فى عيسى عليه السلام وقال :(١)

(٢ - ايها الاعزاء ان الله العظيم العجيب قد افتقدنا * هذه الايام الاخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والايات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى -٣- مبشرين بتعليم شديد الكفر -٤- داعين المسيح ابن الله -٥- رافضين الختان الذى امر الله دائما -٦- مجوزين كل لحم نجس -٧- الذين ضل فى عدادهم ايضا بولس الذى لا اتكلم عنه الا مع الأسى -٨- وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته اثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله) .

ثم بين برنابا فى انجيله ان عيسى عليه السلام تبرأ من الناس الذين يجعلونه الها او ابن الاله حيث قال (٢) :

(١٨- اجاب الكاهن ان اليهودية اضطربت لآياتك وتعليمك حتى انهم يجاهرون بأنك انت الله فاضطررت بسبب الشعب الى ان آتى الى هنا مع الوالى الرومانى والملك هيرودس -١٩ - فنرجوك من كل قلبنا ان ترضى بازالة الفتنة التى اثارت بسببك -٢٠- لأن فريقا يقول انك الله وآخر انك ابن الله ويقول فريق انك نبي -٢١- أجاب يسوع وأنت يا رئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة -٢٢- هل

---

(١) انجيل برنابا ص ٣٧

* قوله " افتقدنا " لعل الصواب " اختصنا " كما جاء " فى الاسفار المقدسة" للدكتور عبد الواحد وافى ص٩٣ .

(٢) انجيل برنابا فصل ٩٣ فقرات ١٨-٢٣

جننت انت ايضا - ٢٣- هل أمست النبوات وشريعة الله
نسيا منسيا ايتها اليهودية الشقية التى ضللها الشيطان) . .
(-١- ولما قال يسوع هذا عاد فقال :" انى أشهد أمام
السماء واشهد كل ساكن على الارض أنى برىء من كل ما قال
الناس عنى من انى اعظم من بشر -٢- لأنى بشر مولود من
امرأة وعرضة لحكم الله اعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام)(١)

وبين برنابا أيضا أن عيسى عليه السلام اقر بنفسه انه كسائر البشر فى المبدأ والمصير وعدم القدرة ، يصيب مثل ما يصيب به جميع البشر من الموت والفناء حيث قال (٢) :

(١٩- فانى بشر منظور وكتلة من طين تمشى على الأرض
وفان كسائر البشر -٢٠- وانه كان لى بداية وسيكون لى
نهاية وانى لا اقدر ان ابتدع خلق ذبابة) .

ذلك ما تكلم به " برنابا " عن عيسى عليه السلام . فلم يختلف عما تحدث به القرآن الكريم . وهو ان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وانه كسائر الناس فى خضوعه لسنن الله فى الخلق -الا فيما اختصه الله به من ولادته بدون أب وتأييده بالمعجزات ما لم يكن مثلها لغيره - وانه سيصيبه ما اصابه جميع الرسل والناس من الموت والفناء . هذا هو الصحيح واما افتراه النصارى من القول بألوهيته او بنوته لله فهذا باطل فيكون قائلها كافرا و مشركا والعياذ بالله .

الوجه الثالث : ان القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من الرب الحكيم قد اثبت بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته ورسوليته وكفر من يقول بألوهيته او بنوته لله كما اثبت ذلك ايضا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى .

---

(١) انجيل برنابا : فصل ٩٤ فقرة ١-٢
(٢) نفس المرجع فصل ٩٥ فقرة ١٩

ولقد ذكرت من الايات التى تدل عبودية عيسى عليه السلام وبشريته فى اول هذا الفصل كما ذكرت الايات التى تكفر القول بالوهيته او بنوته لله فى الربع الاول من هذا الفصل ما اغنى عن اعادتها .

وأما الأحاديث فمنها :

ما رواه عبادة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل) اخرجه البخارى (١)

وما رواه ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(انا اولى الناس بابن مريم والانبياء اولاد علّات ليس بينى وبينه نبى) أخرجه البخارى و مسلم واللفظ للبخارى (٢)

فالحديث الأول بين عبودية عيسى عليه السلام ورسالته بصراحة بينما كان الحديث الثانى بين عبوديته ورسالته ضمنا اذ وصف انه من جملة الانبياء وهم اخوة . فاذا كان الانبياء كلهم عباد الله تعالى فكذلك عيسى عليه السلام عبد من عباد الله وليس الها او ابن اله .

بالنظر الى ما تقدم تبين ان الأدلة التى استدلت بها النصارى على قولهم بالوهية المسيح او بنوته لله كلها باطلة ومردودة وبذلك يتبين بطلان قولهم وعقيدتهم فى المسيح .

---

(١) البخارى ج ٤ " كتاب الانبياء ٦٠" باب قوله تعالى اذ قالت الملائكة ٤٦" ص ١٣٩ .

(٢) نفس الكتاب " باب واذكر فى الكتاب مريم ٤٨" ص ١٤١-١٤٢ وانظر صحيح مسلم م٤ " كتاب الفضائل ٤٣" "باب فضل عيسى ٤٠" ص ١٨٣٧ .

ثانيا : قتل المسيح وصلبه لأجل الفداء عن خطايا البشر "عقيدة الفداء":

ترى النصارى ان عيسى عليه السلام قد قتل وصلب وكانت الصلوبية من العقيدة الاساسية في الديانة النصرانية فانكار الصلوبية كفر عند النصارى . وسر هذا الصلب - كما زعموا - للفداء عن آثام البشر التي ارتكبها ابو هم آدم عليه السلام . وقد تكلمت الاناجيل الاربعة عن حادثة صلب المسيح ودفنه وقيامه بعد دفنه كما تكلمت عن حادثة القبض عليه ومحاكمته . وهذا باطل لأن المسيح لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله اليه . والذي قتل وصلب هو رجل آخر شبه لهم . كما قال الله تعالى (١) :

(وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) .

وسيأتي الكلام بالتفصيل عن آراء النصارى في صلب المسيح وما تقدمه من القبض عليه ومحاكمته وقتله مع مناقشتها وبيان بطلانها في الباب الثالث ان شاء الله .

ثالثا : محاسبة المسيح للناس :

اعتقدت النصارى ان المسيح بعد ان صلب دفن، قام من قبره في اليوم الثالث ثم صعد الى السماء وجلس عن يمين الرب وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الاحياء والاموات ، ويرون ان الله قد اقام يوما سيدين فيه سكان هذه الأرض بيسوع المسيح لأن الاب في زعمهم لا يدين أحدا بل اعطى ذلك للابن . لأنه ابن الانسان فهو أولى بمحاسبة الانسان . فجميع الانسان لا بد ان يحاسبوا على اعمالهم ويقفون امام كرسي المسيح فيجزيهم جزاء الأوفى حسب اعمالهم خيرا كانت او شرا (٢) .

---

(١) سورة النساء ١٥٧-١٥٨

(٢) راجع محاضرات في النصرانية محمد ابو زهرة ص ١٢٩ .

وقد اعتمدت النصارى في عقيدتهم هذه على النصوص الواردة في اسفارهم المقدسة حسب زعمهم.

وقد جاء في رسالة بولس الى اهل افسس(١) قوله :

(... اقامه من يمين الاموات واجلسه عن يمينه في السموات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة ... وأخضع كل شيء تحت قدميه) .

وفي رسالته الى أهل رومية(٢) :

(فأنا جميعا سنقف امام منبر المسيح) .

وجاء في انجيل يوحنا (٣) :

(لأن الآب لا يدين احدا بل اعطى الحكم كله لابن) .

ويروى يوحنا عن عيسى عليه السلام قوله(٤) :

(كما اسمع احكم وحكمي عادلة) .

وجاء في انجيل متى (٥) :

(لأن ابن البشر مزمع ان يأتي في مجد ابيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل احد بحسب اعماله) .

هذه من النصوص التي اعتمدت عليها النصارى في مسألة حساب المسيح للناس يوم القيامة . وهي في الحقيقة مبنية على عقيدتهم بألوهية المسيح . وقد بينا بطلان هذا الزعم . ومتى بطل كون المسيح الها او ابن الاله بطل كونه محاسبا للناس . واما النصوص الواردة في الكتب المقدسة التي تشير الى محاسبة عيسى عليه السلام ومحاكمته للناس فهذه كلها مغربة ومكذوبة

---

(١) فصل ١ فقرة ٢٠-٢٢
(٢) فصل ١٤ فقرة ١٠
(٣) فصل ٥ فقرة ٢٢
(٤) انجيل يوحنا فصل ٥ فقرة ٣٠
(٥) فصل ١٦ فقرة ٢٧

وليست من تعاليم عيسى عليه السلام . ذلك لان حساب الاعمال في يوم القيامة لله وحده بنص القرآن الكريم. قال الله تعالى (١) :

(والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) .

وقال تعالى (٢) :

(ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين)

وقال تعالى (٣) :

(أولئك لهم أجرهم عند ربهم أن الله سريع الحساب) .

هذه الآيات تبين ان الله تعالى وحده يتولى حساب الناس في الاخرة وله الحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب . فلذلك بطل ادعاء النصارى ان عيسى عليه السلام هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة . ومع ذلك فالاسلام لا ينكر حضور عيسى عليه السلام في مجلس المحاسبة كشاهد على امته بأنه بلغ رسالته حسبما امر الله به كما حضر المجلس جميع الرسل ليكونوا شاهدين على امتهم ولكن ليس لهم حق في التعقيب على ما حكمه الله تعالى .

ونقطة الخلاف بين عقيدة المسلمين وعقيدة النصارى في هذه المسألة هي ان المسلمين يعتقدون ان الحكم لله وحده واما النصارى فيقولون ان الحكم للمسيح (٤) وقد اثبتنا بطلان هذا القول بنص القرآن كما ذكرته آنفا .

وبعد أن تتبعنا عقائد النصارى وآراءهم في المسيح كلها تبين ان الديانة النصرانية قد انحرفت عن التعاليم السماوية الحقيقية انحرافا تاما

---

(١) سورة الرعد ٤١
(٢) سورة الانعام ٦٢
(٣) سورة آل عمران ١٩٩
(٤) راجع مقارنة الاديان الدكتور احمد شلبي ج ٢ ص ١٦٦

مضادا . اذ كان عيسى عليه السلام يقول عن نفسه انه عبد الله ورسوله والنصارى يقولون انه هو الله او ابن الله الذى هو نفسه الله . والقرآن يقول ان عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب . وهم يقولون انه قتل وصلب . والقرآن يقرر ان كل انسان مسئول عن اعماله خيرها وشرها وهم يقولون ان عيسى عليه السلام مسئول عن ذنوب بنى آدم كلهم ولذلك قدم نفسه للقتل والصلب لأجل فداء خطاياهم .

وهكذا انحرفوا عن الحق فى المسيح انحرافا لا يمكن العقل قبوله . فعقيدتهم فى المسيح غاية فى البطلان . قال ابن القيم (١) :

(والمسيح الذى اثبته النصارى من ابطل الباطل لا يمكن وجوده فى عقل ولا فطرة ويستحيل ان يدخل فى الوجود اعظم استحالة . ولو صح وجوده لبطلت ادلة العقول ولم يبق لأحد ثقة بمعقول اصلا فان استحالة وجوده فوق استحالة جميع المحالات . ولو صح ما يقول لبطل العالم واضمحلت السموات والأرض وعدمت الملائكة والعرش والكرسى ولم يكن بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار) .

هذا الكلام كناية عن استحالة وجود انسان اله كما تتصوره النصارى فى المسيح عيسى بن مريم . ولا شك ان عقيدة تأليه عيسى فى الديانة النصرانية مقتبسة من الديانات الوثنية المنتشرة فى كثير من البلدان فى العصور القديمة لوجود المشابهة بينها وبين هذه الديانات من هذه الناحية . واكثر مشابهة لعقيدة النصارى فى المسيح عيسى بن مريم هو ما يعتقده البوذيون فى " بوذة " حيث جعلوه الها مخلصا للعالم يقدم نفسه ذبيحة لأجل فداء عن خطايا البشر .

---

(١) هداية الحيارى ص١٦٧

قال الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء (١) :

(واما ما يروى عن البوذيين في " بوذة " فهو اكثر انطباقا على ما يرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه حتى انهم يسمونه " المسيح " والمولود الوحيد مخلص العالم ، ويقولون انه انسان كامل واله كامل تجسد بالناسوت وانه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقب عليها ويجعلهم وارثين لملكوت السماوات) .

ونظرا الى هذه المشابهة التامة فمن المحتمل الكبير ان تكون الديانة النصرانية المحرفة كما هو الآن مقتبسة من الديانة البوذية . والله أعلم .

---

(١) انظر ص ٤٣٣

الباب الثالث

توفى المسيح عليه السلام ورفعه

وفيه فصلان

الفصل الأول : آراء اليهود والنصارى فى صلب المسيح واسبابه ونهايته .

الفصل الثانى : رفع المسيح وموقف الاسلام من دعوى صلبه .

*

الفصل الأول

آراء اليهود والنصارى فى صلب المسيح واسبابه ونهايته

اولا - آراء اليهود فى صلب المسيح :

قلنا فيما سبق ان كتب اليهود القديمة لم يوجد اى ذكر فيها عن عيسى عليه السلام لا لولادته ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه وقتله وصلبه . فاذا تكلم اليهود عن المسيح فليس ذلك لأنه مثبت فى كتبهم او سمعوا من آبائهم ولكنهم سمعوا ما تقوله النصارى او قرأوا كتبهم .

ولذلك كان الكلام عن آراء اليهود فى قتل المسيح وصلبه موجزا للغاية . اذ ليس لدينا معلومات عنهم حول هذا الموضوع حتى نتكلم عنه .

قال عبد الوهاب النجار (١) :

(ولقد اخبرنى الدكتور " اسرائيل ولفنسون " ان مسألة قتل المسيح كانت موجودة فى التلمود ولكن اليهود اخرجوها منه حتى لا يعثر عليها احد من الأمم التى يقيم بينها اليهود فيكون ذلك مصدر قلاقل وأخبرنى ايضا أن المسيح كان من حزب مضاد للسيطرة الرومانية على فلسطين فأغرى الحكام - الرومانيون اليهود ليشتكوا عليه ففعلوا وامر الحاكم الرومانى بقتله . هكذا يقول اليهود) .

و يقول الدكتور " جوزيف باركلى " ان الطبعات الاولى من التلمود شملت كثيرا من ذكر المسيح وشتمه وسبه . ولكن الطبعات الاخيرة لا تشمل الا القليل جدا بعد أن طهرتها الكنيسة ومن طبعات التلمود التى فيها السب والشتم ضد المسيح هى طبعة امستردام لسنة ١٦٤٥ وفيها ايضا ذكر قتل المسيح وصلبه . وجاء فيها ; انه قبل صلب المسيح أعلن فى المدينة عن طريق النداء العام ليحضر الذين يريدون الدفاع عن المسيح والشهادة

---

(١) قصص الأنبياء ص ٤٣٠-٤٣١

ببراءته ولكن احدا لم يتقدم للدفاع عنه . وذكر فيها ايضا ان المسيح رمي بالاحجار ثم صلب مساء عيد الفصح [١] هذا هو ما جاء في التلمود عن قصة المسيح وقتله .

وقصارى القول ان اليهود يرون ان عيسى عليه السلام قتل وصلب . واليهود هم الذين قتلوه - حسب زعمهم - لأن عيسى في نظرهم رجل خطير يفسد دينهم وتقاليدهم . ولكننا لا يمكن ان نفصل آراءهم في هذا الموضوع تفصيلا دقيقا اذ لم يوجد الا القليل كما ذكرناه آنفا .

والقرآن الكريم بين ان اليهود ادعوا قتل المسيح وصلبه . ولكنه ابطل هذا واتبعه بالنفي والتكذيب لان الحقيقة خلاف ماقالوا وما ادعوه . ثم بين ان المقتول والمصلوب ليس عيسى عليه السلام ولكن شبه لهم اى شبه لهم بالمقتول بأن ألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فقبضوا على الشبيه وقتلوه وصلبوه ظانين انه عيسى عليه السلام وما هو بعيسى في الواقع لأن عيسى قد نجاه الله من اعدائه فلم يصبه أي أذى في نفسه لا بالقبض عليه ولا بالقتل والصلب . كما قال الله تعالى [٢] :

(وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) .

---

(١) راجع كتاب " التلمود و تاريخه وتعاليمه لظفر الاسلام خان ص ٦٠ وما بعدها .

(٢) سورة النساء ١٥٧-١٥٨

ثانيا : رأى النصارى فى صلب المسيح واسبابه ونهايته :

وفيه مبحثان

المبحث الأول : نظرية الصلب والنداء عند النصارى وبيان بطلانها :

كان الناس يرون ان الموت على الصليب اقبح موت واشنع عاقبة يكرهه الناس جميعا . فالشخص لا يحكم عليه بالصلب الا اذا ارتكب جريمة نكراء من اثارة الفتنة والفوضى فى البلاد او السعى لافساد الأمة بالدعاية الكاذبة وغيرها من الاعمال التى تخل بالأمن والاستقرار فى المجتمع . هكذا كان تصور الناس فيمن مات مصلوبا .

والصلب فى شريعة اليهود هو الحكم على المصلوب باللعنة الأبدية والطرد من رحمة الله تعالى . فالمرء لا يحكم عليه بالصلب - حسب شريعتهم - الا اذا كان مجدفا* على الله كافرا به .

وكان اليهود قد اتهموا المسيح عيسى بن مريم بالتجديف فلذلك حكموا عليه بالقتل والصلب . فقتلوه وصلبوه حسب زعمهم ؛ فصار ملعونا ومطرودا من رحمة الله حسب شريعتهم الباطلة .

والنصارى زعموا ايضا أن المسيح عيسى بن مريم قتل وصلب فعلا بأيدى اليهود . اذا فما المخرج من هذا الحكم ؟ وكيف السبيل ليبينوا لليهود انه لم يكن ملعونا ومطرودا من رحمة الله ؟ وما هو الطريق ليبينوا لهم ان موته على تلك الصورة لا بد من ثمن مجزى ؟ . من هنا فكر دعاة النصارى وقدروا ثم فكروا وقدروا واطالوا التفكير والتقدير حتى انتهى بهم التفكير الى ان موته على الصليب كان عن حكمة وتدبير . وذلك لأجل فداء الناس عن خطاياهم (١) .

---

* جدف على الله : اى تكلم عليه بالكفر والاهانة . والتجديف الكلام عن الله بالكفر والاهانة . انظر المنجد فى اللغة ص ٨٢

(١) راجع المسيح فى القرآن عبد الكريم الخطيب ص ١٣٥-١٣٦

فبذلك صار موته على الصليب اكرم خوت واعظم تضحية وهو الموت لأجل سعادة الناس وخلاصهم من عقاب الله وعذابه .

هكذا ظهرت نظرية الصلب والفداء المفترية عند النصارى . وقالوا في توجيه هذه النظرية . ان آدم عليه السلام عصى ربه بالاكل من الشجرة المنهى عنها فاستحق هو وذريته العقاب في الاخرة بهذا الذنب . ولكن لمّا كان الله تعالى متصفا بالعدل والرحمة طرأ عليه اشكال من عصيان آدم ربه وهو ان عاقبه هو وذريته كان ذلك منافيا لرحمته فلا يكون رحيما . وان لم يعاقبهم كان ذلك منافيا لعدله فلا يكون عادلا ولم تكن هناك وسيلة للجمع بينهما الا ان يحل ابنه تعالى الوحيد الأزلي في بطن امرأة من بني آدم ويتعد بجنين في رحمها ثم يظهر على صورة انسان يعيش كما يعيش الانسان ثم يصلب ظلما لكي يكون ذلك فداء عن الخطيئة الاولى التي ارتكبها آدم عليه السلام . ولم يكن في استطاعة احد ان يقوم بذلك الفداء سوى ابن الله وابن الانسان معا . وهذا الابن هو المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام (١) تعالى الله عما يقولون ".

جاء في انجيل يوحنا (٢) :

(١٥- لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية - ١٦- لأنه هكذا أحب الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤ من بل تكون له الحياة الابدية - ١٧ - فانه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم) .

وجاء في رسالة بولس الى اهل رومية قال (٣) :

(٢٣- اذ الجميع قد خطئوا فيعوزهم مجد الله - ٢٤ - فيبررون

---

(١) راجع محاضرات في النصرانية محمد ابو زهرة ص ٣١ ومقارنة الاديان الدكتور احمد شلبي ج ٢ ص ١٥٥ و تفسير المنار رشيد رضا ج ٦ ص ٢٤-٢٥

(٢) يوحنا فصل ٣ فقرة ١٥-١٧

(٣) رسالة رومية فصل ٣ فقرة ٢٣-٢٦

مجانا بنعمته بالفداء الذى هو بالمسيح يسوع - ٢٥ - الذى جعله الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره بمغفرة الخطايا السالفة - ٢٦ - التى انما احتملها ليظهر بره فى هذا الزمان حتى يكون هو بارا ومبررا من له الايمان بيسوع المسيح) .

قال القس ابراهيم لوقا كما نقله الدكتور احمد شلبى (١) :

(ان المسيحية تعلم ان الله لكى يجمع بين عدله ورحمته فى تصرفه مع الانسان عقب سقوطه دبر طريقة فدائه بتجسيد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا . بهذا أخذ العدل حقه واكتملت الرحمة فنال البشر العفو والغفران وهذه نظرية الفداء) .

وكانوا يفسرون كل ما حدث فى المصلوب بتفسيرات خاصة تلائم شأن آدم وما فعله عندما كان فى الجنة . قال القرافى (٢)

(فانهم يقولون ان سر الصلب محو خطيئة آدم عليه السلام وان الله فداه بابنه كما فدا اسحق بالكبش فضرب المسيح عوضا من رفاهية آدم واهانته بدلا من ثمرة * التى اهلها بالخلود فى الجنة وصلبه على خشبة لتناوله الشجرة وسمرت يداه لامتداد آدم عليه السلام الى الثمرة وسقى الخل والمر عند عطشه لاستطعام آدم عليه السلام حلاوة ما اكله ومات بدلا عن موت المعصية التى كان آدم عليه السلام يتوقعه) .

تلك هى خرافة عقيدة النصارى ونظريتهم في قتل المسيح وصلبه . فيبدو بوضوح ان هذه العقيدة ما هى الا مجرد افتراء وابتداع من دعاة النصارى

---

(١) مقارنة الاديان ج٢ ص ١٥٥

(٢) الاجوبة الفاخرة للقرافى بهامش كتاب الفارق ص ١٥١

* قوله " ثمرة " لعل الصواب فيها بأل اى " الثمرة " .

وعلمائهم القدماء، فهي اشبهت بالعقائد الوثنية المنتشرة في كثير من البلدان في العصور القديمة وقد ذكرت فيما سبق ان اكثرها شبها هو ما يعتقده البوذيون في " بوذة " حيث قالوا ان الله تعالى نزل من السماء ثم تجسد في " بوذة " ثم قدم نفسه للقتل والصلب لاجل فداء الناس وخلاصهم من ذنوبهم . ومن المحتمل ان هذه العقيدة مقتبسة من العقيدة البوذية (١) .

والمتأمل في الديانة النصرانية وخصوصا في عقيدتهم ونظريتهم في صلب المسيح كما ذكرنا يرى ببداهة وبدون اى تفكير ان هذه العقيدة فاسدة وباطلة لا يقبلها ذوو العقول السليمة اذ هى باطلة على كل وجه . وهانحن نذكر بعضا من اوجه بطلانها .

الوجه الاول : أن آدم عليه السلام بعد ان عصى ربه بالاكل من الشجرة المنهى عنها ندم على ذلك وتاب الى الله تعالى فقبل توبته كما قال تعالى (٢) :

(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) .

وقد أخبر الله تعالى انه قبل توبة آدم عليه السلام . ومعنى ذلك أنه برئ من الذنب فلا يحتاج الى الفداء . فبذلك بطل ادعاء النصارى ان قتل المسيح وصلبه حسب زعمهم لأجل الفداء عن الخطيئة التى ارتكبها آدم لأن ذنبه قد غفر ومحى بتوبته .

الوجه الثانى : ان الانسان مسئول عن اعماله فيحاسب فى الاخرة على مافعله هو بنفسه . وليس مسئولا عن اعمال غيره . وقد دلت على ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى (٣) :

(ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما) .

---

(١) راجع هذا الكتاب ص ١٥٧-١٥٨

(٢) سورة البقرة ٣٧

(٣) سورة النساء ١١١

وقوله تعالى [١] :

(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

وقوله تعالى [٢] :

(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) .

هذه الايات ومثلها كثير تفيد ان كل انسان مسئول عن اعماله خيرا كانت او شرا . فيجزى الكل بما كانوا يكسبون . وبناء على ذلك فليس لأحد أن يضع ذنبه على عنق غيره كما ليس لأحد ان يتحمل ذنب غيره . فآدم عليه السلام مسئول عن اعماله فلذلك عاتبه الله تعالى على خطيئته باخراجه من الجنة . ولا شك انه عقاب كاف . وكذلك كل الناس مسئولون عن اعمالهم . فتبين من هذا بطلان قول النصارى ان خطيئة آدم عمت الى ابنائه وذريته وكذلك بطلان قولهم ان عيسى فدى نفسه بالقتل والصلب لأجل خطايا الناس . لأن كل واحد من الناس كما قلنا مسئول عن اعماله فذنبه عليه وليس لأحد ان يضع ذنبه على عنق غيره كما انه ليس لاحد مهما قربت صلته مع الله كالانبياء ان يتحمل ذنوب غيره فلا فائدة اذاً فى الفداء . .

يقول توفيق على وهب ردا على هذه العقيدة [٣] :

(ولا ادرى كيف سولت لهم عقولهم القول بأن يتحمل الجنس البشرى وزر معصية آدم . وعلى اى اساس يتحمل انسان وزر جرم لم يرتكبه . والكتاب المقدس نفسه يناقض هذا الزعم . النفس التى تخطىء هى تموت . الابن لا يحمل من اثم ابيه والأب لا يحمل من اثم الابن بر البار عليه

---

(١) سورة الاسراء ١٥

(٢) سورة الجاثية ١٥

(٣) الاسلام امام افتراءات المفترين ص ١٠٣

يكون وشر الشر بر عليه يكون * : حزقيال ١٨/ ٢٠ وكذا فى سفر رومية " سيجازى كل واحد حسب اعماله** ٢/ ٦) .

ويقول الدكتور أحمد شلبى فى هذه المسألة (١) :

(ويدعى المسيحيون " النصارى " ان ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة ابيهم . وفى اى شرع يلتزم الاحفاد باخطاء الأجداد وبخاصة ان الكتاب المقدس ينص على انه لا يقتل الآباء عن الاولاد ولا يقتل الاولاد عن الآباء كل انسان بخطيئته يقتل)***

الوجه الثالث : ان النصارى يقولون ان الله تعالى متصف بالعدل والرحمة . ولكن اين العدل والرحمة فى قتل المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام وصلبه بذنوب غيره . فلو كان هذا عدلا ورحمة فما الظلم والغلظة اذا ؟ وما الفرق بين الظلم والعدل ؟ . والحقيقة ان هذه العملية بعيدة كل البعد عن العدل والرحمة . لانه ليس من العدل ان يوضع الذنب على غير فاعله وليس من الرحمة ان يعاقب الشخص بذنب غيره .

قال الشيخ عبدالوهاب النجار (٢) :

(ان هذه العملية لم يتحقق بها عدل ولا رحمة لأنه ليس من العدل فى شئ ان يؤتى بمرئ غير مذنب ويطوق اثم جريمة جناها سواه كما ان عقاب غير الآثم ليس فيه رحمه) .

وبذلك بطل قول النصارى .

---

* قوله (بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون) فى طبع بيروت سنة ١٨٨٢ (بر البار عليه يعود ونفاق المنافق عليه يعود) .

** فى طبع بيروت ١٨٨٢ (سيكافئ كل احد بحسب اعماله)

(١) مقارنة الأديان ج٢ ص ١٥٨-١٥٩

*** نقل الدكتور احمد شلبى هذا النص عن سفر تثنية بالمعنى . واما نصه الاصلى : (لا تقتل الاباء بالبنين ولا تقتل البنون بالاباء بل كل امرئ بذنبه يقتل .) سفر تثنية فصل ٢٤ فقرة ١٦

(٢) قصص الانبياء ص ٤٣١

الوجه الرابع : ان المسيح نفسه لم يرض بقتله كما روته الاناجيل نفسها . فقد روى متى عن المسيح انه قال للتلميذ الخائن الذى سيسلمه الى اليهود ليقتلوه :

(ولكن الويل لذلك الرجل الذى يسلم ابن البشر . قد كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد) وروى مثل هذا كل من مرقس ولوقا (١) .

فلو كان خلق عيسى لأجل فداء الناس عن خطاياهم بقتله وهو راض بذلك لما لعن الرجل الذى سيسلمه الى اليهود بالويل ولما قال له مثلما قال . بل ينبغى له ان يمدحه لمساهمته فى تنفيذ ما امره الله . فعدم رضاه بذلك يدل على ان عقيدة الصلب لتكفير خطايا البشر عقيدة مفترية ومبتدعة لا علاقة لها بتعاليم المسيح عليه السلام .

الوجه الخامس : ان العقل الصحيح لا يمكن قبول عقيدة الصلب والفداء لأسباب كثيرة منها :

أ - ان التصديق والقبول لهذه العقيدة يستلزم الاعتقاد بالجهل والبداء على الله تعالى - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - كأنه حينما عصى آدم ربه بأكل الشجرة المنهى عنها ما كان يعلم ما يقتضيه العدل والرحمة فى شأنه حتى اهتدى الى ذلك بعد ألوف السنين بأن يصلب عيسى عليه السلام - حسب زعمهم - كفارة عن ذنوب آدم وابنائه . وهذا محال على الله تعالى .

ب - يستلزم من القبول لهذه النظرية وهذه العقيدة التسليم بما يهيله كل عقل مستقل من خالق الكون يمكن ان يحل فى رحم امرأة فى الأرض يتلوث بالدم والبول وغيرهما من القذارة ثم يكون بشرا يأكل ويشرب

---

(١) انجيل متى فصل ٢٦ فقرة ٢٤ ومرقس فصل ١٤ فقرة ٢١ ولوقا فصل ٢٢ فقرة ٢٢ .

وينام ويستيقظ و غيرها مما يعتريه البشر ثم يأخذه أعداؤه بالقهر والاهانة . فضربوه و بصقوه و تفلوه فى وجهه ثم صلبوه . فهل يتصور ان يحدث فى الله خالق الكون ومدبره مثل هذا ؟ " تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا "(١)

ج - يستلزم من قبول هذه العقيدة التسليم بأن جميع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والذين كانوا قبل عيسى عليه السلام معاقبون ومعذبون في قبورهم بسبب الخطيئة التى ارتكبها آدم عليه السلام حتى فداهم عيسى عليه السلام بصلبه . و هذا محال على الانبياء والرسل جميعا لأنهم من اهل الجنة فلا يعاقبون ولا يعذبون .

نكتفى بما تقدم من الأدلة النقلية والعقلية لبيان خطأ النصارى فـــى نظرية الصلب والفداء وبطلان عقيدتهم . فلا حاجة بنا الى التطويل اكثر من ذلك. هذا من الناحية النظرية .

واما من ناحية الوقوع وحدوث الصلب على المسيح فسيأتى الكلام عليها ان شاء الله فى المبحث الثانى وأبين فيه آراء النصارى كما جاء فى الاناجيل حول هذه القضية ثم اناقشها وأوضح بطلانها مع الاثبات بان المصلوب ليس عيسى عليه السلام كما اعتقدته النصارى بل هو رجل آخر شبيها بالمسيح .

---

(١) راجع عقيدة الصلب والفداء ، رشيد رضا ص ١٨-١٩

المبحث الثانى :
حادثة صلب المسيح ونهايته بعد الصلب

تعتقد النصارى ان المسيح قتل وصلب ظلما . وان اليهود هم الذين قبضوا عليه واتهموه بتهم كاذبة فأحضروه امام الحاكم الرومانى لمحاكمته . وبعد التحقيق والتفتيس رأى الحاكم براءة المسيح مما اتهموه به واراد ان يطلقه ولكن اليهود ألحّوا وصاحوا مطالبين بصلبه فاضطر الحاكم الى موافقتهم فاصدر قرارا بحكم الصلب على المسيح . فنفذوا هذا الحكم ومات المسيح مصلوبا . ثم دفن فى القبر وبعد ثلاثة ايام قام من القبر واجتمع مع تلاميذه عدة مرات ثم صعد الى السماء وجلس عن يمين الرب .

هذا هو الموجز لحادثة الصلب وما دار حولها و نهاية المسيح بعد الصلب كما اعتقدته النصارى وقد تكلمت الاناجيل الاربعة حول هذه القضية مفصلة . ولكنها يتعارض بعضها مع بعض مما يدل على تحريفها وافترائها . وفيما يلى بيان ذلك تفصيلا . ونبدأ الكلام بعملية القبض على المسيح ثم محاكمته ثم قتله وصلبه . واخيرا نتكلم عن نهايته بعد الصلب مع مناقشتها واثبات بطلانها ان شاء الله .

القبض على المسيح :

تعتقد النصارى ان المسيح عالم بمصيره وقد انبأ تلاميذه بأنه سيسلم الى رؤساء اليهود ثم يحكم عليه بالقتل والصلب . جاء فى انجيل متى :

(-١٨- هوذا نحن صاعدون الى اورشليم وابن البشر .. سلم الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت-؟ ١- ويسلمونه الى الأمم لكى يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه و فى اليوم الثالث يقوم) وجاء مثل هذا المعنى فى كل من انجيلى " مرقس" و"لوقا" (١)

---

(١) انجيل متى فصل ٢ فقرة ١٨-١٩ وانظر مرقس فصل ١٠ فقرة ٣٣-٣٤ ولوقا فصل ١٨ فقرة ٣١-٣٣ .

وقبل يوم عيد الفصح اجتمع رؤساء اليهود للبحث عن امر يسوع وقرروا على اخذه بطريق الحيلة للقضاء عليه. ولكنهم لم يجرأوا ان يقبضوا عليه فى ذلك اليوم مخافة ان يقع فى الشعب اضطراب (١) وانتظروا الفرصة الجيدة لتنفيذ هذه العملية الشريرة - وساعدهم فى انجاح هذه العملية رجل خائن من احد تلاميذه الاثنى عشر مقابل الأجرة من الفضة . جاء فى اناجيل "متى" و"مرقس" و"لوقا" ما معناه ان يهوذا الاسخريوطى ذهب الى عظماء الكهنة ووعدهم على ان يسلم عيسى عليه السلام اليهم على شرط الأجر من الفضة فوافقوا على ذلك. ومن ذلك اليوم يتحين يهوذا الفرصة ليسلم عيسى اليهم. (٢)

وقد جرت العادة ان عيسى عليه السلام يجتمع مع تلاميذه على شكل الأسرة وحلقات التعليم . وذات ليلة ذهب يسوع بهم الى ضيعة تدعى جتسمانية واخبر تلاميذه انه فى حزن شديد وامرهم ان يجلسوا ويسهروا معه ويصلوا له لكى لا يدخلوا فى تجربة . ولكن التلاميذ غلبهم النوم فلم يستطيعوا ان يصلوا ويسهروا معه لأن عيونهم كانت مثقلة . اما هو فمضى يصلى ويدعو الله لكى تعبر عنه هذه الكأس* ان كان يستطاع . ولما اقتربت ساعة القبض عليه جاء الى التلاميذ وقال لهم ناموا من الآن واستريحوا وقد حان الوقت ان يسلم ابن البشر الى ايدى الخطاة ها هو الذى يسلمنى يقترب .

وفيما هو يتكلم اذا بيهوذا مع جماعة غفيرة من قبل رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ومعهم الاسلحة من السيوف والعصى . وكان يهوذا قد أعطاهم

---

(١) انظر "متى" فصل ٢٦ فقرة ٢-٥ وانظر "مرقس" فصل ١٤ فقرة ١-٢

(٢) انظر "متى" فصل ٢٦ فقرة ١-١٦ وانظر "مرقس" فصل ١٤ فقرة ١٠-١١ وانظر لوقا فصل ٢٢ فقرة ٣-٦

* قوله "لكى تعبر عنه هذه الكأس" هذا حسبما جاء فى انجيل متى فصل ٢٦ فقرة ٣٩-٤٣ واما مرقس فعبر بقوله "لكى تعبر عنه الساعة ان كان يستطاع" . ولعل المراد بهذين التعبيرين البلاء . اى ليخلص منه هذا البلاء .

علامة قائلا : ان الذى أقبله هو المسيح فاعتقلوه . فتقدم يهوذا فقبّله فحينئذ تقدموا واعتقلوه . وكان واحد ممن كانوا مع المسيح جرد سيفه فضرب عبد كبير الكهنة فصلم اذنه فنهاه المسيح عن ذلك وامر ان يرجع سيفه الى غمده و حينئذ هرب تلاميذ المسيح وتواروا عنهم . واما المسيح فحملوه امام قيافا كبير الكهنة حيث كان الكتبة والشيوخ مجتمعين . هذا مضمون القصة التى رواها كل من متى ومرقس ولوقا مع الاختلاف فيما بينهم فى بعض الامور.(١)

واما يوحنا فقد انفرد عما رواه اصحاب الاناجيل الثلاثة فى هذه القصة فأخبر ان يهوذا الاسخريوطى أخذ الفرقة وخداما من قبل عظماء الكهنة والفريسيين وجاءوا الى المكان الذى اجتمع فيه عيسى مع تلاميذه بمصابيح ومشاعل واسلحة . ولما وصلوا اليه خرج عيسى وسألهم " من تطلبون " ؟ فقالوا له يسوع الناصرى فقال لهم : " انا هو " ولما قال لهم " انا هو " ارتدوا الى الوراء وسقطوا أرضا فسألهم ثانية : من تطلبون ؟ فقالوا يسوع الناصرى فأجاب يسوع قلت لكم " انى انا هو " فان كنت انا من تطلبون فدعوا هؤلاء يذهبون . فعند ذلك استل بطرس سيفه وضرب به عبد كبير الكهنة فصلم اذنه اليمنى . فامر يسوع بأن يرجع السيف الى غمده و قال " الكأس التى اعطانيها الآب ألا أشربها؟ وحينئذ اعتقلت الجنود وخدم اليهود يسوع.(٢)

واذا بحثنا فيما رواه " يوحنا " وجدنا انه لم يشر الى ان يهوذا دلهم على المسيح بل المسيح نفسه خرج اليهم وسألهم من تطلبون ؟ فلما اجابوه " يسوع الناصرى " قال لهم " انا هو ". هذا مخالف لما رواه اصحاب الاناجيل الثلاثة الاخرين اذ انهم اخبروا ان يهوذا قبّل المسيح ليكون ذلك علامة لهم بأن الذى قبّله هو المسيح فقبضوا عليه .

---

(١) انظر انجيل متى فصل ٢٦ فقرة ٣٦-٥٧ ومرقص فصل ١٤ فقرة ٣٢-٥٣ ولوقا فصل ٢٢ فقرة ٣٩-٥٤

(٢) انظر انجيل يوحنا فصل ١٨ فقرة ١-١٢

وعلى كل حال فجميع اصحاب الاناجيل الاربعة اشاروا الى ان الجنود الذين جاءوا للقبض على المسيح لم يعرفوه ولم يفرقوا بينه وبين تلاميذه، مضافا الى ذلك ان الوقت كان ليلا فقبضوا على واحد منهم ظانين انه هو المسيح فجروه الى المحكمة لمحاكمته ثم قتلوه وصلبوه . والقرآن الكريم نفى ان يكون المقتول هو المسيح وبين ان الله قد نجاه منهم بأن رفعه الى السماء واما المقتول والمصلوب هو رجل اخر شبيها بالمسيح . وسيأتي بيان هذا في المبحث الثاني ان شاء الله.

محاكمة المسيح وما دار حولها :

وبعد أن تم القبض على المسيح احضروه امام قيافا كبير الكهنة حيث اجتمع الكهنة وشيوخ الشعب وطلبوا من الحاضرين ان يشهدوا على يسوع زورا ليميتوه فلم يجدوا . وأخيرا قام رجلان منهم وقالا " هذا الرجل قال " استطيع ان أهدم هيكل الله وفي ثلاثة ايام ابنيه " وسأل كبير الكهنة عيسى عن ذلك فلم يجبه شيئا . فقال كبير الكهنة " استحلفك بالله الحي ان تقول لنا هل انت المسيح ابن الله ؟ قال يسوع انت قلت وانى اقول لكم من الآن سترون ابن البشر جالسا عن يمين القدرة وآتيا على سحاب السماء " ولما سمع كبير الكهنة شق ثيابه وصرخ قائلا " لقد جدف فما حاجتنا الى شهود ؟ ها أنتم قد سمعتم تجديفه فما ترون ؟ فأجابوا يستحق الموت حينئذ تفلوا في وجهه وشتموه وآخرون صفعوه قائلين تنبأ لنا ايها المسيح من ضربك ؟ فلم يجبهم المسيح شيئا بل اخلد الى الصمت . هذا ما جاء في "متى "(١) وقد وافقه مرقس في المعنى الا ان مرقس لم يذكر عدد الشهود بل بين ان بعضهم قاموا وشهدوا عليه زورا (٢) واما لوقا ويوحنا فسكتا عن ذكر الشاهد وكذلك سكتا عن ذكر القول المنسوب الى المتهم زورا " استطيع ان

---

(١) انظر انجيل متى فصل ٢٦ فقرة ٥٧-٦٨ بتصرف
(٢) انجيل مرقس فصل ١٤ فقرة ٥٤-٦٥

اهدم هيكل الله وفى ثلاثة ايام ابنيه " كما ذكره متى ومرقس . فهذا اللفظ لم يوجد فى انجيلى لوقا ويوحنا .

واما السؤال الذى وجه الى يسوع من قبل عظماء الكهنة وجسواب يسوع اليهم فنجد ان رواية لوقا فى هذا - اى فى السؤال والجواب - موافقة لما رواه " متى ومرقس " من حيث المعنى وهو ان عظماء الكهنة سألوا يسوع عن شخصيته حيث قالوا : ان كنت المسيح فقل لنا ؟ فاجاب يسوع ان قلت لكم فلا تؤمنون .... من الآن يكون ابن البشر جالسا عن يمين قدرة الله . فقال الجميع هل انت ابن الله ؟ فقال لهم انتم تقولون انى انا هو (١) .

فهم سألوا المسيح عن شخصيته فأجاب المسيح عما سألوا .

واما يوحنا فما رواه فى هذا يخالف ما رواه اصحاب الاناجيل الثلاثة " اى متى ولوقا ومرقس " . فاصحاب الاناجيل الثلاثة كما قلنا رووا ان عظماء الكهنة سالوا عن شخصية المسيح . واما يوحنا فروى انهم سألوا المسيح عن تلاميذه وتعليمه كما جاء فى انجيله قال :

(١٩ - فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه -٢٠- فأجابه يسوع انا كلمت العالم علانية وعلمت كل حين فى المجمع والهيكل حيث تجتمع كل اليهود ولم أتكلم بشئ خفية -٢١- فلم تسألنى أنا ؟ سل الذين سمعوا ما كلمتهم به فانهم يعرفون ما قلته -٢٢- فلما قال هذا لطم يسوع واحدا من الخدم كان واقفا . وقال " أهكذا تجاوب رئيس الكهنة -٢٣- اجابه يسوع " ان كنت تكلمت بسوء فاشهد علىّ بالسوء . وان بخير فلماذا تضربنى ؟) (٢)

فهذه المحاكمة بين يسوع وكبير الكهنة انفرد بذكرها " يوحنا " ولم يذكرها احد من اصحاب الاناجيل الثلاثة الآخرين .

---

(١) انظر " لوقا " فصل ٢٢ ف ٦٦-٧٠ بتصرف
(٢) " يوحنا " فصل ١٨ فقرة ١٩-٢٣

فكيف يحدث هذا الاختلاف بين اصحاب الاناجيل فى هذه القضية مع ان الأسئلة والأجوبة فى التحقيق والتفتيش على المتهم امر مهم جدا لتقرير الحكم عليه ؟

هذا الاختلاف يفيدنا ان اصحاب الأناجيل قد كتبوا هذه القصة حسب تصوراتهم وتخيلاتهم . وليسوا مستندين الى حقائق واقعة .

ولما كان الصباح تشاور عظماء الكهنة وشيوخ الشعب فى امر يسوع وبحثوا عن الحيلة ليصلبوه ولكنهم لا يستطيعون أن يقتلوه ويصلبوه الا بموافقة بيلاطس الحاكم الرومانى . لأن فلسطين فى ذلك الوقت تحت سيطرة روما . وكانت روما تمنع اليهود من الحكم بالقتل حسب الناموس الا بقرار هذا الحاكم. فلذلك احضروه امامه لمحاكمته . وكانت التهمة التى وجهت الى يسوع من قبل رؤساء اليهود كما رواه "لوقا" ثلاثة امور : الاول : انه يحرّض الأمة على الثورة ، الثانى : انه يمنع دفع الجزية الى قيصر ، الثالث : انه يدعى المسيح الملك. (١)

وأما يوحنا فذكر ان التهمة التى وجهوها اليه هى "انه ادعى نفسه ابن الله" جاء فى الفصل الثامن عشر من انجيله قال :(٢)

(-٦- فقال لهم بيلاطس خذوه أنتم واصلبوه لأنى لا اجد فيه علة -٧- أجابه اليهود ان لنا ناموسا وبحسب ناموسنا هو مستوجب الموت لأنه جعل نفسه ابن الله)

وهذه التهمة مما جعلهم يطلبون من الحاكم حكم الصلب عليه . بينما كان "متى ومرقس" لم يفصلا نوع الاتهام.

فلما وقف يسوع امام الوالى بدأ يسأله قائلا : أأنت ملك اليهود ؟ فأجابه يسوع "انت قلت" وكان عظماء الكهنة يكيلون له التهم - وأمره

---

(١) انظر انجيل لوقا فصل ٢٣ فقرة ٢
(٢) يوحنا فصل ١٩ فقرة ٦-٧

بيلاطس ان يجيبهم على ما اتهموه ولكن يسوع اخلد الصمت ولم يجبهم شيئا . هكذا التفتيش الذى اجراه الحاكم على يسوع عند محاكمته على ما رواه كل من " متى " و " مرقس " و " لوقا " (١) فالمحاكمة قصيرة جدا . فهذا غير معقول لأن اثبات المدعى عليه بجريمته او ببراءته منها لا يمكن ان يكون بسؤال واحد وجواب واحد . بل لا بد من اسئلة واجوبة متعددة فيستنتج الحاكم من هذه الأسئلة والأجوبة فى تعيين المدعى عليه سواء كان مخطئا او غير مخطئ فيحكم الحاكم حسبما يراه . واما " يوحنا " فقد انفرد عن اصحاب الاناجيل الثلاثة بذكر الحوار الطويل بين الحاكم ويسوع . ونأتى هنا بنصوص ذلك الحوار :

(٣٣- فدخل ايضا بيلاطس الى دار الولاية ودعا يسوع وقال له " أنت ملك اليهود ؟ ٣٤- اجاب يسوع أمن عندك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى ؟ ٣٥ - فاجاب بيلاطس ألعلّى أنا يهودى أن امتك ورؤساء الكهنة هم اسلموك اليّ فما الذى صنعت ؟ ٣٦ - اجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم ولو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى حاربوا عنى لئلا أسلم الى اليهود والان فان مملكتى ليست من هنا ٣٧- فقال له بيلاطس أفملك أنت اذن ؟ أجاب يسوع " انت قلت انى ملك . انى لهذا ولدت ولهذا أتيت الى العالم لأشهد للحق فكل من كان من الحق يسمع صوتى ٣٨- قال له بيلاطس : وما هو الحق ؟ قال هذا) (٢)

هذا هو المجاوبة والمسألة بين يسوع والحاكم كما رواه " يوحنا " وهذا معقول بالنسبة لاجراء التحقيق على المدعى عليه فى المحاكمة ولكن أين

---

(١) انظر انجيل متى فصل ٢٧ فقرة ١١-١٣ ومرقس فصل ١٥ فقرة ٢-٥ ولوقا فصل ٢٣ فقرة ٣

(٢) يوحنا ص ١٨ ف ٣٣-٣٨

أخذ " يوحنا " هذه المعلومات ؟ فهل سمعها بنفسه اوسمعها غيره من المحكمة فأخذ منه ؟ او اخذها من الحاكم الرومانى نفسه ؟ او من المدعى عليه المحكوم عليه بالصلب ؟. فالظاهر ان هذه الاحتمالات كلها غير واقـــع لأنه لو قال أنه سمعها بنفسه من المحاكمة او غيره سمعها فأخذ منه فهذا غير صحيح لأن التحقيق والتفتيش على المدعى عليه كان فى دار الولاية فلا يدخل هذا الدار أحد الا يسوع - كما زعموا - والحاكم الرومانى . ويوحنا نفســـه اخبر ذلك فى انجيله وقال قبل ان اورد قصة المحاورة بين الحاكم و بين المدعى عليه :

(-٢٨- وجاءوا بيسوع من قيافا الى دار الولاية وكان الصبح ولم يدخلوا الى دار الولاية لئلا يتنجسوا فيمتنعوا عن أكـــل الفصح -٢٩- فخرج بيلاطس اليهم وقال : اية شكاية تورد ون على هذا الرجل . . الى ان قال -٣٣- فدخل بيلاطس ايضا الى دار الولاية ودعا يسوع وقال له " أأنت ملك اليهود . .الخ) .

و هذه العبارات من انجيل يوحنا نفسه تدل على ان التحقيق والتفتيش ليس امام الجميع بل كان فى دار الولاية . وهم لم يدخلوا هذا الدار لئلا يتنجسوا. فاذا كان التحقيق والتفتيش سرّا فلا يعلم ما حدث فيه سوى الحاكم والمتهم.

وبهذا تبين أن " يوحنا " لم يأخذ المعلومات عن محاكمة يسوع بسماع من المحاكمة . فان قال انه اخذها من الحاكم الرومانى نفسه فهذا غيـــــر معقول لأنه لم يتصور ان يذهب يوحنا او غيره من التلاميذ الى الحاكم الرومانى حتى أخذ معلومات المحاكمة عنه . فان قال انه أخذها من المدعى عليه المحكوم عليه بالصلب . فهذا غير مقبول ايضا لأنّ المدعى عليه بعد ان حكم عليه بالصلب نفذ حكمه على الفور ثم مات على المصلوب فلم يتمكن أحد من أخـــذ المعلومات منه .

---

(١) يوحنا ص ١٨ ف ٣٨ ومابعدها .

فاذا كانت الاحتمالات الثلاثة غير واقعة فمن الموكد ان هذه القصة من اختراع "يوحنا".

وبعد اجراء التحقيق والتفتيش تبين للحاكم ان المسيح برئ مما اتهموه واراد ان يطلقه ،ولكن عظماء الكهنة ألحّوا مطالبين بصلبه .

وقد جرت العادة ان للوالى ان يطلق سجين فى كل عيد ،وكان هناك سجين مشهور يدعى "برأبا" فطلب بيلاطس الحاكم الرومانى من اليهود ان يختاروا بين "المسيح" و"برأبا" لكى يطلق لهم - فصاحوا وطلبوا من الحاكم ان يطلق "برأبا" ويصلب المسيح -ولكن الحاكم ابى أن يوافق على ما طلبوا لأنه يرى براءة يسوع مما اتهموه وقال لهم "ماذا فعل من شر ؟ ومع ذلك فان اليهود مصرون على طلبهم وصاحوا بصياح عنيف وشديد مطالبين صلب المسيح فاضطر الحاكم الى الموافقة على طلبهم فاصدر قرار بصلبه (١) .

هذا مضمون القصة التى روتها الاناجيل حول محاكمة يسوع ويبدو ان بين الاناجيل اختلاف كبير ومظاهر الافتراء فيها واضحة وخصوصا فى انجيل يوحنا كما سبق .

---

(١) راجع انجيل متى فصل ٢٧ فقرة ١٥-٢٦ و مرقس فصل ١٥ فقرة ٦-١٥ ولوقا فصل ٢٣ فقرة ١٧-٢٥ ويوحنا فصل ١٨ فقرة ٣٩-٤٠ .

صلب المسيح وموته :

كانت النصارى يرون أن المسيح قد صلب فور اصدار القرار بصلبه وقبل أن يموت أهين وعذب بانواع الاهانة والتعذيب اهانه الجنود وضربوه وشتموه وتفلوا فى وجهه والبسوه لباسا يشبه لباس الملك اهانة له واستهزاء به . روى " متى " ما معناه ان جنود الوالى اخذوا يسوع وعروه والبسوه رداء قرمزيا وضفروا اكليلا من الشوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يده وكانوا يركعون امامه هازئين قائلين : سلام ملك اليهود . وتفلوا عليه وضربوه . وبعد أن هزأوا به نزعوا عنه الرداء والبسوه ثيابه واقتادوه ليصلبوه . ولما وصلوا الى المكان الذى يسمى جلجلة اى جمجمة اعطوه خمرا ممزوجة مرا ليشربه . ولما ذاقها عافها . ولما صلبوه اقتسموا ثيابه بالقرعة وجلسوا هناك يحرسونه وعلقوا فوق رأسه كتابة بأسباب الحكم عليه - هذا هو يسوع ملك اليهود - وصلب معه لصان احدهما عن يمينه والاخر عن شماله . وكان المارة يشتمونه ويحركون رؤوسهم قائلين " انت الذى تهدم الهيكل وفى ثلاثة ايام تبنيه خلص نفسك انت اذا كنت ابن الله . وانزل عن الصليب . وكان عظماء الكهنة والشيوخ يهزأون به ايضا ويقولون " خلص آخرين فكيف لا يخلص نفسه . ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل عن الصليب فنؤمن به .

وكان اللصان اللذان صلبا معه يشتمانه كذلك ايضا . هذا هو ما رواه متى فى انجيله (١) وقد وافقه مرقس (٢) فى المعنى تمام الموافقة ولعله نقل احدهما عن الآخر .

وأما لوقا " فقد وافق متى فى المعنى العام الا انه اسقط بعض العبارات وزاد بعضها على ما ذكره " متى " . فلوقا لم يذكر اللباس القرمزى الذى ألبسوه يسوع والاكليل من الشوك الذى وضعوه على رأسه كما ذكره " متى " ولكنه

---

(١) انجيل متى فصل ٢٧ فقرة ٢٧-٤٤ بتصرف
(٢) انظر انجيل مرقس فصل ١٥ فقرة ٢٢-٣٢

زاد بعض العبارات حيث لم يذكره " متى " فروى انه لما حمل المسيح الى مكان صلبه تبعه جمع غفير من الرجال والنساء وكانت النساء يبكين عليه . فالتفت يسوع اليهن وقال (١) : "

(-٢٨- يا بنات اورشليم لا تبكين عليّ بل ابكين انفسكن وعلى بنيكن -٢٩- فها انها تأتي ايام يقال فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد وللثدي التي لم ترضع -٣٠- حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطي علينا وللاكام غطينا -٣١- لانهم ان كانوا صنعوا هذا بالعود الرطب فماذا يكون باليابس) .

وروى لوقا أيضا /ان يسوع لما صلبوه دعا لهم قائلا (٢) :

(يا أبت اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يعملون) .

هذه الحكاية انفرد بها لوقا ولم يرو مثلها احد من اصحاب الاناجيل الاخرين .

وروى يوحنا ان يسوع اوصى امه بأن تجعل التلميذ الذي كان يحبه ابنا لها على سبيل التبني . و أوصى التلميذ بأن يجعل امه " مريم " أما له .

اذ يقول في انجيله (٣) :

(-٢٥- وكانت واقفة عند صليب يسوع امه واخت امه مريم التي لكلوبا ومريم المجدلية -٢٦- ولما رأى يسوع امه والتلميذ الذي يحبه واقفا قال لأمه " يا امرأة هوذا ابنك " -٢٧- ثم قال للتلميذ " هذه أمك ومن تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصته) .

هذا الخبر انفرد به "يوحنا" واما اصحاب الاناجيل الاخرون فسكتوا عن ذكره .

---

(١) لوقا فصل ٢٣ فقرة ٢٨-٣١
(٢) نفس المرجع فصل ٢٣ فقرة ٣٤
(٣) " يوحنا " فصل ١٩ فقرة ٢٥-٢٧

وروى اصحاب الاناجيل الا " يوحنا " انه من الساعة السادسة الى التاسعة وقع ظلام على الارض كلها وهذه دلالة على قرب وفاة يسوع . ونحو التاسعة سمع صرخة عظيمة خرجت من يسوع حيث يسمعها الحاضرون . وقد اختلف اصحاب الاناجيل فى الكلمات التى صرخ بها يسوع . قال " متى " انه ينادى ربه قائلا (١) :

(٤٦- ايلى ايلى لما شبقتنى " اى الهى الهى لماذا
تركتنى -٤٧- فسمع قوم من الحاضرين هناك فقالوا : ها
انه ينادى ايليا -٤٨- وللوقت اسرع واحد منهم وأخذ
اسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه - ٤٩- فقال
الباقون " دع لننظر هل يأتى ايليا ينجيه -٥٠- وصرخ
يسوع ايضا بصوت عظيم واسلم الروح) .

وبذلك انتهت حياة يسوع كما ظنوا . هكذا ما رواه متى ووافقه مرقس(٢) فى المعنى تمام الموافقة . وأما لوقا فروى ان يسوع صرخ بهذا اللفظ (٣) :

(يا ابت فى يديك استودع روحى . ولما قال هذا سلم الروح)

بينما كان " يوحنا " روى ان اللفظ الأخير الذى تلفظ به يسوع هو قوله " قد تم " ثم مات . جاء فى الفصل التاسع عشر من اجيله قال (٤) :

(فلما أخذ يسوع الخل قال : قد تم " وأمال رأسه واسلم الروح) .

وبعد ان تتبعنا لهذه الواقعة تبين لنا ان اصحاب الاناجيل الأربعة قد اختلفوا اختلافا كبيرا فهذا روى هذا وذاك روى غير هذا والثالث روى مخالفا للأول والثانى . والرابع روى مخالفا لما رواه الثلاثة . ونحن اعتبرنا اصحاب الاناجيل كشهود لنا فى هذه الواقعة . ونحن الحاكمون عليها . فهل تطمئن قلوب الحاكمين اذا كان الشهود مختلفين فيما بينهم ؟ وهل يعتمد الحاكمون

---

(١) انجيل متى فصل ٢٧ فقرة ٤٦-٥٠
(٢) انظر مرقس فصل ١٥ فقرة ٣٤-٣٨
(٣) لوقا فصل ٢٣ فقرة ٤٦
(٤) يوحنا فقرة ٣٠

على اقوال يتعارض بعضها مع بعض ؟ فهل يصدق الحاكمون بما جاء فـــى الاناجيل المشتمل على عقيدة الشرك بتأليه المسيح . والمسيح تبرأ منه ؟ . طبعا ان العاقل لا يقبل هذه الاقوال ولا يصدق ما رواه اصحاب الاناجيـــل، لأن هذا الاختلاف يدل على عدم امانة رواتها واذا فقدت الامانة فالتصديق به غير جائز وخصوصا ان بعض نصوص الأناجيل قد بدت فيه مظاهر الافتـراء والكذب .

نهاية المسيح بعد الصلب كما تراه النصارى :

ترى النصارى انه لما مات المسيح فلم يلبث طويلا في الصليب اذ أنزل منه ثم كفن فدفن في القبر . والذي تولى هذا الامر رجل من الراسة اسمه يوسف حيث يذهب هذا الرجل الى بيلاطس وطلب منه جسد يسوع فأذن له فأنزله من الصليب وكفنه ثم وضعه في القبر . فدحرج حجرا كبيرا ليستر باب القبر. وقد تبع جنازته عدد من النساء ينظرن اين وضع جسد يسوع . هذا كما هو مصرح به في كل من اناجيل "متى" و"لوقا" و"مرقس" (١) . واما "يوحنا" فسكت عن ذكر اولئك النساء بل اخبر ان هناك رجل اسمه نيقودمس جاء مع يوسف ليتوليا كفن المسيح ودفنه (٢) وهذا الخبر انفرد به "يوحنا" ولم يذكره اصحاب الاناجيل الثلاثة الآخرون . وبعد ان تم دفنه رجعوا الى بيوتهم . وهذا الأمر قد حدث في يوم الجمعة .

وفي صباح يوم السبت اجتمع عظماء الكهنة والفريسيون عند بيلاطس الحاكم الروماني وقالوا له ان لا بد من حراسة قبر المسيح مخافة ان يســـرق تلاميذه جسد المسيح ثم يقولون للشعب انه قام من بين الاموات فتكون الضلالة

---

(١) انظر "متى" فصل ٢٧ فقرة ٥٧-٦١ ومرقس فصل ١٥ فقرة ٤٢-٤٧ ولوقا فصل ٢٣ فقرة ٥١-٥٦ .

(٢) انظر "يوحنا" فصل ١٩ فقرة ٣٨ وما بعده .

الأخيرة شرا من الاولى . فوافق بيلاطس على ذلك وامرهم ان يحرسوه . فذهبوا الى القبر ومعهم الحرس فختموا الحجر وحاطوا القبر . فقام الحرس بحراسته (١) .

هذا الخبر انفرد به " متى " ولم يذكره احد من اصحاب الاناجيل الاخرين .

وفى صباح اليوم الأول من الاسبوع ذهب بعض النساء الى قبر يسوع فلم يجدن جسده فأخبرن انه قام من بين الاموات . وقد اختلفت الاناجيل فى وصف هذه الحادثة اختلافا كبيرا حيث لا يمكن الجمع والتوفيق بينهما . روى " متى " فى الفصل الثامن والعشرين من انجيله قال (٢) :

(١- وفى غلس السبت المسفر عن اول الاسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى لتنظرا القبر -٢- واذا زلزلة عظيمة قد حدثت لأن ملاك الرب من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس فوقه -٣- وكان منظره كالبرق ولباسه ابيض كالثلج -٤- ومن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كالاموات -٥- فاجاب الملاك وقال للنسوة لا تخفن انتن قد علمت انكن تطلبن يسوع المصلوب -٦- انه ليس ههنا فانه قد قام كما قال تعالين وانظرن الى المكان الذى كان مضجعا فيه الرب -٧- واسرعن واذهبن وقلن لتلاميذه انه قد قام وهو يسبقكم الى الجليل وهناك ترونه ها انا قد قلت لكن -٨- فخرجن مسرعات من القبر بخوف وفرح عظيم وبادرن لتخبرن تلاميذه -٩- فاذا يسوع لاقاهن وقال : سلام لكن . فدنون واسكن قدميه وسجدن له -١٠- وحينئذ قال لهن يسوع لا تخفن . اذهبن وقلن لأخوتى ليذهبوا الى الجليل وهناك يرونني) .

---

(١) انظر متى فصل ٢٧ فقرة ٦٢-٦٦ بتصرف

(٢) نفس المرجع فصل ٢٨ فقرة ١-١٠

وروى مرقس ان النساء اللائى ذهبن الى القبر لسن اثنتين كما اخبره "متى" بل كن ثلاثة هن مريم المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومة ذهبن الى القبر عند طلوع الشمس وليس فى الفجر كما اخبره "متى". ولما وصلن هناك رأين الحجر الذى يستر به القبر قد دحرج ثم دخلن فى القبر فرأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء ..وليس ملاكا كما رواه "متى" فقال لهن الشاب أتطلبين يسوع الناصرى الذى صلب ؟ لقد قام وانه ذهب الى الجليل (١) فلم يذكر مرقس حدوث الزلزال كما اخبره "متى" بل ان هذه الحادثة مما انفرد بذكرها "متى" ولم يذكرها احد من اصحاب الاناجيل الآخرين . ولا شك ان هذا من افتراء "متى" اذ لو حدث فعلا هذا الزلزال لما سكت عن ذكره اصحاب الاناجيل الاخرون . واما "لوقا" فلم يذكر عدد النساء ولا اسماء هن بل اخبر ان النساء اتين الى القبر يحملن الحنوط الذى كن هيأنه . وذلك فى فجر اليوم الاول من الاسبوع فلما وصلن الى القبر فوجدن الحجر قد دحرج عن القبر. فدخلن فيه فما وجدن جسد المدفون .فتحيرن من ذلك. وبينما هن متحيرات اذا برجلين وقفا امامهن بثياب باهرة قائلين لهن "لماذا تطلبن الحى بين الأموات ؟ انه ليس هنا بل قام.. فرجعن من القبر فأخبرن تلاميذه والاخرين . فكان عندهم هذا الكلام كالهذيان فلم يصدقوهن . واما بطرس فاسرع الى القبر فلم ير فيه الا اللفائف فقط فعاد من هناك متعجبا مما جرى (٢) .

بينما كان "يوحنا" روى مخالفا لما رواه اصحاب الاناجيل الثلاثة كما ذكرته آنفا اذ اخبر ان التى جاءت الى القبر هى مريم المجدلية وحدها وليس معها غيرها .

---

(١) انظر مرقس فصل ١٦ فقرة ١-٧

(٢) أنظر لوقا فصل ٢٤ فقرة ١-١٢ بتصرف .

فلما رأت الحجر مرفوعا عن القبر ركضت وأتت الى سمعان بطرس والتلميذ الاخر الذى كان يسوع يحبه واخبرتهما انهم أخذوا جسد يسوع من القبر ولا نعلم اين وضعوه . فخرج بطرس والتلميذ الاخر فذهبا الى القبر فسبق التلميذ الاخر بطرس وجاء الى القبر أولا وانحنى فرأى الاكفان موضوعة ولكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس ودخل القبر فرأى الاكفان ملقاة ثم دخل ايضا التلميذ الاخر الذى جاء اولا الى القبر فرأى وآمن .

واما مريم المجدلية فكانت واقفة قرب القبر باكية ثم انحنت على القبر فرأت ملاكين بثياب بيض جالسين احدهما عند الرأس والاخر عند القدمين حيث كان وضع جسد يسوع . فسألاها لماذا تبكين ؟ فأجابت " أخذوا ربى ولا أعلم أين وضعوه" . وبعد ان قالت هذا التفتت الى الوراء فرأت يسوع واقفا . ولم تعلم أنه هو يسوع بل ظنته انه البستانى . فقال لها يسوع يا امرأة لم تبكين ؟ من تطلبين ؟ فأجابته " ياسيدى اذا كنت انت أخذته فقل لى اين وضعته حتى اذهب اليه وآخذه فقال لها يسوع " مريم " فالتفتت وقالت بالعبرية رابونى اى يا معلمى فقال لها يسوع لا تلمسينى بعد لانى لم اصعد الى الآب بل اذهبى الى اخوتى وقولى لهم انى صاعد الى ابى وابيكم والهى والهكم . فرجعت مريم المجدلية وبشرت التلاميذ ذلك (١) .

وبعد أن استعرضنا روايات الاناجيل عن قصة ذهاب النساء الى القبر وقيام المسيح من بين الأموات وما جرى فيها وجدنا ان هذه القصة اشد اختلافا عن القصص الأخرى حول المسيح . حيث لا يمكن التوفيق بينها . واوجه الاختلاف كثيرة حيث اختلفت فى عدد النساء اللائى ذهبن الى القبر وفى وقته وفيمن لقينه وفى الحادثة التى تحدث فى القبر وغير ذلك من الاختلافات كما بيناه آنفا . الأمر الذى أدّانا الى الحكم بانها قصة

---

(١) انظر يوحنا فصل ٢٠ فقرة ١-١٨ بتصرف .

خرافية خيالية غير واقعية اذ لو كانت حقيقة - كما زعموا - لما حدث مثل هذا الاختلاف .

ثم اخبرت الاناجيل الاربعة ان المسيح التقى مع تلاميذه وغيرهم عدة مرات يتكلم ويأكل معهم ولكن كانوا فى شكوك وتعجب غير مصدقين بأنه هو يسوع . وجاء فى الفصل الرابع والعشرين من انجيل لوقا قال (١) :

(وبينما هم يتحدثون بهذه وقف يسوع فى وسطهم وقال لهم السلام لكم انا هو لا تخافوا -٣٧- فاضطربوا وخافوا وظنوا انهم يرون روحا - ٣٨ - فقال لهم ما بالكم مرتعدين ولماذا تثار الاوهام فى قلوبكم -٣٩ - انظروا يدى ورجلىّ . انى انا هو جسونى وانظروا فان الروح لا لحم ولا عظام له كما ترون لى -٤٠ - وعند قوله ذلك اراهم يديه ورجليه -٤١- واذ كانوا غير مصدقين بعد من الفرح ومتعجبين قال اعندكم ههنا طعام -٤٢- فاعطوه قطعة من سمك مشوى وشهد عسل -٤٣- فأخذ وأكل امامهم ثم اخذ الباقى واعطاهم) (٢) .

وروى يوحنا ان المسيح ظهر لتلاميذه على شاطئ بحر طبريا وهم جاءوا هناك لاصطياد السمك . جاء فى الفصل الحادى والعشرين من انجيله قال (٣) :

(٤- فلما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ ولم يعلم التلاميذ انه يسوع -٥ - فقال لهم يسوع يافتيان هل عندكم شئ من المأكول . فقالوا "لا" -٦- فقال لهم "القوا الشبكة من جانب السفينة الأيمن فتجدوا فألقوها فلم يعودوا يقدرون ان يجذبوها من كثرة السمك -٧- فقال ذلك التلميذ الذى كان يسوع يحبه

---

(١) انجيل لوقا فصل ٢٤ فقرة ٣٦-٤٣
(٢) " يوحنا " فصل ٢١ فقرة ٤-٧
(٣) انجيل متى فصل ٢٨ فقرة ١٦-٢٠

لبطرس " هو الرب " فما سمع سمعان بطرس أنه الرب ائتزر بثوبه لأنه كان عريانا وطرح نفسه فى البحر) .

وروى متى ان المسيح التقى بتلاميذه فى جبل الجليل واوصاهم بأن ينشروا تعاليمه الى الشعوب والتمسك بما اوصاهم به . كما جاء فى الفصل الثامن والعشرين من انجيله قال (١) :

(واما التلاميذ الاحد عشر فذهبوا الى الجليل " الى الجبل " حيث امرهم يسوع -١٧- ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا -١٨ فدنا يسوع وكلمهم قائلا " اعطيت كل سلطان فى السماء والأرض -١٩- اذهبوا الان و تلمذوا كل الأمم معمدين اياهم باسم الأب والابن والروح القدس -٢٠- وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به وها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر) .

وبعد أن التقى يسوع مع تلاميذه واوصاهم ما أوصى وعلمهم ما علم صعد الى السماء و جلس عن يمين الرب . جاء فى الفصل السادس عشر من انجيل مرقس قال (٢) :

(١٩- ومن بعد ما كلمهم الرب يسوع ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الله) .

وبعد صعوده الى السماء انتهت حكايته وقصته .

وبذلك ينتهى الكلام عن آراء النصارى فى صلب المسيح و نهايته بعد الصلب من قيامه من القبر و صعوده الى السماء كما جاء فى اناجيلهم .

و بقى دورنا بعد ذلك ان نناقش تلك العقيدة الضالة والآراء الفاسدة

---

(١) انجيل متى فصل ٢٨ فقرة ١٦-٢٠ .

(٢) انجيل مرقس فصل ١٦ فقرة ١٩

لاثبات بطلانها وخرافتها مستدلين بنصوص الاناجيل نفسها وغيرها من الأدلة . ولكن قبل مناقشتها ينبغي ان نستخلص مما تقدم الكلام فيه لعله يزيدنا فهما ووضوحا كي يكون الرد واضحا . ويمكن اجمال ما تقدم بما يأتي :

تعتقد النصارى ان اليهود دبروا قتل المسيح بالوشاية الى الحاكم الروماني كذبا بان المسيح قد اثار الفتنة في الشعب . فأمر جنوده بالقبض عليه . فأحضروه امام بيلاطس الحاكم الروماني لمحاكمته ، وبعد التحقيق والتفتيش رأى الحاكم ان المسيح غير مخطىء فأراد ان يطلقه . ولكن اليهود الحوّا وشددوا مطالبين بصلبه وما كان للحاكم الا ان يوافق على طلبهم فصلبوا المسيح حتى مات على الصليب . فجاء رجل من الرامة اسمه يوسف وطلب من بيلاطس جسد يسوع ليكفنه ويدفنه . فأذن له الحاكم بذلك فأنزل جسد يسوع ولفه بثوب طاهر ثم دفنه في القبر . وفي صباح اليوم الثالث وهو يوم الاحد زار بعض النساء قبر يسوع فلم يجدن جسد يسوع في القبر فأخبرهن من كان في القبر ان يسوع قد قام من بين الاموات وبعد قيامه من القبر التقى مع تلاميذه وغيرهم عدة مرات يوصيهم فيما يتعلق بأمور الدين . ثم صعد الى السماء وجلس عن يمين الله .

هذا مضمون ما جاء في الأناجيل عن قصة صلب المسيح وما دار حوله ونهايته بعد الصلب .

فهنا نسأل هل انتم مطمئنون ايها النصارى بما جاء في الأناجيل في هذه القضية مع اختلاف بعضها مع بعض كما علمتم وقرأتم ؟ فهل أنتم تعتقدون ان يسوع قتل وصلب حقيقة . ثم انه قام فعلا من القبر بعد دفنه بثلاثة ايام ؟

اجابت النصارى : " نعم " نحن موقنون بما جاء في اناجيلنا من ان المسيح قتل وصلب فعلا وانه قام من القبر بعد ثلاثة ايام ثم صعد الى السماء .

ولكننا نحن المسلمين بعد ان تتبعنا نصوص الاناجيل كلها - من عملية القبض على المسيح ومحاكمته وصلبه وما دار حولها كلها وجدنا يقينا ان المقبوض عليه والمصلوب ليس هو عيسى بل هو رجل اخر شبهه الله لهم بالمسيح فظنوا انه هو المسيح . ونحن نقول هذا لا عن تعصب و تحكم بل لوجود الدلائل الكثيرة على ذلك و ستعرفونها فيما يلى . فاذا كانت عقيدتكم فى صلب المسيح وقيامه من القبر عقيدة باطلة وفاسدة ويظهر بطلانها من وجوه :

الوجه الأول : ان نصوص الاناجيل التى تكلمت عن قصة صلب المسيح وما دار حوله من عملية القبض عليه و محاكمته وصلبه وقيامه من القبر قد اختلفت وعارض بعضها بعضا كما بيناه من قبل .

وقد اورد الشيخ عبدالوهاب النجار فى كتابه (١) نصوص الاناجيل فى مسألة صلب المسيح وما دار حولها ثم ناقشها وبين مافيها من تضاد واختلاف فى اربعة وثلاثين وجها من اوجه التضاد بين هذه النصوص . ومثله ما فعله الاستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه " المسيح فى القرآن والتوراة والانجيل " (٢) اذ ذكر نصوص الاناجيل الاربعة بكاملها فى هذا الموضوع ثم ناقشها وعلق عليها وبين مواضع الاختلاف بين هذه النصوص فى اماكن كثيرة . ومن أراد التوسع فى هذا الموضوع فليرجع الى هذين الكتابين .

و هذه الاختلافات من مظاهر الكذب والافتراء . فكيف نصدقها ونطمئن اليها ؟ . فالعاقل لا يقبل مثل هذه القصة ، وبعيدا كل البعد من ان يجعلها عقيدة دينية كما جعلتها النصارى .

ولم يكن الاختلاف والتعارض بين هذا الانجيل والاناجيل الأخرى فقط بل كانت بين نفس الانجيل الواحد حيث يتعارض اوله مع آخره . ونأتى

---

(١) انظر قصص الانبياء ص ٤٣٣ ومابعدها
(٢) انظر ص ٤٠٧ ومابعدها

هنا بمثال على ذلك . ان " مرقس" و "لوقا " اتفقا فى روايتهما على ان المسيح قد تنبأ وأخبر التلاميذ انه سيسلم الى عظماء الكهنة والكتبة فيقتلونه ويصلبونه وبعد ثلاثة ايام يقوم(١) . وبعد ذلك اخبرنا " مرقس" و " لوقا " ايضا ان التلاميذ لما اخبروا بقيام المسيح من القبر لم يصدقوا هذا الخبر ووصفوا هذا الكلام بأنه هذيان . جاء فى الفصل السادس عشر من انجيل مرقس قال (٢) :

(وبعد ما قام باكرا فى اول الاسبوع تراءى اولا لمريم المجدلية ... الى ان قال ... فانطلقت واخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون . وهم اذ سمعوا انه حى وانها ابصرته لم يصدقوا) .

و جاء فى الفصل الرابع والعشرين من " لوقا " قال (٣) :

(٩ - ورجعن من القبر واخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله *١٠- ومريم المجدلية وحنة ومريم ام يعقوب وأخر معهن هن اللواتى اخبرن الرسل بهذا ١١- فكان عندهم هذا الكلام كالهذيان ولم يصدقوهن ١٢- فقام بطرس واسرع الى القبر و تطلع فرأى الاكفان موضوعة على حدة فانصرف متعجبا فى نفسه مما كان .

فهذا الخبر من " مرقس" و " لوقا " يفيدنا ان التلاميذ لم يتصوروا قيام المسيح من القبر بعد ان مات ولم يخطر ببالهم حدوث ذلك . لذلك كانوا متعجبين و غير مصدقين لما أخبروا هذا الخبر . و هذا معارض للخبر

---

(١) انظر مرقس فصل ١٠ فقرة ٣٣-٣٤ ولوقا فصل ١٨ فقرة ٣٢-٣٣
(٢) انجيل مرقس فصل ١٦ فقرة ٩-١٢
(٣) انجيل لوقا فصل ٢٤ فقرة ٩-١٢
* اى بما حدث في القبر من قيام المسيح من بين الأموات وما يتصل به .

المتقدم وهو ان يسوع تنبأ واخبر تلاميذه انه سيسلم الى ايدى اليهـــود فيقتلونه ويصلبونه ثم فى اليوم الثالث يقوم من القبر . اذ بمقتضى هذا الخبر انهم لا يتعجبون بقيام المسيح بل كانوا على استعداد لقبول ذلك والايمان به لأنه سبقهم عهد على ذلك.

ومثل هذا التعارض وجد كثيرا فى الاناجيل . وقد اورد صاحب الكتاب الفارق اوجه التعارض والتناقض فى نصوص الاناجيل ثم علق عليها وقال : ان الاناجيل الأربعة اتفقت على ان كهنة اليهود كانوا تواطئوا وتحالفـــوا على قتله بعد عيد الفصح حتى لا يحصل شغب بين الشعوب ولكن الاناجيل ايضا روت الهجوم على المسيح و محاكمته وصلبه كان فى يوم العيد .واليهود لا يفعل شيئا فى السبت وايام العيد ، فيلزم من تناقضهم هنا أحد الأمرين اما كذب الاناجيل فى كون وقوع الصلب فى يوم العيد او كذبهم فى نظمهـــم عن اليهود انهم تواطئوا على قتله بعد العيد . والحق ان العقل لا يجوز ان اليهود فعلت فى العبد و على كل فقد ثبت بالبداهة كذب الاناجيل فى قصة الصلب ولا سيما قولهم فى العيد واذا ثبت الخلل فى قضية ما جاز تطرق الخلل الى كل قضايا فتبطل برمتها . فاذا جميع روايات الصلب باطلة(١) .

قال توفيق على وهب :

(ويتبين من روايات الاناجيل للقضية المزعومة بصلب السيد المسيح ثم قيامه انها روايات مختلفة اخترعها كاتبوها بل انها ثبت أن المصلوب هو رجل آخر خلافا للسيد المسيح)(٢) .

و قصارى القول ان الاناجيل الأربعة قد اختلفت و تعارض بعضها مع بعض فى روايتها وخصوصا فى قضية القبض على المسيح ومحاكمته وصلبه وقيامـــه من القبر . و هذا الاختلاف والتعارض وان بدى غير ذى خطر فى اخبـــار

---

(١) الفارق بين المخلوق و الخالق لعبد الرحمن باجه ص ٢٤٣ بتصرف

(٢) الاسلام امام افتراءات المفترين " توفيق على وهب " ص ٩٤ .

التاريخ الا انه خطير بالغ الخطورة فى مسائل العقيدة . فلا يجوز قبول اى خبر من الاخبار الا اذا وجدت فيه شروط القبول . فروايات الاناجيل فى قصة صلب المسيح وما دار حوله وقيامه من القبر مع ما فيها من الاختلافات والتعارض والشكوك فى اسانيدها بعيدة كل البعد عن توفر شروط القبول . فلذلك كان الاعتماد عليها فاسدا والاعتقاد حسبما جاءت به الاناجيل باطلا وضلالا .

الوجه الثانى : وافقنا النصارى ان هناك رجل مقبوض عليه ثم حكم عليه بالصلب فنفذ هذا الحكم ولكن لا نسلم ان هذا الرجل هو المسيح كما تقوله النصارى بل هو رجل آخر شبيه بالمسيح . ذلك لأن نصوص الاناجيل التى تكلمت عن هذه القصة - على فرض صحتها - لا تدل على انه هو المسيح بل هو رجل آخر كما قلنا . وبيانها كما يلى :

(١) - روت الأناجيل الاربعة ان الذين جاءوا للقبض على المسيح كانوا لم يعرفوا المسيح ولم يفرقوا بينه وبين تلاميذه اضف الى ذلك ان الوقت كان ليلا مظلما . ولذلك كانوا يستعينون بيهوذا الأسخريوطى لكى يدلهم على المسيح . فيهوذا اعطاهم علامة قائلا ان الذى أقبله هو يسوع فاقبضوه . هذا على ماروواه كل من "متى" و "مرقس" و "لوقا" (١) .

وأما يوحنا" فروى انه لما وصل الجنود الى المكان الذى اختبأ فيه المسيح مع تلاميذه . خرج اليهم وسألهم من تطلبون ؟ فقالوا " يسوع الناصرى فرجعوا الى الوراء وسقطوا أرضا . فسألهم ثانية " من تطلبون ؟ فأجابوا يسوع " فأجابهم " قلت لكم انى أنا هو" (٢) . فهذه الرواية تخالف ماروواه الاناجيل الثلاثة السابقة ، اذ انها لم تشر الى ان " يهوذا دلهم على المسيح بل ان المسيح خرج اليهم وسألهم كما ذكرناه آنفا . ومع هذا الاختلاف

---

(١) انظر " متى " فصل ٢٦ فقرة ٤٧ ومابعدها و " مرقس" فصل ١٤ فقرة ٤٣ ومابعدها و " لوقا " فصل ٢٢ فقرة ٤٧ ومابعدها .

(٢) انظر " يوحنا " فصل ١٨ فقرة ١-٩

فان الاناجيل الاربعة اتفقت فى دلالتها على انهم لم يعرفوا المسيح ولم يستطيعوا ان يميزوا بينه وبين تلاميذه .

فلما دخلوا المكان الذى فيه عيسى عليه السلام مع تلاميذه تقدم يهوذا الاسخريوطى وقبّل واحدا منهم ظانا انه هو المسيح عليه السلام فحينئذ القوا القبض عليه . هذا كما صرحت به الاناجيل الاربعة الا انجيل " يوحنا " كما ذكرته آنفا . ولكن هل كان المقبوض عليه هو عيسى حقيقة ام غيره ؟
نقول أن المقبوض عليه غير عيسى عليه السلام لأن الجنود قبضوا عليه حين يقبّل يهوذا الاسخريوطى عيسى عليه السلام كما قالوا . فطبيعة القبلة هو الصاق صدر المقبل بالمقبّل فيلتصق بينهما ، فعند ذلك القوا القبض على واحد منهما دون تيقن احدهما من الآخر ، لأن الوقت كان ليلا مظلما كما صرحت بذلك الاناجيل .

فهنا كان المقبوض عليه فيه ثلاث احتمالات : الاحتمال الأول ان يكون هو عيسى عليه السلام . الاحتمال الثانى ان يكون يهوذا الاسخريوطى الذى قبّل عيسى كما قالوا . والاحتمال الثالث ان المقبوض عليه هو رجل آخر القى الله عليه شبه عيسى فقبّله يهوذا فقبض الجنود على الذى قبّله .
فاحتمال المقبوض عليه هو عيسى عليه السلام بعيد . لأن احوال المقبوض عليه وافعاله وكلامه حين تفتيشه ومحاكمته وتعذيبه تدل على أنه غير عيسى عليه السلام . فاذا كان احتمال عيسى بعيدا تعين أن يكون المقبوض عليه اما يهوذا الاسخريوطى لأنه يشبه عيسى عليه السلام تمام المشابهة كما يقول بعض المؤرخين او الرجل الذى القى الله عليه شبه عيسى فقبّل يهوذا هذا الرجل ظنا منه انه هو عيسى فقبضوا عليه وقتلوه وصلبوه . وهذان الاحتمالان الاخيران أحدهما هو الصحيح ولا يهمنا ان نرجح احدهما على الآخر لأن المهم فى هذه المسألة هو ان المقبوض عليه والمصلوب عيسى عليه السلام او غيره ؟ وقد قلنا انه غير عيسى عليه السلام لأن أحوال المقبوض عليه وافعاله وكلامه دلت على انه غير عيسى عليه السلام وسنعرف ذلك بالتتبع فيما يلى :

(ب) - روى يوحنا فى انجيله (١) :

(١٩ - فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه
٢٠ - فأجابه يسوع انا كلمت العالم علانية وعلمت فى

---

(١) " يوحنا فصل ١٨ فقرة ١٩-٢١

كل حين في المجتمع وفي الهيكل حيث تجتمع كل اليهود ولم أتكلم بشيء خفية -٢١- فلم تسألني انا ؟ سل الذين سمعوا ما كلمتهم به فانهم يعرفون ما قلته ") !

هنا سأل كبير الكهنة عن تعاليم المسيح فلم يجبه بل أحاله ليسأل الذين سمعوا تعاليمه . فهنا نسأل لماذا لم يخبر المسيح تعاليمه كبير الكهنة ؟ أليس من واجبه ابلاغها الى الناس ؟ ولم يترك هذه الفرصة الأخيرة لنشرها ؟ فكيف يكتم تعاليمه مع ان الكتمان لا يجوز له وللرسل جميعا ؟ . ولعلكم تجيبون على هذا السؤال انه لا فائدة في اخبار كبير الكهنة عن تعاليمه لأنه لن يؤمن بها . فنرد على هذا الجواب : ان من واجبه هو ابلاغ ما امره الله به . واما ايمانهم او رفضهم به فليس في مقدوره .

فواجبه هو الابلاغ . هذه وظيفة الرسل جميعا . فهل يجوز لعيسى ان يترك هذه الوظيفة ويسكت عن نشر الحق ؟ فهذا محال عليه وعلى الرسل جميعا .

ولذلك قلنا بالتأكيد ان المقبوض عليه ليس هو المسيح بل هو رجل آخر شبيه بالمسيح وهو لا يعلم تعاليم المسيح شيئا . ولذلك احال كبير الكهنة ليسأل الذين سمعوا تعاليمه . فلو كان المقبوض عليه هو المسيح بن مريم لأخبر كبير الكهنة تعاليمه .

(ج) + روى يوحنا في الفصل السابع من انجيله قال (١) :

(فسمع الفريسيون مهامسة الجميع بذلك في شأنه فأرسل رؤساء الكهنة والفريسيون شرطا ليقبضوا عليه -٣٣- فقال لهم يسوع انا معكم بعد زمانا يسير ثم اذهب الى الذي ارسلني - ٣٤ - وستطلبونني ولا تجدونني وحيث اكون انا لا تستطيعون انتم ان تأتوا) .

---

(١) " يوحنا " فصل ٧ فقرة ٣٣-٣٤

وقد علق صاحب كتاب " الفارق " على هذا النص وقال (١) :

(فهذا صريح فى ان اليهود طلبوه ليمسكوه ولم يجدوه كما قال لهم " وحيث اكون انا لا تقدرون ان تأتوا " اى المكان الذى سأصير اليه تعجز عنه قدرة البشر لعجزهم ان يصعدوا الى السماء فهل بعد هذه الصراحة يقال انهم مسكوه واسروه ولطموه وبصقوا فى وجهه وصلبوه ويكذب قوله " ستطلبوننى ولا تجدوننى وتكذيبه كفر . . . ؟) .

فاذا لم يستطيعوا ان يمسكوه تعين ان يكون المقبوض عليه والمحكوم عليه بالصلب ليس هو المسيح بل هو رجل آخر مثله . وهذا هو الصحيح .

(د) - جاء فى الفصل الثالث والعشرين من متى قال (٢) :

(٣٨- هوذا بيتكم يترك لكم خرابا -٣٩- فانى اقول لكم انكم من الان لا ترونننى حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب) .

قال صاحب كتاب الفارق تعليقا على هذا النص (٣) :

(وكان هذا قبل قضية الصلب بأيام ولا شك من حين قوله " من الآن لا ترونننى ارتفع فى ذلك النهار وهو الصادق الأمين . والا يستلزم من القول بصلب ذاته تكذيبه وهو محال) .

(هـ) - روى مرقس فى انجيله (٤) :

(-٣٤- وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا " ألوهى ألوهى لما سبقتنى الذى تفسيره الهى الهى

---

(١) " الفارق " عبد الرحمن باجه ص ٢٤١
(٢) متى فصل ٢٣ فقرة ٣٨-٣٩
(٣) المرجع السابق ص ٣١٤
(٤) فصل ١٥ فقرة ٣٤-٣٧

لماذا تركتنى -٣٥- فسمع قوم من الحاضرين فقالوا ها انه ينادى ايليا ... الى ان قال ... وصرخ يسوع بصـــوت عظيم واسلم الروح) (١)

هذه الصرخة القوية الحزينة تدل على عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى . فهل يتصور ان يكون عيسى فعل هكذا مع انه رسول الله يأمر الناس بالصبر والتوكل والرضاء بقضاء الله تعالى ؟ وانتم تدعون انه رضـــى بقتله وصلبه . فكيف يصرخ بهذه الصرخة المحزنة ؟

فنحن على يقين ان عيسى عليه السلام لم يصرخ بهذه الصرخة فلذلك نقول ان المصلوب ليس هو عيسى بل هو رجل آخر شبيه بعيسى فاذا كان زعمكم ان المصلوب هو المسيح باطل وضلال .

الوجه الثالث : ان هناك كثير من النصارى انكروا صلب المســـيح وعلى رأسهم برنابا احد تلاميذ المسيح . وهم يقولون ان المصلوب رجل آخر واما المسيح فقد رفعه الله الى السماء . ولكنهم اختلفوا فى تعيين شخص المصلوب . بعضهم يقول ان المصلوب هو يهذا الاسخريوطى التلميذ الخائن الذى دل الجنود على المكان الذى فيه يسوع مع تلاميذه . هذا ما رواه برنابا فى انجيله وبعضهم يقول ان المصلوب احد الحواريين بدل عيسى ، وبعضهم يقول انه احد المجرمين فى سجون القدس .

فقد روى برنابا فى انجيله هذه القصة قال (١) :

(١- ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع سمع يسوع دنو جم غفير -٢- فلذلك انسحب الى البيت هائفا -٣- وكان الأحد عشر نياما -٤- فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأرويل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم -٥- فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا

---

(١) " برنابا " فصل ٢١٥ فقرة ١-٨

يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح الى الأبد) .

(١- ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التى أصعد منها يسوع -٢- وكان التلاميذ كلهم نيام -٣- فأتى الله العجيب بأمر عجيب -٤- فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه فصار شبها بيسوع حتى اعتقدنا انه يسوع -٥- اما هو فبعد ان ايقظنا أخذ يفتش لينظر اين كان المعلم -٦- لذلك تعجبنا وأجبنا انت يا سيد هو معلمنا -٧- أنسيتنا الآن أما هو فقال مبتسما هل انتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطى -٩- وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود والقوا ايديهم على يهوذا لأنه شبها بيسوع من كل وجه) (١)

هذا هو ما اخبر به برنابا فى انجيله . وفيه دلالة على ان عيسى رفع الى السماء . وان المقبوض عليه والمصلوب هو يهوذا الأسخريوطى الذى القى الله عليه شبها بيسوع جزاء خيانته للمسيح .

هذا الرأى اقرب الى الصواب ويكاد يكون موافقا لما أخبر به القرآن الا ان القرآن لم يبين شبيه المسيح بشخصه اما " برنابا " فقد عين شخص المصلوب وهو احد تلاميذه الخائن اسمه " يهوذا الاسخريوطى " . فوجه الاتفاق هنا ان المصلوب غير عيسى .

و هناك طوائف من النصارى انكروا قتل المسيح وصلبه . وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه عددا من هذه الطوائف كطائفة " الساطرينوسيون " و " الكاربوكراتيون " و " المركيونيون " و " البارديسيانيون " و " التاتيانيسيون " و " البارسكاليونيون " و " البوليسيون " وهؤلاء مع كثير من غيرهم لم يسلموا

---

(١) " برنابا " فصل ٢١٦ فقرة ١-٩

بوجه من الوجوه ان المسيح قتل وصلب . ومن الطوائف التي انكرت قتل المسيح وصلبه بل رفعه الله الى السماء هي طوائف " الدوسيتية " و " المرسيونية " و " الفلنطنيانية " .

ثم أتى الشيخ عبد الوهاب النجار بأدلة على ما يقول بأقوال علماء النصرانية وقال : " وهنا شهادات من علماء النصرانية تفيد المطلع بصيرة " .

الأولى - قال المسيو " ارادوارسيوس " في كتابه " عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية " صفحة ٤٩ ما معناه ان القرآن ينكر قتل المسيح وصلبه واثبت ان المقتول والمصلوب شبيهه . وما قاله القرآن موجود عند الطوائف منهم " الباسليديون " كانوا يعتقدون ان عيسى القى شبهه على " سيمون - السيرناى والقى شبه " سيمون " عليه . ثم خفى نفسه ليضحك على مضطهديه " اليهود " الضالطين . ومنهم " السرنتيون " فانهم قرروا ان احد الحواريين صلب بدل عيسى ....

الثانية - قال " الهرارنست دى بونس " الالمانى في كتابه " الاسلام أى النصرانية الحقة " في صفحة ١٤٢ ما معناه : ان جميع ما يختص بالصلب والفداء من اختراع " بولس " ومن شابهه الذين لم يروا المسيح لا من الأصول النصرانية الأصيلة .

الثالثة - قال " ملمن " في الجزء الأول من كتابه المسمى " تاريخ الديانة النصرانية ان تنفيذ الحكم كان في وقت الغلس واسدال ثوب الظلام فيمكن استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس - منتظرين حكم القتل عليهم كما اعتقده بعض الطوائف وصدقهم القرآن - انتهى (١) .

فنحن لا ندرى كيف تصر نصارى اليوم على عقيدتهم بقتل المسيح وطبه وقيامه من القبر مع ان تلميذه نفسه " برنابا " الذى عاشره و خالطه وشاهده

---

(١) قصص الانبياء عبد الوهاب النجار ص ٤٤٨ - ٤٤٩ بالاختصار والتصرف .

انكر ذلك . ثم جاءت طوائف كثيرة من النصارى بعده انكروا ايضا صلبه بل اثبتوا انه رفع الى السماء . فكيف يتمسكون بالاناجيل التى بدت فى كثير من نصوصها مظاهر الافتراء والاختراع ؟ هذا لشيء عجيب . وعلاوة على ذلك ان نصوص الاناجيل نفسها تدل على ان المصلوب ليس عيسى بل هو رجل آخر كما بيناه فيما سبق . هذا يدل على تحكم النصارى وعنادهم واستكبارهم عن قبول الحق وان جلت مظاهره امام اعينهم .

الوجه الرابع : ان القرآن الكريم وهو كلام الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى حفظه الله تعالى من الزيغ والتحريف والتبديل قد انكر قتل المسيح وصلبه وبين ان المصلوب رجل آخر شبيه بالمسيح . واما المسيح فقد نجاه الله من كيد اعدائه ورفعه الى السماء . . وسيأتى بيان هذا فى الفصل الثانى ان شاء الله .

فتبين مما تقدم من الأدلة ان المقتول والمصلوب ليس هو المسيح بل هو رجل آخر شبيهه واما المسيح فقد نجاه الله منهم .

قال توفيق على وهب(١) :

(ومما يؤكد عدم صحة واقعة الصلب للسيد المسيح عليه السلام ان رواة الاناجيل لم يشهدوا واقعة الصلب وانما نقلوا ذلك عمن شهدها من اليهود ولم يشهد احد من تلاميذ المسيح او حواريه واقعة القبض عليه . فحينما هاجمه المكلفون بالقبض عليه كان فى عدد قليل من تلاميذه فتركوه جميعا وهربوا وعلى ذلك فلا يعلم احد منهم من هو الذى قبض عليه كما أن المصلوب لم يصلب فى المكان الذى كان مخصصا له وانما صلب فى مكان معزول غير مطروق ثم اخفوا جثته بعد ست ساعات حتى لا تطلع عليه العامة وادعوا ان اتباعه سرقوه .

---

(١) الاسلام امام افتراءات المفترين ص ٩٤-٩٥

وكل الروايات التى وردت بالاناجيل عن حادثة صلب السيد المسيح من الاسرائيليات حيث استقاها رواتها من اليهود الذين شهدوا هذه الواقعة) .

وقد صح فيما تقدم بطلان قتل المسيح وصلبه وتبعا لذلك بطلان عقيدة النصارى بقيام المسيح من بين الأموات بعد صلبه ودفنه . فالاناجيل الأربعة التى تحدثت عن قيام المصلوب من القبر وما يتعلق به كلها كذب وافتراء لا اساس لها من الصحة .

قال صاحب كتاب الفارق (١) :

(أيها المسيحى مما يؤكد كذب روايات القيام تخصيصهم ظهور الملائكة لمريم المجدلانية * على ان تخصيص ذلك بالحواريين احرى ولا سيما بأمه العذراء " عليهما السلام" اولى وهو اليق وانسب وللعقل اقرب . وهنا يصح ان يقال عدم حضور احد من الحواريين رضى الله عنهم وامه لزيارة قبر المصلوب دليل ظاهر على ان حديث القيام محض افتراء وغير ثابت عندهم ولا مسموع فيما بينهم . والا فكيف يصرح لهم المسيح بقيامه ويعين لهم المدة ولا يحضر احد منهم لقبره . فان قلت منعهم عن ذلك خوفهم من اليهود . فنقول اذا هل كانت مريم أثبت جأشا منهم وأقوى ايمانا . وهب أن الحواريين كانوا يمتنعون خوفا من اليهود فما بال أمه لم تحضره وهو فلذة كبدها وحبيبها . وفى جميع ذلك ادلة واضحة على تكذيب خبر القيام) .

---

(١) الفارق بين المخلوقات والخالق عبد الرحمن باجه ٣١٤

(٢) قوله " مريم المجدلانية " فى الاناجيل " مريم المجدلية " .

وبعد أن اثبتنا بطلان القول بقتل المسيح وصلبه عليه السلام وقيامه من القبر بأدلة قاطعة لا مجال للشك فيها يجدر بنا ان نوضح موقفنا ايضا من قصة لقاء المسيح مع تلاميذه بعد حادثة الصلب كما ادعته النصارى وما جاء في الاناجيل الأربعة كما ذكرته من قبل . فهل نصدق هذه القصة او ننكرها ؟

الجواب عن ذلك : ان لنا موقفا خاصا مما اخبر به وما يقوله اهل الكتاب . فما وافق منه ما ثبت في القرآن والسنة النبوية الصحيحة فهو الحق فنقبله ونصدقه وما خالفهما فهو باطل نرده ولا نصدقه وما سكت عنه القرآن والسنة النبوية الصحيحة فلا نصدقه ولا نكذبه (١) . وانما اعتمدنا على هذا الموقف عملا بما رواه ابو هريرة رضي الله عنه قال :

(كان اهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الآية ") رواه البخاري واحمد (٢) واللفظ للبخاري . وبناء على ما ذكرنا كانت دعوى اليهود والنصارى قتل المسيح وصلبه هي دعوى باطلة ننكرها اطلاقا لمخالفتها للنص القرآني الذي يقول ان عيسى لم يقتل ولم يصلب . والقرآن هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وأما لقاء المسيح مع أمه وتلاميذه بعد حادثة الصلب والقتل فهذا امر ممكن لأنه لم يُقتَل ولم يصلب بل المصلوب هو رجل آخر شبيه بالمسيح كما قلنا . ولأن هذا اللقاء لا يتعارض مع العقل والنقل . ولكن القرآن سكت عن ذكره فلا يؤيده ولا ينكره وكذلك الاحاديث الصحيحة حسب اطلاعي فلم نجد هنا

---

(١) انظر كتاب منحة القريب في الرد على عباد الصليب للشيخ عبد العزيز حمد بن ناصر ص ٧٤ - ٧٥

(٢) البخاري ج ٨ كتاب التوحيد ٩٧ باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها ص ٢١٣ ومسند الامام احمد بن حنبل ج ٣ ص ٣٨٧

تنكره ولا تؤيده . فلذلك لا نصدقه ولا نكذبه ونفوض الأمر الى الله تعالى . والذى يجب ان نجزم به هو ان المسيح لم يقتل ولم يصلب وان الله رفعه الى السماء كما اخبر بذلك القرآن الكريم .

وهذا هو الموقف الذى ينبغى ان يتخذه المسلمون مما يقوله وما يخبر به اهل الكتاب فيما يتعلق بأمور الدين حتى لا يضلوا عن سواء السبيل . والله أعلم .

الفصل الثانى

رفع المسيح وموقف الاسلام من دعوى صلبه

وفيه مبحثـــان

المبحث الأول : انكار المسلمين صلب المسيح وأدلتهم .

قلنا أن اليهود وجمهور النصارى اتفقوا على ان المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام قتل وصلب . وكان قتله وصلبه من العقيدة الاساسية للديانـــة النصرانية حيث من انكر صلبـه يكون كافرا عند النصارى . وقد بينا بطـــلان هذا الزعم و هذه العقيدة فيما سبق .

واما المسلمون فقد انكروا صلب المسيح وقتله انكارا قاطعا واتفقوا على ان الله قد نجاه من كيد اليهود بأن القى شبهه على رجل آخر فقبضوا علـــى ذلك الرجل ظانين انه هو المسيح فقتلوه وصلبوه واما المسيح فقد رفعه اللـــه اليه . هذه هى عقيدة المسلمين فى مسألة قتل المسيح وصلبه وهـى العقيدة الصحيحة،كما اخبر بذلك القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديـــه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال الله تعالى :(١)

(... وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهـم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه اللـــــه اليه وكان الله عزيزا حكيما .

هذه الاية تصرح بأن دعوى اليهود والنصارى قتل المسيح وصلبه مبنيـــة على الظن لا على اليقين . وبَيَّنَتْ بطلان هذا الظن وأثبتت ان المسيح لم يقتل ولم يصلب وان الذى قتل وصلب هو رجل آخر شبيه بالمسيح . واما المسيح فقد رفعه الله اليه .

---

(١) سورة النساء ١٥٧-١٥٨

وهناك احاديث صحيحة متواترة اثبتت نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان وانه يقتل الدجال واتباعه ويهلك الملل كلهـــا الا الاسلام و يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

و هذه أيضا من الأدلة القاطعة على ان عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب وانه ما زال حيا حتى الان . وليس كما زعمته اليهود والنصارى . وسيأتى بيان تلك الاحاديث فى الباب الرابع عند الكلام عن آراء المسلميـــن فى نزول المسيح ان شاء الله .

ولعل القارئ يتساءل كيف يحدث الشبه ؟ و من هو الذى القى عليه شبه عيسى عليه السلام ؟

الجواب على ذلك انه ليس هناك ادلة قاطعة من الكتاب ولا مـــن الاحاديث النبوية الصحيحة حسب اطلاعى فى بيان كيفية القاء شبه عيسى على غيره وفى تعيين من القى عليه شبهه . ومع ذلك فهناك آثار واقوال كثيرة فى ذلك واسرد هنا تلك الاثار والاقوال كما يلى :

قال مقاتل كما ذكره الثعلبى (١) :

(ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معـــه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه الى السماء والقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود انه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم انى لست عيسى انى فلان بن فـــلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه) .

وجاء فى البداية والنهاية لابن كثير قال (٢) :

(وقال احمد بن مروان حدثنا محمد بن الجهم قال سمعت الفراء يقول فى قوله تعالى (٣) ومكروا و مكر الله والله خير الماكرين قال :

---

(١) قصص الانبياء للثعلبى ص ٣٦١

(٢) ج ٢ ص ٩٣

(٣) سورة آل عمران ٥٤

ان عيسى غاب عن خالته زمانا فأتاها فقام رأس الجالوت اليهودى فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينيه عن عيسى ثم خرج الى اصحابه فقال لم اره ومعه سيف مسلول فقالوا انت عيسى والقى الله شبه عيسى عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه) .

وجاء فى الدر المنثور للسيوطى قال (١) :

(واخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة : " وقولهم انا قتلنا المسيح " الاية . قال اولئك اعداء الله اليهود افتخروا بقتل عيسى وزعموا انهم قتلوه وصلبوه وذكر لنا انه قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول قال رجل من اصحابه انا يا نبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله نبيه ورفعه اليه) .

وعن الضحاك قال :

(كانت القصة لما اراد وا قتل عيسى اجتمع الحواريون فى غرفة وهم اثنا عشر رجلا فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فاخبر ابليس جمع اليهود فركب منهم أربعة الاف رجل فأخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معى فى الجنة ؟ فقال رجل انا نبى الله فالقى اليه مدرعة * من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه والقى عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه . واما المسيح فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار مع الملائكة) (٢)

---

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٣٨

(٢) الجامع لاحكام القرآن القرطبى ج ٤ ص ١٠٠

* المدرعة وهى ثوب من كتان انظر تفسير القرطبى فى الهامش ج ٢ ص ١٠٠

وجاء فى تاريخ الوردى قال (١) :

(وقال ابن سعيد ولما اعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من ذلك فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضرونى الليلة فان بى اليكم حاجة . فلما اجتمعوا بالليل عشاهم وقام يخدمهم . فلما فرغوا من الطعام اخذ يغسل ايديهم ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك فقال من رد على شيئا مما اصنع فليس منى فتركوه حتى اذا فرغ قال : انما فعلت ذلك ليكون لكم اسوة بي فى خدمة بعضكم بعضا . واما حاجتى اليكم فان تجتهدوا لي فى الدعاء الى الله ان يؤخر أجلى . فلما ارادوا ذلك القى الله عليهم النوم حتى لم يستيطعوا الدعاء وجعل المسيح يوقظهم ويوبخهم فلا يزدادون الا نوما وتكاسلا واعلموه انهم مغلوبون على ذلك فقال المسيح سبحان الله يذهب بالراعى فتتفرق الغنم ثم قال لهم الحق اقول لكم ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك وليبيعنى احدكم بدراهم يسيرة ويأكلن ثمنى . وكانت اليهود قد جدت فى طلبه فحضر بعض الحواريين الى هردوس الحاكم على اليهود والى جماعة من اليهود وقال ما تجعلون لى اذا دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فرفع الله تعالى المسيح الى وألقى شبهه على الذى دلهم عليه) .

قال الطبرى فى تاريخه (٢) :

(وذكروا ان الذى شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلى يقال له ايشوع بن فنديرا) .

---

(١) تاريخ الوردى عمر بن الوردى ج ١ ص ٣١-٣٢ وانظر الانس الجليل بتاريخ القدوس الجليل لمجير الدين الحنبلى ج ١ ص ١٦٦

(٢) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٥

و مما تقدم تبين ان الروايات عن كيفية القاء شبه عيسى على غيره وصفته وعن الشخص الذى القى عليه شبهه متعارضة و متدافعة لعدم وجود الدليل القاطع على ذلك -والله اعلم بحقائق الأمور- فالقرآن الكريم ابهم هذا الأمر ولم يبين كيفية القاء الشبه كما لم يعين شخص المشبه بالمسيح بعينه بل اقتصر على الذكر بأن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب وان الذى قتل وصلب هو رجل اخر شبه لهم،واما عيسى فقد رفعه الله اليه - هذا هو ما دل عليه القرآن الكريم فى هذه المسألة . واما كيفية القاء الشبه و تعيين شخص المشبه بالمسيح فأمر مسكوت عنه القرآن والاحاديث الصحيحة . فلذلك أرى ان الوقوف على ما جاء فى القرآن احسن وافضل من الأخذ بأقوال لا تقطع بصحتها لان ذلك اسلم وابعد عن الوقوع فى الخطأ . ثم نفوض الأمر الى الله تعالى .

ولعل اليهود والنصارى يوردون الاشكال على المسلمين وعلى منكرى قتل عيسى وصلبه فيقولون ان القول بوقوع الاشتباه وحدوث الصلب على رجل آخر غير عيسى عليه السلام لقول بعيد و غير مقبول عقلا . اذ انه اذا جاز ان يشتبه فى المسيح و يجهل شخصه الجنود الذين جاءوا للقبض عليه فهل يتصور ان يشتبه فيه أيضا تلاميذه الذين عاشروه كل يوم و يعرفونه حق المعرفة ؟ فهذا غير معقول .

الجواب عن هذا الاشكال من وجهين :

الوجه الأول : نقول ان وقوع الشبه امر ممكن وليس محالا . وقد عهد بين الناس ان يشبه بعضهم بعضا شبها تاما بحيث لا يميز احد المتشابهين المعاشرون والأقربون الا بعد التحقيق الدقيق . ولا غرابة فى هذا فان بعض الناس التقى برجل وظن انه صديقه وسلم عليه و تكلم معه ثم تبين له بعد ذلك ان هذا الرجل غير صديقه بل كان رجلا آخر يشبهه . وقد حدث مثل هذا كثيرا فى معاشرتنا .

ونورد هنا قصة الاشتباه التي أوردها رشيد رضا في تفسير المنار حيث قال : (١)

ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على انه كثيرا ما يحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الاشخاص ويشتبهون عليهم بغيرهم وقد ذكر "جاي" و"فرير" مؤلفا كتاب "اصول الطب الشرعي" في اللغة الانكليزية حادثة استحضر فيها ١٥٠ "مائة وخمسين" شاهدا لمعرفة شخص يدعى "مارتن جير" فجزم اربعون منهم انه هو هو وقال خمسون انه غيره والباقون ترددوا جدا ولم يمكنهم ان يبدوا رأيا ثم اتضح من التحقيق ان هذا الشخص كان غير "مارتين جير" وانخدع به هؤلاء الشهود المثبتون . وعاش مع زوجة "مارتين" محاطا بأقاربه واصحابه ومعارفه مدة ثلاث سنوات وكلهم مصدقون انه "مارتين" ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهدا آخرون فاقسم عشرة منهم بأنه هو "مارتين" وقال سبعة انه غيره وتردد الباقون . وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسا) .

واذا جاز ان يحدث الاشتباه بين "مارتين جير" وشبيهه حتى كانت زوجة "مارتين جير" نفسها لا تستطيع ان تفرق بين زوجها وبين شبيه زوجها مع معاشرتها له لمدة ثلاث سنوات . وحتى كان جميع اقارب "مارتين جير" واصحابه ومعارفه مصدقين ان هذا الشبيه هو "مارتين" . فكيف لا يصح

---

(١) تفسير المنار ج٦ ص ٣٩

وقوع مثل هذا الاشتباه فى عيسى عليه السلام وشبيهه ؟ فهذا امر ممكن وليس محالا .

(وقد قال " سيل" الانجليزى مترجم القرآن ان المسيح ويهوذا الاسخريوطى كان كل منهما يشبه الاخر اى ان يهوذا يشبه المسيح) (١)

و هذا القول يؤيد من قال ان يهوذا الاسخريوطى هو الذى وقع عليه شبه عيسى فيقتل ويصلب بدل عيسى عليه السلام .

الوجه الثانى : نقول أن القاء شبه عيسى على رجل آخر من معجزات عيسى عليه السلام. وعندما جاء الجنود للقبض عليه شبه الله لهم فقبضوا على رجل آخر وظنوا انه هو المسيح فقتلوه وصلبوه . واما عيسى عليه السلام فقد انقذه الله منهم ورفعه اليه . فهذا امر ممكن وليس بعسير على الله سبحانه و تعالى قال ابو عبيدة الخزرجى : (٢)

(القول بالشبه قول بأمر ممكن لا بما هو خلاف الضرورة ويؤيد ذلك ان التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية فى عصاة موسى عليه السلام وهو اعظم من الشبه فان جعل حيوان يشبه حيوانا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا . وقلب العصا حية تسعى مما اجمع عليه اليهود والنصارى كما اجمعوا على جعل النار لابراهيم عليه السلام بردا وسلاما وعلى قلب الماء خمرا فاذا جوزتهم مثل هذا جوزتهم ايضا القاء الشبه من غير استحالة)

وقد جاء فى انجيلكم ما يؤيد امكان القاء شبه عيسى على رجل آخر. وقد ذكر " متى " فى الفصل السابع عشر من انجيله قال (٣) :

---

(١) قصص الانبياء عبد الوهاب النجار ٤٢٦

(٢) بين الاسلام والمسيحية ابو عبيدة الخزرجى تحقيق دكتور محمد شامة ص ٢٠١

(٣) انجيل متى ص ١٧ ف ١-٢

(١- وبعد ستة ايام اخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا اخاه فأصعدهم الى جبل عال على انفراد -٢- و تجلى قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج) .

هذا التغير في وجهه وثيابه من معجزات المسيح عليه السلام . فاذا حدثت هذه المعجزة و هو في الجبل لكان حدوثها بتغير شكله واحواله لشتهيه اعداؤه الذين جاءوا للقبض عليه أولى ، لأن دوافع المعجزة عند مواجهة الاعداء اكبر وأشد مما كان في الجبل وهو في حالة الأمان .

قال الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه "قصص الانبياء" بعد أن أورد نصوص الانجيل كما ذكرته اعلاه : (١)

(وما كان من الأمر-فقد عهد تغير هيئة المسيح تغيرا كليا في وجهه وثيابه وهذا التغير الذى يقرون به يفسر لنا بأجلى بيان القاء شبهه على غيره . وتغير هيئته حتى ان الذين أتوا للقبض عليه أخذوا من القى عليه شبه المسيح فوقع في الورطة و نجا عيسى صلوات الله عليه).

و مما تقدم تبين ان وقوع الاشتباه بين الناس امر ممكن عقلا . فدعوى استحالة وقوعه مردودة . واما بالنسبة لوقوع الشبه في قتل عيسى وصلبه فهذا أمر محتم وواجب لأن الله اخبر ذلك فيجب الايمان به فانكاره كفر .

---

(١) قصص الانبياء ،عبد الوهاب النجار ص ٤٢٦

المبحث الثاني ج رفع المسيح عليه السلام حيا بروحه وجسده .

سبق ان قلنا ان علماء المسلمين اتفقوا على ان عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب كما ثبت بالقرآن وان الله قد انقذه ونجاه من كيد اعدائه بشأن رفعه اليه . وان المقتول والمصلوب هو رجل آخر شبه لهم بالمسيح ولم يختلف في ذلك احد من المسلمين قديما وحديثا كما سبق .

ولكن هل كان رفعه الى السماء روحا وجسدا ام كان الرفع روحا فقط بعد ان توفاه الله كغيره من الأموات ؟

الجواب عن ذلك ان عيسى عليه السلام لم يمت وقد رفع الى السماء حيا روحا وجسدا وما زال حيا . وسينزل في آخر الزمان يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حكما عادلا . ثم يتوفاه الله فيصلي عليه المسلمون . هذا هو الرأي الصحيح والذي ادين به وعليه جمهور المسلمين قديما وحديثا .

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى :

(وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا -١٥٧- بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) (١)

انكر الله تعالى في هذه الآية دعوى اليهود بأنهم قتلوه وصلبوه وبين ان المقتول والمصلوب شبيه بالمسيح . واما المسيح فقد رفعه اليه . والرفع هنا يكون بالروح والجسد معا لأن سياق الاية يقتضي ذلك . ولا يجوز حمله على رفع الروح وحدها كما يظن البعض لأن رفع الروح وحدها لا ينفي دعوى اليهود قتله وصلبه .

---

(١) سورة النساء ١٥٧-١٥٨

وقد كتبت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء مقالة عنوانها " عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم " ونشرتها في مجلة الدعوة الاسلامية عدد ٧٣٨ وفيها ذكرت كثيرا من الأسئلة التي وجهت الى اللجنة حول عيسى عليه السلام ومن ضمنها السؤال عن حياته او موته. ونسرد هنا جوابها عن هذا السؤال حيث قالت ان عيسى عليه السلام حي لم يمت حتى الآن ولم يقتله اليهود ولم يصلبوه ولكن شبه لهم بل رفعه الله الى السماء ببدنه وروحه وهو الى الآن حي في السماء. واستدلت على ذلك بالآية التي ذكرتها اعلاه ثم علقت على تلك الاية حيث قالت:

(فانكر سبحانه على اليهود انهم قتلوه او صلبوه واخبر انه رفعه اليه وقد كان ذلك منه تعالى رحمة به وتكريما له وليكون آية من آياته التي يؤتيها من يشاء من رسله وما اكثر آيات الله في عيسى بن مريم عليه السلام اولا واخرا. ومقتضى الاضراب في قوله تعالى " بل رفعه الله اليه " ان يكون سبحانه قد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام بدنا وروحا حتى يتحقق به الرد على زعم اليهود انهم صلبوه وقتلوه لأن القتل والصلب انما يكون للبدن اصالة. ولأن رفع الروح وحدها لا ينافي دعواهم القتل والصلب فلا يكون رفع الروح وحدها ردا عليهم ولأن اسم عيسى عليه السلام حقيقة في الروح والبدن جميعا فلا ينصرف الى احدهما عند الاطلاق الا بقرينة ولا قرينة هنا ولأن رفع روحه وبدنه جميعا مقتضى كمال عزة الله وحكمته وتكريمه ونصره من شاء من رسله) (١)

---

(١) مجلة الدعوة الاسلامية " المملكة العربية السعودية " العدد ٧٣٨ الاثنين ٩ ربيع الثاني ١٤٠٠هـ في موضوع عيسى بن مريم.

وقد ذكرت روايات كثيرة فى المبحث الأول انه عندما اراد اليهود ان يقبضوا على عيسى عليه السلام القى الله شبهه على رجل آخر فقبضوا على هذا الرجل وقتلوه أما عيسى عليه السلام فقد رفعه الله الى السماء ولا حاجة الى الاعادة هنا.(١)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية(٢) :

(وصعود الآدمى ببدنه الى السماء قد ثبت فى امر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فانه صعد الى السماء وسوف ينزل الى الارض) .

و هناك أدلة اقوى لا مجال للشك فيها فى رفع عيسى عليه السلام الى السماء حيا روحا وجسدا وهى ما ثبت بالقرآن والاحاديث الصحيحة المتواترة على نزوله فى آخر الزمان . فنزوله يقتضى ان يكون رفعه حيا روحا وجسدا . وسنتكلم عن هذا فى الباب الرابع ان شاء الله .

ولا يشكل علينا قوله تعالى :(٣)

(اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا . .) الآية .

اذ التوفى فى هذه الآية ليس معناه الموت كما يتضح ذلك من أقوال العلماء فى تأويل هذه الاية . ونورد هنا اقوالهم فى ذلك.

قال الطبرى فى تفسيره : اختلف اهل التأويل فى معنى الوفاة فى الآية :

١ - الوفاة بمعنى النوم و معنى الكلام على هذا المذهب انى منيمك ورافعك فى نومك وهو مروى عن الربيع .

---

(١) راجع صفحة ٢٠٤ وما بعدها

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٤ ص ١٦٩

(٣) سورة آل عمران ٥٥

٢ - معنى الوفاة القبض كما يقال توفيت من فلان مالى عليه بمعنى قبضته واستوفيته . فمعنى "انى متوفيك ورافعك الى" اى قابضك من الأرض حيا الى جوارى وآخذك الى ما عندى بغير موت ورافعك من بين المشركين واهل الكفر . وهذا مروى عن مطر الوراق والحسن وابن جريج وكعب الاحبار وغيرهم .

٣ - معنى الوفاة فى قوله "انى متوفيك" وفاة موت وهو مروى عن ابن عباس . وعن وهب بن منبه اليمانى انه قال توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه اليه .

٤ - ان فى الكلام تقديما وتأخيرا ومعنى ذلك . اذ قال الله يا عيسى انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالى اياك الى الدنيا(١)

تلك من تأويلات العلماء فى معنى التوفى فى تلك الاية كما اورده ابن جرير فى تفسيره ثم اختار بين هذه التأويلات وقال(٢):

(واولى هذه الاقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك انى قابضك من الأرض ورافعك الىّ لتواتر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث فى الأرض مدة ذكرها اختلفت الرواية فى مبلغها ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه)

وقد قال بهذا الرأى كثير من المفسرين منهم القرطبى والألوسى ومحمد حمادى وغيرهم .

قال القرطبى فى تفسيره(٣) بعد ان اورد الاقوال فى تأويل التوفى فى الآية :

---

(١) انظر تفسير الطبرى ج ٣ ص ٢٠٢-٢٠٣ بتصرف واختصار
(٢) نفس المرجع ص ٢٠٢
(٣) الجامع لاحكام القرآن ج ٤ ص ١٠٠

وقال محمد جمال الدين القاسمي (١) :

(والتوفي كما يطلق على الاماتة كذلك يطلق على استيفاء الشيء كما في كتب اللغة . ولو ادعى ان التوفي حقيقة في الاول والاصل في الاطلاق الحقيقة فنقول لا مانع من تشبيه سلب تصرفه عليه السلام باتباعه وانتهاء مدته المقدرة بينهم بسلب الحياة . وهذا الوجه ظاهر جدا . وله نظائر في الكتاب العزيز قال الله تعالى(٢) " الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ") .

وقال الشوكاني (٣) :

(وانما احتاج المفسرون الى تأويل الوفاة بما ذكر لأن الصحيح ان الله رفعه الى السماء من غير وفاة كما رجحه كثير من المفسرين واختاره ابن جرير الطبري ووجه ذلك انه قد صح في الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم نزوله وقتله الدجال) .

تلك آراء بعض العلماء والمفسرين في تأويل التوفي في قوله تعالى : " اني متوفيك ورافعك اليّ " وهم وان كانوا قد اختلفوا في تأويله الا انهم اتفقوا على ان عيسى عليه السلام لم يمت وقد رفع الى السماء حيا روحا وجسدا .

واما ما روى عن ابن عباس انه يفسر قوله تعالى " اني متوفيك " بمعنى مميتك فهذا غير صحيح لانقطاع السند الموصل اليه . اذ هو من رواية علي بن ابي طلحة عنه وعلي لم يسمع منه ولم يره . . . وكذلك ما روى عن وهب بن منبه اليماني انه قال ان الله توفاه ثلاث ساعات ثم احياه فرفعه الى السماء فهذا

---

(١) تفسير القاسمي ج ٤ ص ٨٥١
(٢) سورة الزمر ٤٢
(٣) فتح القدير ج ١ ص ٣٤٤ - ٣٤٥

أيضا غير صحيح لأنه من رواية محمد بن اسحاق عمن لا يسمهم عن وهب . ففيه عنفسة بن اسحاق وهو مدلس وفيه مجهول (١) .

وقد اورد القرطبي في تفسيره (٢) قول وهب بن منبه ثم قال فيه بعد ، كما اورده الشوكاني (٣) ثم ضعفه .

واما بالنسبة لابن عباس فقد صح عنه انه قال برفع عيسى عليه السلام حيا روحا وجسدا . كما ذكره القرطبي في تفسيره وقد مر ذكره قريبا .

ومما يؤيد صحة ما قلنا ان ابن عباس اثبت نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان . وقد فسر قوله تعالى (٤) " وانه لعلم للساعة " اى خروج عيسى قبل يوم القيامة علم للساعة كما رواه الحاكم في المستدرك . وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه (٥) . وأخرج ابن جرير ايضا بطرق مختلفة عنه في هذه الاية انه قال : خروج عيسى في آخر الزمان (٦) . فنزوله في آخر الزمان يقتضي أن يكون رفعه حيا روحا وجسدا . وبذلك تبين بطلان ما نسب الى ابن عباس انه فسر "التوفي " في قوله تعالى " انى متوفيك " بمعنى الاماتة لما ذكرنا . والله أعلم .

وقصارى القول ان جمهور العلماء والمفسرين المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على ان عيسى عليه السلام لم يمت وقد رفع الى السماء حيا روحا وجسدا وما زال حيا . وسينزل في آخر الزمان . وهذا هو الصحيح .

---

(١) انظر مجلة الدعوة الاسلامية " المملكة العربية السعودية " العدد ٧٣٨ ٩ ربيع الثاني ١٤٠٠هـ في موضوع "عيسى بن مريم عليه السلام " بتصرف .

(٢) ج ٤ ص ١٠٠

(٣) فتح القدير ج ١ ص ٣٤٥

(٤) سورة الزخرف ٦١

(٥) انظر المستدرك وتلخيصه ج ٢ " كتاب التفسير " ص ٤٤٨ بتصرف

(٦) انظر تفسير ابن جرير ج ٢٥ ص ٩٠-٩١

هذا ومع اتفاق جمهور العلماء والمفسرين على ذلك فان هناك فئة قليلة من المتأخرين قد خالفت الجمهور ورفضت الاحاديث الصحيحة المتواترة في نزول عيسى عليه السلام وقالت ان عيسى عليه السلام قد مات ميتة عادية ورفعت روحه الى السماء كغيره من الأموات وانكرت نزوله في آخر الزمان لأنه قد مات حسب زعمها .

و هذا القول باطل ومردود لمخالفته ما ثبت بالكتاب والسنة وما اجمعت عليه الأمة من ان عيسى عليه السلام لم يمت وقد رفع الى السماء حيا روحا وجسدا وسينزل في آخر الزمان وسيأتي الكلام عن هذه الفئة وآرائها في وفاة عيسى ورفعه الى السماء ونزوله في آخر الزمان مع مناقشتها واثبات بطلانها ان شاء الله في الفصل الرابع من الباب الرابع .

الباب الرابع

نزول المسيح في آخر الزمان وحكمة ذلك

وفيه فصول :

الفصل الأول : آراء اليهود والنصارى في نزول المسيح .

الفصل الثاني : رأي بعض الفرق الضالة كالقاديانية ونحوها في نزول المسيح .

الفصل الثالث : عقيدة المسلمين في نزول المسيح وموضع نزوله والأدلة على ذلك .

الفصل الرابع : شبه من انكر من المسلمين نزول المسيح ومناقشتها .

الفصل الخامس : حكمه بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد نزوله .

*

الفصل الأول

آراء اليهود والنصارى فى نزول المسيح

وفيه مبحثان

المبحث الأول : آراء اليهود فى نزول المسيح .

لقد قلنا فيما سبق ان اليهود انكروا رسالة المسيح عليه السلام ونبوته بل اتهموه بالتجديف على الله فقتلوه وصلبوه حسب زعمهم . وانكروا نزوله فى آخر الزمان لأنه قد قتل . وقد بينا بطلان هذا الزعم وقلنا ان المسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب بنص القرآن الكريم كما مر ذكره .

واليهود وان كانوا ينكرون نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الا انهم ينتظرون المسيح الذى انبأت به كتبهم المقدسة المنحرفة . وهذا المسيح اذا ظهر - حسب زعمهم - سيكون ملكا عظيما و يعيد لليهود مملكتهم وسيجعل الجنس اليهودى الجنس الأعظم بين اجناس الناس جميعا (١) .

و قد اختلف اليهود فى تصور المسيح الذى ينتظرونه . اذ تصور بعضهم انه كان ملكا من كبار الملوك الغابرين فى مملكة اسرائيل قام من بين الاموات ليخلصهم من الرومان مثل الملك داود او حزقيا او يهوه شافاط . وفريق ثان تصور انه نبى من الانبياء كالنبى ايليا او اليشع بعث بعد موته ليخلص شعب يهوه . بينما فريق ثالث تصور ذلك المسيح المخلص اميرا من سلالة داود فيأتى بالنصر المبين على الرومان و يحرر الشعب اليهودى ويضم جميع الناس تحت لوا ملكه ليؤمنوا بيهوه اله اليهود و بالشريعة اليهودية وكانت هذه اكثر الأحلام شيوعا وانتشارا بين اليهود . لما ورد عن داود ووعده الاله ا بتثبيت كرسى مملكته الى الابد ببقيا سلالته ملوكا على عرش

---

(١) راجع النصرانية والاسلام محمد عزت الطهطاوى ص ٣٢٦-٣٢٧

اسرائيل كما جاء فى سفر الملوك الثانى حيث يقول (١) :

(١٢- واذا تممت ايامك واضطجعت مع آبائك واقمت من بعدك من نسلك الذى يخرج من صلبك وأقررت ملكه -١٣- فهو يبنى بيتا لاسمى وانا أقر عرش ملكه الى الابد)

وجاء ما يماثل ذلك فى سفر الملوك الثالث حيث وعد الرب لسليمان ببقاء عرشه الى الأبد بقوله (٢) :

(اقر عرش ملكك على اسرائيل الى الابد كما كلمت داود اباك قائلا لا ينقطع لك رجل عن عرش اسرائيل) .

فاين عرش سليمان بن داود وكرسيه على اسرائيل الآن حيث وعد الاله له ببقاء ملكه الى الأبد . وهكذا اكاذيبهم وافتراءاتهم التى دسوها فى كتبهم تجليها الايام والواقع(٣) .

وقد بالغت الكتب المقدسة المحرفة عندهم فى وصف المسيح المنتظر حتى تصفه انه اله قدير. وانه اذا دعا على الكفار او المنافقين فسيموتون بذلك الدعاء . وان الناس فى ظله لن يعيشوا وحدهم فى العالم فى سلام وسعادة ونعم بل يشاركهم فى ذلك كل انواع الحيوانات فالذئب يسالم الحمل والعجل يداعب الأسد .

(٤)
جاء فى الفصل التاسع من نبوءة اشعيا بشأن المسيح المنتظر قال ج

(-٦- لأنه قد ولد لنا ولد اعطى لنا ابن فصارت الرياسة على كتفه ودعى اسمه عجيبا مشيرا الها جبارا ابا الابد رئيس السلام -٧- لنمو الرئاسة ولسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته ليقرها ويوطدها بالانصاف والعدل من الآن الى الأبد) .

---

(١) سفر الملوك الثانى فصل ٧ فقرة ١٢-١٤
(٢) سفر الملوك الثالث فصل ٩ فقرة ٥
(٣) راجع النصرانية والاسلام محمد عزت الطهطاوى ص ٢٢٣ ومابعدها
(٤) نبوءة اشعيا فصل ٩ فقرة ٦-٧

وجاء فى نبوءة اشعيا ايضا قال (١) :

(-١- ويخرج قضيب من جذر يسى * وينمى فرع من اصوله -٢- ويستقر عليه روح الرب . روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة ،روح العلم وتقوى الرب -٣- ويتنعم بمخافة الرب ولا يقضى بحسب رؤية عينيه ولا يحكم بحسب سماع اذنيه-٤- بل يقضى للمساكين بعدل ويحكم لبائسى الأرض بانصاف ويضرب الأرض بقضيب فيه ويهلك المنافق بنفس شفتيه -٥- ويكون العدل منطقه حقويه والحق حزام كشحيه -٦- فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدى ويكون العجل والشبل والمعلوف معا وصبى صغير يسوقها -٧- ترعى البقرة والدب معا ويربض اولادهما معا والاسد يأكل التبن كالثور - ٨ - ويلعب المرضع على حجر الأفعى ويضع الفطيم يده فى/ نفق الأرقم -٩- لا يسيئون ولا يفسدون فى كل جبل قدس لأن الارض تمتلئ من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر -١٠- وفى ذلك اليوم أصل يسى القائم راية للشعوب اياه تترجى الأمم ويكون مثواه مجيدا -١١- وفى ذلك يعود السيد فيمد يده ليحوز بقية شعبه من بقى منهم من أشور ومصر وفتروس وكوش وعيلام وشنعار وحماة وجزائر البحر -١٢- وينصب راية للامم ويجمع المنفيين من اسرائيل ويضم المشتتين من يهوذا من اطراف الأرض ق .

---

* " يسى " هو والد داود عليه السلام انظر مقارنة الاديان اليهودية - الدكتور احمد شلبى ج ١ ص ١٧٢

(١) نبوءة اشعيا فصل ١١ فقرة ١-١٢

وقد جاء مثل هذه المعانى فى سفرى أرميا وعاموس . والقارئ لسفريهما يجد هذه الافكار منثورة هنا و هناك.

مما تقدم تبين ان المسيح الذى تنتظره اليهود كان من نسل داود وانه ليس انسانا عاديا بل كان رجلا الهيا تحل عليه روح الرب . وسيكون ملكا عظيما عادلا تنتعم بعدله وعظمته سائر الانسان والحيوان . و هذا باطل اطلاقا .

قال ول ديورانت(١) :

(وكان كثيرون من اليهود يتفقون مع "اشعيا" فيما وصف به المسيح من انه ملك دنيوى يولد من بيت داود الملكى و منهم من يسمونه باسم "ابن الانسان" كأخنوخ ودانيال ويصورونه بأنه سينزل من السماء) .

ولا شك أن هذا من الخرافات الدخيلة فى اسفارهم المقدسة . وقد طالما انتظار اليهود مجيء هذا المسيح الذى وصفته كتبهم فترة بعد فترة وخصوصا كلما نزلت بهم البلايا والمحن دون ان يجيء . ولما ظهر عيسى عليه السلام ودعاهم الى توحيد الله وعبادته و حده والايمان باليوم الاخر و ترك ماكانوا عليه من التكالب على الدنيا و من العادات السيئة آمن به قليل منهم وسمى هؤلاء المؤمنون به النصارى . وامّا اكثرهم فقد عارضوه وقاوموه لأنه فى زعمهم ليس هو المسيح الذى تنبأت به اسفارهم المقدسة اذ ان عيسى عليه السلام لا يقيم مملكة ولا يعطى لليهود ما يتمنونه من متاع الدنيا ورفاهيتها ولا يجعل الشعب اليهودى أرقى الشعوب . فلذلك تآمروا عليه وعادوه واخيرا دبروا قتله . ولكن الله نجاه من كيد اعدائه و رفعه اليه كما ذكرناه من قبل .

---

(١) قصة الحضارة ج٣ م ٣ ص ١٨٢

وقبل ان تحكم اليهود نهائيا على باقى الأمم يلزم ان تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم. و يبقى اليهود مدة سبع سنوات متوالية يحرقون الأسلحة التى اكتسبوها بعد النصر . وحينئذ تثبت اسنان اعداء بنى اسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعا خارجا عن افواههم .

و تعيش اليهود فى حرب عوان مع باقى الشعوب منتظرين ذلك اليوم وسيأتى المسيح الحقيقي ويحصل النصر المنتظر . ويقبل المسيح وقتئذ هدايا كل الشعوب ويرفض هدايا النصارى . وتكون الأمة اليهودية فى ذلك الوقت غاية فى الثروة لأنها تكون قد حصلت على جميع اموال العالم . وتحفظ هذه الكنوز فى سرايات واسعة حيث لا يمكن حمل مفاتيحها واثقالها على أقل من ثلمائة حمار(١) .

(فى ذلك الوقت يمتنع الجميع الايمان اليهودى الا المسيحيين لا شركة لهم فى هذه النعمة بل انهم يستأصلون عن وجه الأرض لأنهم متحدرون من الشيطان . وعندئذ تشبع رغائب اليهود لأن المسيح الذى ينتظرونه و يستعدون للقائه هو اسرائيل نفسه اى ان الشعب اليهودى يملك على باقى الشعوب وقت مجىء المسيح)(٢)

تلك من الخرافات فى الديانة اليهودية المحرفة . والعقل الصحيح لا يتوقع حدوث مثل هذه الخرافات والاساطير الخيالية التى يحلمها اليهود .

و هناك خرافات اخرى اوردها ظفر الاسلام خان فى كتابه فيقول : ما معناه ان من خرافات اليهود الاعتقاد بأن حياة الناس حينئذ ستطول قرونا والطفل سيموت فى سن المائة . . . وأرض اسرائيل ستنبت الخبز

---

(١) انظر الكنز المرصود فى قواعد التلمود " روهلنج " ترجمة الدكتور يوسف حنا نصر الله ص ٦٤-٦٥ بالتصرف والاختصار .

(٢) همجية التعاليم الصهيونية بولس حنا سعد ص ٥٩ نقلا عن التلمود .

والأقمشة من اجود انواع الصوف وسينبت القمح في لبنان عاليا مثل اشجار النخيل و سيهب هواء بمشيئة الله ليجعله دقيقا فاخرا وحبوب القمح ستكون مثل كلى الثيران الضخمة . . .

و من هذه الأساطير ايضا ان كروم العنب ستثمر حتى ان عنقودا واحدا سيكفى لثلاثين جرة من الخمر . . . وسترتفع بناء اورشليم ثلاثة اميال وابوابها ستكون من لآلىء واحجار كريمة قامتها ثلاثين ذراعا طولا وثلاثين ذراعا عرضا (١) .

وموعد ظهور المسيح كما اخبر به التلمود يكون بعد ظهور " الياجوج والماجوج و حرب التنين . واما عن عودة القبائل اليهودية الى الأرض المقدسة فيؤكدها تارة وينكرها تارة أخرى . ولكنه يؤكد ان جميع الاجانب سيعتنقون الدين اليهودى عند ظهور المسيح .

واما المدة التى سيبقى خلالها المسيح فقد اختلفت الحاخامات فيها .

يقول البعض أنه سيبقى اربعين عاما والبعض يقولون سبعين عاما والبعض الآخر ثلاثة اجيال . وقال اخرون سيقضى على الأرض المدة التى سبقت مجيئه منذ خلق العالم او منذ زمن نوح حتى الان . وذهبت جماعة من الحاخامات الى ان مملكة المسيح ستستمر لآلاف السنين . لأنه اذا وجدت حكومة جيدة لن تتقرض بسرعة وقالوا أيضا ان المسيح سيموت ثم يخلفه ابنه ثم حفيده (٢) .

والحقيقة ان المسيح الذى تنتظره اليهود لن يأتى ولن يظهر ابدا . لأن المسيح على هذا الوصف -فى نظرى- ما هو الا امانى واحلام قدماء اليهود لعل الله يولد لهم ابن سيكون ملكا مثاليا يحكم العالم كله ويخلص الشعب اليهودى من ذل الاستعباد و يعطيهم ما تمنوه من السلطة والثروة . فكتبوا هذه الامانى والاحلام وخلطوا بكلام الأنبياء

---

(١) انظر التلمود و تاريخه و تعاليمه ظفر الاسلام خان ص ٦٠=٦١ بالاختصار والتصرف .

(٢) نفس المرجع ص ٥٩-٦٠ بالاختصار والتصرف.

ثم نسبوها اليهم كذبا . فظن من كان بعدهم ان ذلك من تنبوءات الانبياء فينتظرون ظهوره فترة بعد فترة وخصوصا عندما اصيب بهم البلاء وذل الاستعباد ولكنه لم يظهر ولم يأت بل ولن يأت ابدا . هذا ما اراه في المسيح الذى ذكر في كتبهم واسفارهم - والله اعلم - اذ يستحيل عقلا وشرعا ان يتنبأ احد من الأنبياء بظهور المسيح على الوصف المذكور كما ادعته اليهود وما جاءت به كتبهم . واما المسيح الذى تنبأ به الانبياء حقيقة فهو المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والذى دعا بنى اسرائيل الى الايمان بالله و تزكية النفوس من الادران كالطمع والتكالب على الدنيا والحسد والبغض والعدوان و غيرها . لا مسيح الانسانى الالهى الذى يملأ ايدى اليهود ذهبا و يفتح عليهم كنوز الأرض ويرجع اليهم السلطة والحكم كما وصفته كتبهم المحرفة والمبدلة .

والذى صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان المسيح الذى ينتظرونه هو المسيح الدجال ، لأنهم من اتباعه . وقد روى انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " يتبع الدجال من يهودى اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة* " رواه مسلم (١) .

وقد تحدث ابن القيم عن المسيح الذى ينتظروه و عن الاحوال التى تحدث بعد ظهوره ثم علق عليه وقال (٢) :

(ويزعمون ان قائما يقوم فيهم من ولد داود النبى اذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى الا اليهود و هذا

---

* الطيالسة : ثوب يلبس على الكتف يحيط بالبدن ينسج للبس خال من التفصيل والخياطة . انظر صحيح مسلم فى الهامش ص ٢٢٦٦

(١) صحيح مسلم م ٤ " كتاب الفتن واشراط الساعة ٥٢ " باب في بقية من احاديث الدجال ٢٥" ص ٢٢٦٦

(٢) ابن القيم هداية الحيارى ص ١١٠

" المنتظر" بزعمهم هو المسيح الذى وعدوا به . قالوا ومن علامة مجيئه ان الذئب والتيس يرعيان معا ، وان البقرة والذئب يرعيان معا وان الاسد يأكل التبن كالبقر. فلما بعث الله المسيح كفروا به عند مبعثه وأقاموا ينتظرون متى يأكل الاسد التبن حتى تصح لهم علامة مبعث المسيح ويعتقدون ان هذا المنتظر متى جاء يجمعهم بأسرهم الى القدس و تصير لهم الدولة و يخلو العالم من غيرهم و يحجم الموت عن حنا بهم المنيع مدة طويلة وقد عوضوا من الايمان بالمسيح بن مريم بانتظار مسيح الضلالة الدجال . فانه هو الذى ينتظرونه حقا ،وهم عسكره واتبع الناس له ويكون لهم فى زمانه شوكة ودولة الى ان ينزل مسيح الهدى ابن مريم فيقتل منتظرهم ويضع هو واصحابه فيهم السيف حتى يختبى اليهود وراء الحجر والشجر فيقولان يا مسلم هـذا يهودى ورائى تعالى فاقتله فاذا نظف الأرض منهم و من عباد الصليب فحينئذ يرعى الذئب والكبش معا ويربضان معا و ترعى البقر والذئب معا . ويأكل الاسد التبن و يلتقى الأمن فى الأرض ،هكذا اخبر به اشعيا فى نبوته وطابق خبره ما اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فـى الحديث الصحيح فى نزول الدجال وقتل المسيح ابن مريم له) .

والحقيقة ان طبيعة اليهود والدجال متساوية بكل معناها - هى اثارة الفتنة والفساد والفوضى فى البلاد و تضليل الناس عن سواء السبيل فاذا كان انتظارهم بمجيئه ليكون رئيسا لهم و ملكا عليهم انسب واليق بهم . والله أعلم .

المبحث الثانى : آراء النصارى فى نزول المسيح .

كانت النصارى يعتقدون ان المسيح عيسى بن مريم سينزل فى آخر الزمان وهم ينتظرون نزوله . وهذا موافق لما يعتقده المسلمون . ولكن النصارى بالغوا فى وصف المسيح وملكته وسلطته بعد نزوله حتى زعموا ان مجيئه الثانى ليدين الاحياء والاموات . وهذا راجع الى عقيدتهم بألوهيته وبنوته لله . وقد بينت بطلان هذه العقيدة من قبل عند الكلام عن آراء النصارى فى المسيح عيسى بن مريم .

وقد عبر الكاتب النصرانى عن ملكة المسيح وسلطته بعد نزوله فى آخر الزمان فيقول :

ان ملكوت الله تخالف المماليك البشرية ، اذ ان المماليك البشرية تبدو اول ما تبدو قوية عند نشأتها حتى اذا ما بلغت اوج مجدها تأخذ فى الانحدار وسرعان ما يصير الانحدار انهيارا والانهيار اندثارا لا محالة وحتى اذا ما اندثرت هذه المملكة قامت مقامها مملكة اخرى ثم اخرى . وهكذا دواليك . على خلاف ذلك ملكوت الله فانه يبدو اول ما يبدو ضعيفا ضئيلا متخاذلا حتى ان كثيرا من الناس امثال الفريسيين معاصرى يسوع لا يكادون يشعرون بوجوده على الرغم من قيامه فى وسطهم وبين ظهرانيهم . ولكن سيكتمل هذا الملكوت فى آخر الأيام حيث سيبدو اذ ذاك امام الملأ جميعا فى أوج عظمته غير الفانية وهو الذى كتب له ان يدوم الى الأبد .

ويقول هذا الكاتب ان يسوع تكلم مع الفريسيين فى نشأة هذا الملكوت فأثبته انه ينمو وينتشر بالفعل من غير ما ضجة او جلبة ولكنه حقيقة واقعية لا يمكن انكارها . وهنا يكلم تلاميذه عن الملكوت عينه وقد اكتملت قوته فى آخر الأيام اذ يأتى يسوع بمجد وجلال

عظيمين لدين الاحياء والاموات(١) .

هذا وصف لمملكة المسيح عند نزوله اخر الزمان كما تعتقده النصارى . وهو مبنى على عقيدتهم بألوهية المسيح وهذا باطل كما سبق .

و تستند النصارى فى قولهم بنزول المسيح على النصوص التى جاءت فى الكتب المقدسة عندهم . وقد تحدثت الاناجيل ورسائل بولس الرسول عن رجعة المسيح ونزوله فى آخر الزمان وعن العلامات التى تسبق هذا النزول .

جاء فى انجيل مرقس يقول(٢) :

(٣- وبينما هو* جالس فى جبل الزيتون قبالة الهيكل سأله بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس على انفراد -٤- قل لنا متى يكون هذا وما العلامة التى تكون اذا اوشك ان يتم هذا كله -٥- فأجاب يسوع وشرع يقول لهم احذروا ان يضلكم احد -٦- لأن كثيرين سيأتون باسمى قائلين انى انا هو ويضلون كثيرين - ٧ - فاذا سمعتم بحروب وبأخبار حروب فلا تقلقوا فانه لا بد ان يكون هذا ولكن لا يكون المنتهى اذ ذاك -٨ - ستقوم امة على أمة و مملكة على مملكة و تكون زلازل فى اماكن ستى و مجاعات و هذا اول المخاض. . .

. . . -١٤ - فمتى رأيتم رجاسة الخراب قائمة حيث لا ينبغى ليفهم القارئ . فحينئذ الذى فى اليهودية فليهرب الى الجبال -١٥ - والذى على سطح فلا ينزل الى البيت ولا يدخل ليأخذ شيئا من بيته -١٦ - والذى فى الحقل فلا يرجع الى وراءه ليأخذ ثوبه . . . - ٢١ - حينئذ ان قال لكم احد

---

(١) حياة يسوع لويس برسوم الفرنسيسكانى ج٢ ص ٩ بتصرف

(٢) انجيل مرقس فصل ١٣ فقرة ٣- ٢٢

* يعنى المسيح عيسى عليه السلام

ان المسيح ههنا او هناك فلا تصدقوا -٢٢- فسيقوم مسحاء كذبة وانبياء كذبة يعطون علامات وعجائب لكي يضلوا المختارين ايضا ان امكن -٢٣- فاحذروا انتم فها انذا قد تقدمت فقلت لكم كل شيء - ٢٤ - وفي تلك الايام بعد ذلك الضيق تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه -٢٥ - وتتساقط كواكب السماء وتتزعزع القوات التي في السموات -٢٦ - وحينئذ يشاهدون ابن البشر آتيا على السحاب بقوة وجلال عظيمين -٢٧ - وحينئذ ترسل ملائكته ويجمع مختاريه من الرياح الاربع من اقاصي الأرض الى اقاصي السماء ...-٢٩ - كذلك انتم اذا رأيتم هذا قد حدث فاعلموا انه قريب على الأبواب -٣٠ - الحق اقول لكم أنه لا يزول هذا الجيل حتى يكون هذا كله -٣١- السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول -٣٢ - فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها احد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب) .

وقد روى مثل هذا كل من متى ولوقا مع اختلاف يسير (١) .

وروى يوحنا عن المسيح انه قال لتلاميذه (٢) :

(١- لا تضطرب قلوبكم انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي ايضا -٢- ان في بيت ابي منازل كثيرة والا لقلت لكم فاني منطلق لأعد لكم مكانا-٣- واذا انطلقت واعددت لكم مكانا آتي واخذكم اليّ لتكونوا انتم حيث اكون انا -٤ - انتم عارفون اين اذهب وتعرفون الطريق) .

هذه من النصوص التي اعتمدت عليها النصارى في نزول المسيح .

---

(١) انظر متى فصل ٢٤ فقرة ٣ ومابعدها وانظر لوقا فصل ٢١ فقرة ٧ ومابعدها
(٢) انجيل يوحنا فصل ١٤ فقرة ١-٤

وقد علق الشيخ عبد الكريم الخطيب في كتابه " المسيح في القرآن " بعد أن اورد نصوص الاناجيل كما سقنا آنفا قائلا (١) :

(ورجعة المسيح كما تبدو في هذه الأخبار واقعة بين يدى الساعة حيث تجيء اشراطها بهذا الانقلاب العظيم الذى يضطرب له نظام الكواكب الأرض كله . وهذا يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم عن الاحداث والارهاصات التى تسبق يوم الساعة فمن ذلك قوله تعالى " اذا السماء انفطرت . . واذا الكواكب انتثرت " - سورة الانفطار - (٢)

وعلى هذا يمكن ان يكون " المسيح " علما من اعلام الساعة وهذا ما تشهد له الاية الكريمة " وانه لعلم للساعة " (٣) في قراءة " لَعَلَم " بفتح اللام والعين واللام بعدها) .

اقول ان القول بنزول المسيح بين يدى الساعة حينما انقلبت السموات والأرض وحينما تساقطت النجوم والكواكب واضطربت انظمة الكون كله كما تظنه النصارى غير صحيح . لانه قد صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ان عيسى سيمكث في الأرض عدة سنوات حاكما على هذه الأمة بشريعة الاسلام حكما عادلا يتمتع بعدله جميع الناس والحيوانات . وسيأتي ذكر الاحاديث عن هذا في الفصل الثالث ان شاء الله . وتبين من هذا ان نزوله كان قبل حدوث الانقلاب والاضطراب في أنظمة الكون وهذا هو الصحيح .

ويلاحظ ان موعد نزوله كما جاء في الأناجيل عن المسيح قد مضى منذ قرابة الفي سنة ولم يجيء المسيح حتى الآن . فقد روى مرقس عن المسيح انه قال (٤) :

(الحق اقول لكم انه لا يزول هذا الجيل حتى يكون هذا كله) .

---

(١) انظر ص ٥٣١
(٢) سورة الانفطار ١-٢
(٣) سورة الزخرف ٦٠
(٤) مرقس فصل ١٣ - فقرة ٣٠

وروى مثل هذا لوقا (١) .

وروى متى عنه ايضا قال (٢) :

(لأن ابن البشر مزمع ان يأتى فى مجد ابيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل احد بحسب اعماله -٢٨- الحق اقول لكم ان قوما من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن البشر آتيا فى ملكه) .

تدل هذه النصوص على ان المسيح ينزل فى القوم الذين عاش فيهم ورفع عنهم . فكيف لم ينزل فى ذلك الموعد ؟ هذه تفيدنا بيقين ان نسبة هذه النصوص الى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كذب وافتراء عليه . اذ استحال على المسيح ان يتنبأ بشىء لن يكن واقعا لأن هذا من نوع الكذب والكذب محال عليه وعلى الرسل جميعا . هذا وان صح هذا الكلام من عيسى عليه السلام فلا بد من التحريف والتبديل .

وكان بولس الرسول أيضا يتنبأ بقرب نزول المسيح . ففى رسالته الى أهل فليبى يقول لهم (٣) :

(-٢٠- اما نحن فسيرتنا فى السموات التى منها ننتظر المخلص الرب يسوع المسيح) .

ويقول فى رسالته الى اهل تسالونيكى (٤) :

(١- ونلتمس منكم ايها الاخوة بمجيء ربنا يسوع المسيح ويجمعنا لديه -٢- ان لا تكونوا سريعى التزعزع عن اعتقادكم ولا ترتاعوا من روح ولا من كلمة ولا من رسالة كأنها منا ان قد قرب يوم الرب -٣- لا يخدعنكم أحد بوجه من الوجوه

---

(١) انظر لوقا فصل ٢١ فقرة ٢٣
(٢) متى فصل ١٦ فقرة ٢٧-٢٨
(٣) رسالة بولس الى اهل فيلبى فصل ٣ فقرة ٢٠
(٤) فصل ٢ فقرة ١-٣

لأنه لا بد ان يسبق الارتداد اولا ويظهر انسان الخطيئة *
ابن البهلول) .

وقد مرت السنون الطويلة بعد هلاك بولس ولم يجئ المسيح . ولكن ما زالت النصارى ينتظرون وينتظرون حتى الان ويرجون نزوله من قريب .

يقول ول ديورانت(١) :

(كان ثمة عقيدة مشتركة وحدّث الجماعات المسيحيـــــة المنتشرة فى انحاء العالم هى ان المسيح ابن الله وانه سيعود لاقامة مملكته على الأرض وان كل من يؤمن به سينال النعيم المقيم فى الدار الاخرة . ولكن المسيحيين اختلفوا فى موعد عودة المسيح فلما مات " نيرون " وخرب " تيطس " الهيكل ولما ان دمر " هدريان " اورشليم رحب كثيرون من المسيحيين بهذه الكوارث وعدوها بشائر بعودة المسيح . ولما ان عدت الفوضى الامبراطورية فى اواخر القرن الثانى ظن " ترتليان " وغيره ان آخرة العالم قد دنت وسار احد الاساقفة السوريين على رأس قطيعه الى الصحراء ليلتقى بالمسيح فى منتصف الطريق . وافسد اسقف اخر فى " بنطس " نظام اتباعـــــه اذ اعلن ان المسيح سيعود فى خلال عام واحد . ولما لـم تصدق كل هذه العلامات ولم يعد المسيح رأى عقلاء المسيحيين ان يخففوا من وقع هذه الخيبة بتفسير موعد عودته تفسيرا جديدا . فقيل فى رسالة معزوة الى " برنابا " انه سيعود خلال الف عام وقال اشد هؤلاء حذرا ان عودته ستكون حين ينقرض "جيل" اليهود او شعبهم عن آخره او حين لم يبق احد من غير اليهود لم يصل اليه الانجيل .)

---

* انسان الخطيئة هو المسيح الدجال

(١) قصة الحضارة ج ٣ م ٣ ص ٢٩٠ - ٢٩١

ومما تقدم تبين ان تفسيرهم لموعد مجيء المسيح يتأثر تأثرا قويا بالظروف والأحوال التي تحيط بالنصارى من الفرج والضيق والأمن والفوضى والحرية والاضطهاد وغيرها من الاحوال الاجتماعية . فعندما اصيبوا بالضيق والاضطهاد والخراب توقعوا نزوله في اقرب وقت ممكن . ولكن اذا كانوا في حالة طيبة ووسعة الحياة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية لم يتذكروا مجيئه ولم يحددوا موعده . لذلك يقول البعض ان فكرة المسيح المنتظر عاملا قويا في تعزية المصابين والمضطهدين اذ انهم يرجون ان الفرج قريب بنزول المسيح المنتظر .

فالمسلمون يعتقدون ايضا نزول المسيح في آخر الزمان الا انهم لا يرجون منه ان يأتي اليهم ذهبا او فضة او ثروات دنيوية ولا يرجون أن يعيد اليهم السلطة والنفوذ حتى يسيطروا على العالم كله . ولكنهم يرجون منه ان يرفع راية الاسلام بحيث تكون الاحكام بجميع فروعها اسلامية فتكون العدالة شاملة .

والنصارى ينتظرون مجيء المسيح لينالوا مجدهم ونصرهم النهائي . ولكن اذا جاء المسيح عيسى بن مريم فهل يأتي بالنصر والمجد والفوز لهم كما يتمنون ؟ .

هيهات وهيهات ان يجيء عيسى ويأتي بالنصر والفوز لهم لأن عيسى عليه السلام لا يعترف انهم من امته . فكيف يأتي لهم بالنصر والمجد ؟ فقد أخبر الله تعالى موقف عيسى عليه السلام من الذين اتخذوه وامه الهين من دون الله وبين انه تبرأ منهم . قال تعالى (١) :

(واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله . قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم

---

(١) سورة المائدة ١١٦-١١٧

ما في نفسك انك انت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيدا) .

فالنصارى يجعلون المسيح ابن مريم الها . فاذا كانوا ليسوا من امته ولا من اتباعه لمخالفتهم لتعاليمه وعقائده . وبذلك لا يستحقون اى نعم بمجيئه عليه السلام في آخر الزمان . بل صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ان المسيح عندما نزل الى الأرض يحارب الكفار كلهم ومن ضمنهم الدجال واتباعه واليهود وعباد الصليب وغيرهم من المشركين حتى تكون الملل كلها واحدة وهي الاسلام كما سيأتي بيان هذا في الفصل الثالث ان شاء الله .

والحقيقة ان المسيح الذى تنتظره النصارى والذى وصفته اناجيلهم المحرفة هو المسيح الاسطورى الخرافى الذى لا حقيقة له . والدنيا بكل وسعها وطوله عمرها منذ بدء خلقها لم تشهد وجود انسان الهى كما وصفته النصارى فى مسيحهم فأين يجدون هذا الانسان الخيالى . قال ابن القيم (١) :

(ومسيح النصارى لا حقيقة له . فانه عندهم اله وابن اله وخالق ومميت ومحيى فمسيحهم الذى ينتظرونه هو المصلوب المسمر المكلل بالشوك بين اللصوص المصفوع الذى هو صنعة اليهود وهو عندهم رب العالمين وخالق السموات والارضين) .

فالذى كان عنده مسكة عقل لا يتصور وجود هذا الانسان الذى كان على تلك الصفات ولا يتوقع ظهوره ابدا . ولكن النصارى آمنوا بهذا وينتظرون نزوله . ولا عجب فى هذا فانهم هم الضالون عن سواء السبيل . وهم ممن شبههم الله بالانعام بل أضل لعدم تفكيرهم بالعقول التى وهبها الله

---

(١) هداية الحيارى ص١١١

لهم وعدم استعمالهم للحواس التي أعدت لهم للتمييز بين الحق والباطل وبين الخالق والمخلوق وبين الصحيح والسقيم وبين النافع والضار وبين الخير والشر وهم من أصحاب النار .

قال الله تعالى (١) :

ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون) .

فالمسيح الحقيقي الذي سينزل في آخر الزمان هو المسيح عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله عليه السلام والذي اذا نزل سيقتل الدجال واتباعه وجميع الكفار ويهلك الملل كلها الا الاسلام لا المسيح الانساني الالهي كما زعمته النصارى .

---

(١) سورة الاعراف ؛ ١٧٩

الفصل الثانـي

رأى بعض الفرق الضالة في نزول المسيح كالقاديانية ونحوها

لقد ظهر كثير من الفرق الدينية المبتدعة الضالة بعد وفاة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وبعض هذه الفرق ينتسب الى الاسلام ولكنه حرف نصوص القرآن والاحاديث وفسرها بما يلائم هواه كالفرق الباطنية من الشيعة المتطرفة والفرق المتصوفة الغلاة التي ادعت الحلولية والاتحاد وغيرها . وبعضها ظهر كدين مستقل نسخ شريعة الاسلام وادعى مؤسسه انه نبي جديد اوحى الله اليه باحكام شرائع جديدة كالقاديانية والبابية والبهائية ونحوها . وهذه الفرق كلها خارجة عن الاسلام الصحيح لمخالفتها للاسلام عقيدة وشريعة .

ولهذه الفرق آراء في المسيح الموعود . ولضيق المقام اخترت الكلام عن آراء فرقتين فقط في هذه المسألة وهي آراء القاديانية والبهائية . لأن هاتين الفرقتين اشد خطرا على المسلمين اذ ان مؤسس كل منهما ادعى انه هو المسيح الذي وعد بنزوله في آخر الزمان . فضل بهما كثير من جهلاء الناس فلذلك أرى من الاحسن ان اعرض هنا آراء كل منهما في مسألة المسيح المنتظر ثم اناقشها لاثبات بطلانها .

أولا - رأى القاديانية في نزول المسيح :

نبذة عن القاديانية :

قبل الكلام عن رأى القاديانية في نزول المسيح أرى من الأحسن ان اتكلم بايجاز عن القاديانية ومؤسسها ليعلم القارئ حقيقة هذه الديانة ومدى انحرافها عن الاسلام وبعدها عن الطريق المستقيم .

القاديانية هي احدى الفرق الدينية الضالة التي ظهرت حوالي سنة ١٨٨٥ م والتي اسسها رجل اسمه " ميرزا غلام احمد القادياني " وسميت القاديانية لنسبتها الى " قاديان " احدى مدن مقاطعة بنجاب بالهند .

وقد ولد الميرزا غلام احمد " مؤسس القاديانية " كما يقول المودودى حوالى سنة ١٨٣٩م في "قاديان" في بيت من البيوت التي اشتهرت بولائها وخدمتها لسياسة الحكومة الانجليزية الاستعمارية والتي فرضت سيطرتها تلك الايام على شبه القارة الهندية(١) وكان "الميرزا غلام احمد" من أخلص المخلصين للحكومة الانجليزية . وامر الناس بطاعتها ومساندتها والغى الجهاد ضدها . يقول في كتابه "ترياق القلوب" صفحة ٥ كما نقله ابو الحسن الندوى(٢) :

(ولقد قضيت معظم عمرى في تأييد الحكومة الانجليزية و نصرتها

وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر "الانجليز" من الكتب والاعلانات والنشرات مالو جمع بعضها الى بعض لملأ خمسين خزانة . وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا . وكان هدفي دائما ان يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة ..) .

هكذا موقف الميرزا غلام احمد " مؤسس القاديانية " من الحكومة الانجليزية الاستعمارية . ولذلك يقول كثير من الكاتبين والمؤرخين ان القاديانية ما هي الا وليدة عملية للاستعمار الانجليزى . والتي كان هدفها تفريق كلمة المسلمين و تشتيت صفوفهم ووحدتهم واضعاف شوكتهم حتى لا يستطيعوا مقاومة الانجليز . فتحققت بذلك سياستها الاستعمارية .

و قد سلك الميرزا غلام احمد في دعوته الضالة بالتدريج . ففي بادئ الأمر اى في سنة ١٨٨٥م ادعى انه مجدد . ثم في سنة ١٨٩١ ادعى انه مهدى معهود وفي نفس السنة انه مسيح موعود ولكنه نبي متبع ،ثم في سنة ١٩٠١ ادعى انه نبي مستقل وأفضل من جميع الانبياء والمرسلين(٣) .

---

(١) راجع ماهي القاديانية للمودودى ص ٩
(٢) القاديانى والقاديانية ص ٩٦
(٣) انظر القاديانية احسان الهى ظهير ص ١٣٨

ويكفى بهذه الدعوى ان نحكم على هذا الرجل بكفره وارتداده عن الاسلام. لأن الله ختم انبياءه ورسله بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (١)

(ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما) .

وعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ان مثلى و مثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال انا اللبنة وانا ختم النبيين) رواه البخارى (٢) . وقد أخرج مسلم اربعة احاديث فى هذا المعنى فى صحيحه (٣) .

وعنه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وانه لا نبى بعدى وسيكون خلفاء .. الحديث) رواه البخارى (٤)

وبناء على هذه النصوص فمن ادعى النبوة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو كذاب . وقد اجمع علماء الأمة على تكفيره . قال المودودى (٥) :

(ونحن اذا نظرنا من هذه الجهة وجدنا علماء الأمة فى كل زمان وفى كل مكان بعد القرن الاول الى يومنا هذا

---

(١) سورة الاحزاب ٤٠

(٢-٣) البخارى ج ٤ "كتاب المناقب ٦١" "باب خاتم النبيين ١٨" ص ١٦٢-١٦٣ وانظر صحيح مسلم ج ٤ "كتاب الفضائل ٤٣" "باب خاتم النبيين ٧" ح ٢٠ - ٢٣ ص ١٧٩٠

(٤) البخارى ج ٤ "كتاب الانبياء ٦٠" باب ما ذكر عن بنى اسرائيل ٥٠" ص ١٤٤

(٥) ماهى القاديانية المودودى ص ١٩٢

مجمعين بكل معنى الكلمة على العقيدة بأنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم . وان كل من قام بعده بدعوة النبوة او صدقه في دعواه فهو كافر خارج عن دائرة الاسلام وجماعة المسلمين).

واما تعاليم القاديانية وعقائدها فانها انحرفت عن الحق والاسلام تمام الانحراف . ويكفينا ان نعرف هذا الانحراف على سبيل الاجمال بالنظر الى ما اشار اليه الميرزا غلام احمد " مؤسس القاديانية " نفسه عن دينهم وعقائدهم وشرائعهم حيث يقول :

(ان اسلافهم " اى المسلمين " غير اسلامنا والههم غير الهنا وحجهم غير حجنا ونحن مختلفون معهم في كل شئ) (١)

ويقول في موضع آخر :

(اننا نختلف معهم بذات الله وبالرسول الكريم وبالقرآن وبالصلاة والصيام والحج والزكاة وكل شئ) (٢)

ويبدو واضحا من هذا الكلام ان القاديانية ليست من الاسلام والقاديانيون ليسوا من المسلمين لأن عقائدهم وشرائعهم تخالف عقائد المسلمين وشرائعهم في كل شئ . فاذا كانت الديانة القاديانية مردودة والذين يدينون بها كافرون ومرتدون . لأن الله لا يقبل دينا الا الاسلام . قال الله تعالى (٣) :

(ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين) .

---

(١) القاديانية كلزار احمد مظاهري واصدقائه ص ١٠٥ نقلا عن " الفضل ٢١ آب ١٩١٧ .

(٢) نفس المصدر والصفحة نقلا عن " الفضل ٣٠ تموز ١٩٣١ .

(٣) سورة آل عمران ٨٥

وقال تعالى (١) :

(ان الدين عند الله الاسلام) .

وقد تكلم الاستاذ احسان الهى ظهير كلا ما مفصلا عن تعاليم القاديانيـــة وعقائدها واتى بالنصوص التى قالها زعماء القاديانية حول عقائدهم وتعاليمهم ومن اراد التوسع فيها فليراجع الى كتابه (٢)

رأى القاديانية فى نزول عيسى المسيح :

انكر القاديانيون نزول المسيح عيسى بن مريم فى آخر الزمان لأنه فى زعمهم قد مات ويقولون ان المسيح انتقل من فلسطين الى كشمير احـدى الولايات فى الهند وتوفى فيها ودفن هناك.

يقول الغلام احمد فى رسالته التى وجهها الى بلاد العرب كما نقله ابو الحسن الندوى (٣) :

(ثم مات* ودفن فى ارض قريبة من هذه الأقطار . وقبره موجود فى سرى نكر الكشمير الى هذا الزمان ومشهـــور بين العوام والخواص والاعيان ويزار ويتبرك به فاسئـــل اهلها العارفين ان كنت من المرتابين) .

وهذا الزعم باطل اطلاقا لأن المسيح عيسى بن مريم لم يقتل ولم يصلب ولم يمت بل رفعه الله الى السماء حيا كما مر ذكره .

ويعتقد القاديانيون ان المسيح الذى وعد به الرسول صلى الله عليه وسلم بنزوله فى آخر الزمان ليس مراد به المسيح عيسى بن مريم نفســـه .

---

(١) آل عمران ١٩

(٢) " القاديانية " ص ٩٤ - ١٢٣

(٣) القاديانى والقاديانية ص ٦٦ نقلا عن الرسالة العربية ص ٢٢

* اى مات عيسى عليه السلام .

ولكن المراد به هو مثيله وشبيهه . وكان المرزا غلام احمد عندهم هو مثيل المسيح . وهو الذى وعد به الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد ادعى الغلام احمد القاديانى انه مثيل المسيح وهو الموعود .

يقول فى كتابه " فتح الاسلام " كما نقله ابو الحسن الندوى (١) :

(ان لى شبها بفطرة المسيح وعلى اساس هذا الشبه الفطرى ارسل هذا العاجز باسم المسيح ليدك العقيدة الصليبية . فقد ارسلت لكسر الصليب وقتل الخنزير لقد نزلت من السماء مع الملائكة الذين كانوا عن يميني وعن شمالى) .

ويقول فى " توضيح مرام " كما نقله ابو الحسن الندوى (٢) أيضا :

(ان المسلمين والنصارى يعتقدون باختلاف يسير ان المسيح بن مريم قد رفع الى السماء بجسده العنصرى وانه سينزل من السماء فى عصر من العصور . وقد اثبتّ فى كتابى يعنى " فتح الاسلام" انها عقيدة خاطئة . وقد شرحت انه ليس المراد من النزول هو نزول المسيح بل هو اعلام عن طريق الاستعارة بقدوم مثيل المسيح وان هذا العاجز هو مصداق هذا الخبر حسب الاعلام والالهام) .

ويقول فى " مجموعة اعلانات الغلام ج ١٠ ص ١٨ كما نقله الاستاذ احسان الهى ظهير (٣) :

(اقسم بالله الذى ارسلنى والذى لا يفترى عليه الا الملعونون انه ارسلنى وجعلنى مسيحا موعودا) .

---

(١) القاديانى والقاديانية ص ٥٩ نقلا عن فتح الاسلام للغلام ص ٩
(٢) نفس المصدر والصفحة نقلا عن توضيح مرام للغلام ص ٢
(٣) القاديانية ص ١٩٩

و مثل هذه الدعوى كثير فى كتبه ومؤلفاته و نشراته حتى يكـــاد جميع الناس يعرفون ان هذا الدجال يدعى انه هو المسيح الموعود . وكان اتباعه يؤمنون بما ادعاه دون نظر و تفكير ،بل انهم كفّروا من لم يؤمن بمسيحيته .

يقول محمود بن المرزا غلام احمد :

(ان كل مسلم لم يبايع المسيح الموعود * حتى وان لم يكن سمع باسمه فهو كافر و خارج عن دائرة الاسلام) (١)

و نحن نقول على العكس من ذلك فمن يؤمن بمرزا غلام احمد ويبايعه ويدين بدينه فهو كافر و مرتد و خارج عن الاسلام لا شك فيه لان الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح و بين ان المسيح الذى سينزل فى آخر الزمان هو المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام لا غيره ولا مثيله كما زعمه القاديانيون و بين الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا علاماته وأوصافه بحيث اذا نزل فلا يشتبه فيه احد .

و نأتى هنا مجموعة من اوصاف المسيح الموعود و علاماته المقتبسة من الاحاديث فنقارنها مع اوصاف المرزا غلام احمد حتى يستبين بطلان دعواه فمن هذه الاوصاف والعلامات ما يلى :

١ - يكون المسيح الموعود ابن مريم لا غير ولا مثيله .

٢ - ينزل من السماء عند المنارة البيضاء شرقى دمشق فى ردائين اصفرين واضعا كفيه على أجنحة ملكين .

٣ - فبعد نزوله يقاتل الكفار فيموتون كلهم . ويجمع الناس على دين الاسلام .

---

* اى مرزا غلام احمد فان القاديانيين يعتقدون انه هو المسيح الموعود .

(١) " القاديانية " كلزار احمد مظاهرى واصدقائه ص ٦٦ نقلا عن آثينه صداقت لمحمود بن مرزا غلام احمد ص ٣٥

٤ - يكون حاكما عادلا يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب و يقتل الخنزير فيقع الا من على الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والبقر مع النمار والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات لا تضرهم .

٥ - يقتل الدجال بباب لد

٦ - في عهده يكثر المال حتى لا يبقى فقير يتسول الناس لكثرة نزول البركات والخيرات في زمنه ،

٧ - يرغب الناس في عهده في عبادة الله تعالى ويقدمونها على كل شيء سواها .

٨ - كان يحج في بيت الله الحرام مفردا او متمتعا او قارنا

٩ - يمكث في الارض اربعين سنة * ثم يموت فيصلى عليه المسلمون فيدفنونه في روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

هذه بعض اوصاف المسيح الموعود وعلاماته التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزوله في آخر الزمان ، فنجد ان هذه الاوصاف لا تصدق على المرزا غلام احمد شيئا لا قليلا ولا كثيرا .

---

* هذا من كلام الاستاذ احسان الهي ظهير . ولا ادري مراده بمكث عيسى اربعين سنة هل كان بعد نزوله او مجموع مكثه في هذه الارض قبل الرفع و بعد نزوله . ورأيي في هذا ان عيسى عليه السلام يمكث بعد نزوله سبع سنين . و مجموع مكثه في هذه الارض اربعون سنة اى ثلاث وثلاثون سنة قبل الرفع و سبع سنين بعد النزول ، وسيأتي بيان ذلك في آخر الفصل الثالث من الباب الرابع ان شاء الله

لأحسان الهي ظهير

(١) انظر " القاديانية " ص ٢٠٣ - ٢٠٤

فالميرزا غلام احمد ليس ابن مريم وليس اسمه عيسى ولا يكون نازلا من السماء ولا حاكما عادلا . ولا يقتل الدجال والكفار والخنزير ولا يكسر الصليب ولا يجمع الناس على دين الاسلام بل يشتت الأمة الاسلامية ولا يكثر المال ولا تقع الأمنة على الأرض في عهده . ولا يمكث في الارض اربعين سنة بل عاش فيها ثماني وستين سنة تقريبا . ثم عندما توفي لم يدفن في روضة الرسول صلى الله عليه وسلم بل دفن في المقبرة التي سماها بمقبرة الجنة في قاديان كما حكاه ابو الحسن الندوي (١) .

وقصارى القول ان جميع اوصاف المسيح الموعود وعلاماته التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم لا تنطبق على الميرزا غلام احمد اطلاقا فلذلك حكمنا بسهولة ان دعواه باطلة وضلالة فلا ينبغي للمسلم ان يغتر بها .

وكان " الغلام احمد " قد توقع ان الناس سينكرون دعواه لان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن المسيح الموعود لا تنطبق عليه . ولذلك حاول بقدر استطاعته اثبات صحة دعواه الباطلة بأي طريق كان ولو اضطر الى تأويلات غير معقولة ومن امثلة ذلك :

١ - انه لما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ان المسيح الموعود هو المسيح عيسى بن مريم لا ابن غيرها بدأ يتفلسف بفلسفة باطلة لاثبات نفسه انه ابن مريم . وقد كتب في بعض مؤلفاته كما نقله الاستاذ احسان الهي ظهير (٢) انه يقول :

(انا جعلت مريم وبقيت مريما سنتين ثم نفخ فيّ روح عيسى كما نفخ في مريم وحملت بصورة الاستعارة وبعد أشهر لم تتجاوز عشرة أشهر حولت عن مريم وصيرت عيسى .

---

(١) انظر القاديانية ابو الحسن الندوي ص ٢٩

(٢) القاديانية ص ٢٠٥ - ٢٠٦ نقلا عن شفينة نوح للغلام احمد ص ١٦

وبهذا الطريق صرت ابن مريم، و يقول الغلام ايضا في موضع آخر " ان الله سماني مريم التي حبلت بعيسى وانا المقصود من قوله تعالى في سورة التحريم (١) " ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا " لأني انا الوحيد الذي ادعيت اني مريم وانه نفخ في روح عيسى) (٢)

فلو سمع الاولاد هذا الكلام لضحكوا كثيرا من حماقة صاحب هذا الكلام . اذ كيف صدر هذا الكلام الخيالي من الرجل الذي يدعي النبوة وزعامة الدين . ثم يفرض على الناس ان يؤمنوا به ؟ فكيف يتصور في عقول الناس ان يصبح هذا الرجل الواحد ثلاثة اشخاص بطريق التحول -اي تحول " الميرزا الغلام احمد " الى مريم فحبلت بعيسى ثم تحولت مريم الحبلى الى عيسى فصار ابن مريم ؟ فهل يصح ان تكون عقيدة الدين مبنية على الخيال ؟ ان هذا شيء عجيب . فالعقلاء لا يقبلون هذا . ولكن مع الأسف ان بعض السفهاء الضالين يغتر بهذا الكلام و يعتقد ان " الغلام احمد " هو المسيح الموعود . فلا غرابة في هذا فان الله اخبر ان بعض الناس أضل من الحيوان قال الله تعالى (٣) :

(. . . اولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون) .

فالقاديانيون أضل من الحيوان لأنهم لا يستعملون مداركهم في التمييز بين الحق والباطل .

٢ - تأول الميرزا غلام احمد الرداثين الأصفرين اللذين يلبسهما المسيح عند نزوله كما جاء في الحديث بالعلة . يقول في كتابه " براهين احمديه " كما نقله ابو الحسن الندوي (٤) :

---

(١) سورة التحريم الاية ١٢

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٦ نقلا عن " حقيقة الوحي " في الهامش ص ٣٣٧ للغلام .

(٣) الاعراف ١٧٩

(٤) القاديانية والقاديانية ص ٦٢-٦٣ نقلا عن " براهين احمديه للغلام ص ٢٠١

(المراد بالرداء الاصفر لعلة ،وقد جاء فى الحديث ان المسيح ينزل وعليه ردائان أصفران وهذا شأنى ،فاننى أعانى علتين احداهما فى مقدم جسمى وهو الدوار الشديد الذى قد أخر به على الأرض ويضعف دوران الدم فى القلب وأغاف به على نفسى . والعلة الثانية فى اسفل الجسم وهى كثرة البول التى تسمى " الذيابطس" والذين يرفضوننى يؤمنون بأن المسيح يحمل هذه الاية من السماء وهى علتان احداهما فى مقدم الجسم والاخرى فى مؤخره) .

وهذا التأويل خطأ فاحش لأنه لا علاقة بين الرداء والعلة . فالرداء للتزيين وستر العورة والعيوب فالناس يحبونه . واما العلة فهى من عيوب الانسان والناس لا يحبونها . فبينهما فرق بعيد .

٣ - يقول الغلام احمد ان كلمة "دمشق" التى جاءت بالحديث حيث ان المسيح عيسى بن مريم سينزل فيها ليس مرادا بها على حقيقتها وانما استعملت استعارة. ويقول ايضا ان قرية قاديان مشابهة بدمشق. فأنزلنى الله فيها (١) . وفى الحديث ايضا ان المسيح عليه السلام سينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق . ولذلك فى سنة ١٩٠٣ اى بعد ادعائه المسيح الموعود باثنتى عشرة سنة بنى فى القاديان منارة سماها " منارة المسيح " ثم ادعى ان هذه المنارة هى التى ورد ذكرها فى الحديث بأن المسيح ينزل عليها (٢) .

---

(١) راجع القاديانى والقاديانية ابو الحسن الندوى ص ٦٠-٦٢ وفيها تكلم طويلا عن تفسير المرزا غلام احمد لكلمة " دمشق " واتى بنصوص كلام الغلام احمد نفسه .

(٢) انظر القاديانية احسان الهى ظهير ص ٢١١-٢١٢ وانظر القاديانى والقاديانية ابو الحسن الندوى ص ٦٣ - ٦٤ .

تلك هي من التأويلات والحيل التي ذهب اليها المرزا غلام احمد لاثبات نفسه انه هو المسيح الموعود ولكن يبدو انه كلما أتى بالتأويلات والحيل لاثبات صحة دعواه كلما ظهر بطلانه وبان كذبه لأن جميع التأويلات والحيل التي أتى بها ماهي الا مجرد خيالات واوهام باطلة لا يقبلها ذوو العقول السليمة .

ثانيا - رأي البهائية في نزول المسيح :

ما هي البهائية ؟

البهائية هو مذهب البابية الذي اسسه شاب عامي من تجار ايران اسمه علي محمد الشيرازي ١٢٣٥ - ١٢٦٦ هـ الملقب بالباب* وانما اطلق عليه البهائية لنسبته الى " بهاء الله " خليفة الباب مؤسس هذا الدين الجديد (١) ولما اعدم الباب في تبريز سنة ١٢٦٦هـ قام مقامه تلميذه وخليفته اسمه " الميرزا حسين علي المازندراني الملقب " ببهاء الله " ونافس اخاه " يحيى " الملقب " صبح ازل " رئاسة الفرقة البابية (٢)

---

* الباب في الاصطلاح الشيعي الشخص الذي يكون واسطة بين الشيعة الامامية وامامهم الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري الذي يقولون انه ولد سنة ٢٥٥ هـ والذي غاب " الغيبة الصغرى " في سرداب سامرا سنة ٢٦٠ هـ وهو ابن ست سنين ,وتقوم عقيدتهم على انه المهدي المنتظر (انظر دراسات عن البهائية والبابية ص ٦ للاستاذ محب الدين الخطيب) . وقد ادعى علي محمد الشيرازي الباب ثم المهدي . وبهذا الادعاء حكم عليه بالاعدام .

(١) دائرة المعارف القرن العشرين محمد فريد م ٣ ص ٣٧٥ بتصرف

(٢) راجع المذاهب المعاصرة الدكتور عبد الرحمن عميرة ص ٢٤٧ والبهائية محب الدين الخطيب ص ٢٣ -٢٥

وعندما تولى البهاء رئاسة البابية بدأ يغير وينسخ بعض تعاليم استاذه "الباب" فلتمه نسخ كتاب "البيان" الذى ألفه الباب وابطل كثيرا من تشريعاته وادرك ان بقاء البابية على حالتها يعرض الى الفناء. ولذلك ادار دفتها نحو وجهة جديدة. فخلط فيها الفلسفات الباطنية القديمة مع النظريات الصوفية فى الوحدة والحلول والفناء واستفاد فى هذه العملية المزجية من تعاليم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبالأخص تعاليم التوراة ... ثم الف كتابا سماه "الاقدس" وادعى انه وحى من الله (١) وبذلك ظهرت البهائية كانها ديانة مستقلة عن البابية لانها غيرت كثيرا من تعاليم البابية.

وقد قامت هذه النحلة على أساس انه ليس لله تعالى وجود مطلق باسمائه وصفاته التى وصف الله بها نفسه فى كتاب انبيائه. بل ان وجوده تعالى مفتقر الى مظاهر امره الذين جاءوا بزعمهم ليبشروا بمظهره الأجلى الذى لقبوه ببهاء الله. فبهاء الله عند البهائيين هو الرب الذى بشرت به الديانات كلها. وهو المشرع الأعلى الذى تنبأت بظهوره البوذية والبرهمية واليهودية والمسيحية والاسلام. وكل هذه الديانات وغيرها كانت بزعمه وزعمهم مقدمات لظهوره. والبهاء حسب زعمهم هو مظهر صفات الله فهو المتصف بها من دون الله وهو مصدر افعال الله. فهو فاعلها من دون الله، وهو المعنى بالقيامة وبالساعة الكبرى وهو وجه الله وهو جمال الله البهى الأبهى، وهو الموعود فى البشارات التى سبقت فى كل الاديان ولا اله الا هو ولا قيامة الا قيامه ولا آخرة الا بدايته ولا دين الا دينه (٢).

---

(١) راجع حقيقة البابية والبهائية الدكتور محسن عبد الحميد ص ١٤٣ - ١٤٤ بتصرف واختصار.

(٢) البهائية محب الدين الخطيب ص ٣ بتصرف.

هذا وقد ادعى الميرزا حسين على البهاء انه هو الاله ، وصرح بألوهيته تصريحا قاطعا لا يبقى مجالا للتأويل . فيقول كما جاء فى " حقيقة البابية والبهائية للدكتور محسن عبد الحميد "(١) :

(يا ملأ الانشاء ! اسمعوا نداء مالك الاسماء انه يناديكم من شطر سجنه الاعظم انه لا اله الا هو المقتدر المتكبر المتسخر المتعالى العليم الحكيم انه لا اله الا هو المقتدر على العالمين) .

ويقول الدكتور محسن عبد الحميد (٢) :

(والميرزا يؤكد هذه المزاعم الخطيرة من ادعاء الألوهية والمشيئة المطلقة فى اكثر ما كتب كالأيقان والاقدس والاشراقات وغيرها .)

ويصرح البهائيون فى كتبهم بأن الميرزا حسين البهاء هو ربهم . يقول داعيتهم الميرزا الجرفادقان :

(اما لكتاب الالهى - اى الوحى السماوى - فمع ما كانت تصادف ربنا الالهى طول ايام ظهوره من البلايا والمصائب الجسيمة .... الخ) (٣)

ولا شك ان فكرة الربوبية عند البهائية اقتبست من نظرية وحدة الوجود والحلول المشهورة عند كثير من غلاة الصوفية وبعض الفرق الباطنية . ولا غرابة فى هذا فان " البهاء " كان صوفيا فى بداية حياته .

وهذه الافكار الضالة والنظرية الباطلة الدخيلة فى المجتمع الاسلامي هى التى شوهت جمال عقيدة التوحيد البسيطة الخالية من التعقيد والالتواء وزاغ

---

(١) ص ١٥٩ نقلا عن مفتاح باب الابواب الدكتور ميرزا محمد مهدى خان ص ٤١٩ .

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المرجع ص ١٦٠ نقلا عن كتاب " الحجج الالهية " المطبوع فى القاهرة سنة ١٩٢٥م

بها بعض المسلمين عن الاسلام الصحيح واخرجتهم من دائرة الشريعة الغراء.

فالله تعالى منزه عن الحلول والاتحاد وهو الفرد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد وهو غنى عن العالمين . قال الله تعالى (١):

(قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)

وقال تعالى (٢):

(قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون)

وقال تعالى (٣):

(وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك).

وبناء على هذه الايات ان من اعتقد ان الله جل فى شخص او فى شىء او اتحد معه كما اعتقده البهائيون و بعض المتصوفين المتطرفين و غيرهم فقد أشركوا بالله تعالى . فهم كافرون خارجون عن دائرة الاسلام. و هم مخلدون فى النار والعياذ بالله.

---

(١) سورة الاخلاص ١-٤

(٢) سورة الانعام ١٩

(٣) سورة الاسراء ١١١

عقيدة البهائية فى المسيح الموعود :

تعتقد البهائية ان المسيح عيسى بن مريم قد مات صلبا على ايدى اليهود * كما اعتقدته النصارى واليهود - وقد مضى سبيله كما مضى من الناس جميعا . يقول عبد البهاء عباس كما نقله الدكتور محسن عبد الحميد (١) :

(ولما اشرقت كلمة الله من اوج الجلال بحكمة الحق المتعال فى عالم الجسد . اعتدى عليها فى الجسد اذ وقعت فى ايدى اليهود أسيرة لكل ظلوم وجهول وانتهى الأمر بالصلب) .

وبناءا على ذلك فان المسيح عيسى بن مريم لن ينزل ولن يأت حسب زعمهم. ولكن " البهاء " يزعم ان روحه تقمصت به فهو هو بمعناه دون مبناه وبروحه دون جسده (٢) وقد ادعى انه هو المسيح الموعود الذى ظهر الى الوجود فيقول فيما زعمه انه الالواح كما ذكره الدكتور محسن عبد الحميد (٣) :

(قل يا ملأ القرآن قد أتى الموعد الذى وعدتم به فى الكتاب اتقوا الله ولا تتبعوا كل مشرك اثيم . انه ظهر على شأن لا ينكره الا من فشته اصحاب الاوهام وكان من المدحضين . قل قد ظهرت الكلمة التى بها فرت نقباؤكم وعلماؤكم) .

---

* لقد قلت مرارا ان هذه العقيدة باطلة لأن المسيح عيسى بن مريم لم يقتل ولم يصلب فالله رفعه الى السماء حيا روحا وجسدا .

(١) حقيقة البابية والبهائية ص ٢٠٤ نقلا عن " مفاوضات عبد البهاء " ص ١٠٢

(٢) انظر الحراب فى صدر البهاء والباب محمد فاضل ص ٣٣٦- ٣٣٧

(٣) حقيقة البابية والبهائية ص ١٥٣ نقلا عن " مفتاح باب الابواب " ص ٣٨٦ .

ولم يقف هذا الدجال الكذاب عند ادعاء الموعودية فحسب بل ادعى انه المسيح نفسه نزل من السماء بالحق . ويقول :

(قل يا قوم قد جاء الروح مرة اخرى ليتم ما قال من قبل . كذلك وعدتم به في الالواح ان كنتم من العارفين . انه يقول كما قال وانفق روحه كما انفق اول مرة حبا لمن في السموات والأرض" ويقول :

(ثم اعلم بأن الذى صعد الى السماء قد نزل بالحق ، وبه مرت روائح الفضل على العالم. وكان ربك على ما اقول شهيدا . قد تعطر العالم برجوعه وظهوره) (١)

وقد آمن اتباعه بان الميرزا حسين على البهاء هو المسيح الذى وعد بنزوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وحاول هو والبهائيون لاثبات صحة دعواهم بمختلف الاساليب كما فعله القاديانى والقاديانيون كما ذكرته من قبل . ولكن الميزان فى اثبات صحة دعواهم او بطلانها هى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . والان نعود مرة ثانية الى اوصاف المسيح الموعود وعلاماته كما جاءت فى الأحاديث كما ذكرته من قبل . ثم نقارنها مع اوصاف "الميرزا حسين على البهاء" حتى يستبين بطلان دعواه .

١ - المسيح الموعود اسمه عيسى بن مريم وليس له أب ،ينزل من السماء بعد رفعه حيا من الارض . واما "البهاء" فليس اسمه عيسى بل اسمه الميرزا حسين على . ويلقب "بالبهاء" وله أب اسمه الميرزا عباس بزرك المازندرانى" وقد ولد "البهاء" سنة ١٢٣٣هـ (٢) اى ليس منزلا من السماء .

---

(١) نفس المرجع ص ١٥٣ نقلا عن "مفتاح باب الابواب" ص ٣٨٢

(٢) انظر نسب "البهاء" و تاريخ ميلاده فى المذاهب المعاصرة الدكتور عبد الرحمن عميرة ص ٢٦٦ .

٦ - من علامات المسيح الموعود انه يقول عن نفسه : انى عبد الله ورسوله كما قال تعالى حكاية عنه (١) :

(قال انى عبد الله آتانى الكتاب و جعلنى نبيا)

واما الميرزا حسين على البهاء فقد كفر بالله تعالى بادعاء نفسه انه هو الله كما مر ذكره.

ونظرا الى ما تقدم من المقارنة حكما حكما قاطعا لا مجال فيه للتعقيب ان دعوى البهاء انه هو المسيح الذى وعد به الرسول صلى الله عليه وسلم بمجيئه فى آخر الزمان باطلة . لانّ جميع اوصاف المسيح وعلاماته المبينة فى الاحاديث لم تنطبق على "البهاء" ولو كان واحدا منها . بل كانت اوصافه مغايرة لأوصاف المسيح بن مريم المبينة فى الاحاديث تمام المغايرة .

واما دعوى "البهاء" ان روح عيسى بن مريم تقمصت به فهو هو بمعناه دون مبناه وكون المسيح الموعود بروحه دون جسده . فهذه الدعوى مردودة لأمرين :

الأول : ان المسيح عيسى بن مريم لم يقتل ولم يصلب وانما رفع الى السماء حيا روحا وجسدا . كما قال الله تعالى (٢) :

(وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ،وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) .

وسينزل فى آخر الزمان كذلك بالروح والجسد معا كما جاء فى الاحاديث لا بالروح فقط كما يقول "البهاء".

---

(١) سورة مريم ٣٠
(٢) سورة النساء ١٥٧

الثانى : كون التقمص منافيا للشرائع السماوية كل المنافاة و مغايرا لها تمام المغايرة ولم يقل به الا من اضله الله كعبدة الأوثان والفرق الباطنية الضالة واشباههم (١) .

و بناء على ما تقدم كله تبين ان "الميرزا حسين على البهاء" واتباعه الذين يؤمنون بدعواه والذين يدينون بدينه كلهم خارجون عن دائرة الاسلام - والعياذ بالله - لأن جميع دعاويه و تعاليمه كلها باطلة خارجة عن تعاليم الاسلام . فليحذر المسلمون من الوقوع فى شبكته هو وامثاله لكى لا تزيغ عقيدتهم عن سواء السبيل .

---

(١) انظر "الحراب فى صدر البهاء والباب" محمد فاضل ص ٣٣٧ .

الفصل الثالث

عقيدة المسلمين في نزول المسيح وموضع نزوله والأدلة على ذلك

مسألة نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من السماء الى الأرض في آخر الزمان من المسائل التي اتفق عليها جمهور المسلمين قديما وحديثا ولم يخالف في ذلك الا الجهمية وبعض المعتزلة ونحوهم من المتأخرين. ومن الحكمة في نزوله "والله اعلم" انه لابطال زعم اليهود والنصارى الذين قالوا بقتل المسيح وصلبه ولازالة الفتن التي اثارها الدجال واتباعه. فينزل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيقتل الدجال واتباعه من الكفار ويجمع الناس كلهم على دين واحد وهو الاسلام ويكون حاكما عادلا يحكم بشريعة الاسلام. فيتمتع بعدله جميع الانسان والحيوان وتصير الأرض آمنة حتى ترتع الاسود مع الابل والبقر مع النمارة والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات لا تضرهم ويمكث في الأرض بعد نزوله عدة سنوات ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه في روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا هو مجمل عقيدة المسلمين في نزول المسيح عيسى بن مريم في آخر الزمان واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة واجماع الأمة. وفيما يلي بيان ذلك مفصلا.

أولا - الكتاب:

كان القرآن الكريم لم يصرح بنزول المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام في آخر الزمان. ومع ذلك فان هناك بعض الايات تشير اشارة واضحة الى ذلك منها قوله تعالى(١):

(وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا).

---

(١) سورة النساء ١٥٩

والمعنى لا يبقى احد من اهل الكتاب الا آمن بعيسى بعد نزوله قبل موت عيسى عليه السلام فالضمير فى " قبل موته " عائد الى عيسى بن مريم عليهما السلام وهذه اشارة الى ان عيسى ما زال حيا فى السماء وسينزل فى آخر الزمان هذا هو رأى معظم المفسرين والذى اختاره ابن جرير وابن كثير .

وقد ذكر ابن جرير فى تفسيره ان اهل التأويل اختلفوا فى تفسير ذلك قال بعضهم ان معنى " وان من اهل الكتاب الا ليؤ منن به " يعنى بعيسى " قبل موته " يعنى قبل موت عيسى . والمعنى ان جميع اهل الكتاب يؤ منون به بعد نزوله فتصير الملل كلها واحدة وهى ملة الاسلام وهذا الرأى مروى عن ابن عباس وابى مالك والحسن وقتادة وغيرهم .

وقال آخرون : يعنى بذلك وان من اهل الكتاب الا ليؤ منن بعيسى قبل موت الكتابى لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه . وهذا مروى عن مجاهد ومحمد بن سيرين والضحاك وغيرهم . والرأى الثالث يقول معنى ذلك وان من اهل الكتاب الا ليؤ منن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابى وهذا مروى عن عكرمة (١) . ثم رجح ابن جرير الرأى الأول حيث يقول (٢) :

(واولى الاقوال بالصحة والصواب قول من قال تأويل ذلك " وان من اهل الكتاب الا ليؤ منن بعيسى قبل موت عيسى) .

وقد أيد هذا الرأى ابن كثير وقال فى تفسيره (٣) :

(ولا شك ان هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح لأن المقصود من سياق الآى فى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك

---

(١) انظر تفسير ابن جرير ج ٦ ص ١٨-٢١ باختصار
(٢) نفس المرجع ص ٢١
(٣) ج ١ ص ٥٧٧

فأخبر الله انه لم يكن الأمر كذلك وانما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لم يتبينوا ذلك ثم انه رفعه اليه . وانه باق حي وانه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها ان شاء الله قريبا فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من احد من اهل الاديان بل لا يقبل الا الاسلام او السيف فأخبرت هذه الاية الكريمة انه يؤمن به جميع اهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم).

وقد روى ابو بكر الآجري في كتاب الشريعة(١) عن ابي مالك في قوله عز وجل " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته " قال : ذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام لا يبقى أحد من اهل الكتاب الا آمن به " وروى ابو بكر الاجري ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به " يعني انه سيدركه اناس من اهل الكتاب حتى يبعث عيسى بن مريم عليه السلام فيؤمنوا به " ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ".

وكان ابو هريرة رضي الله عنه ايضا رأى ان المقصود من الاية هو نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان فيؤمن به جميع اهل الكتاب . وقد اخرج البخاري عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) :

(والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال

---

(١) انظر ص ٣٨١ - ٣٨٢

(٢) البخاري ج ٤ " كتاب احاديث الانبياء " ٦٠ " باب نزول عيسى بن مريم ٤٩ ص ١٤٣ .

حتى لا يقبله احد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة رضى الله عنه واقرءوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) .

قال النووى فى شرح مسلم (١) :

(وأما قوله " ثم يقول ابو هريرة اقرءوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته " ففيه دلالة ظاهرة على ان مذهب ابى هريرة في الاية ان الضمير فى " موته " يعود على عيسى عليه السلام ومعناها وما من اهل الكتاب يكون في زمن عيسى عليه السلام الا آمن به وعلم انه عبد الله وابن امته وهذا مذهب جماعة من المفسرين).

مما تقدم تبين ان قوله تعالى " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته " يدل على نزول عيسى فى آخر الزمان ويؤمن به جميع اهل الكتاب كما يراه اكثر كبار المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهذا هو الرأى الصحيح والله اعلم .

ومنها قوله تعالى (٢) :

(ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل . ولو نشأ لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج٢ ص ١٩١

(٢) سورة الزخرف ٥٧ -٦١

و محل الشاهد في هذه الايات قوله تعالى " وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها " وقد اختلف اهل التأويل في " الهاء " في قوله " وأنه " ومـــا المعنى بها فقال بعضهم انها تعود الى القرآن . و معنى الكلام وان هذا القرآن لعلم للساعة يعلمكم بقيامها و يخبركم عنها واهوالها ،و هذا مروى عن الحسن . وعن قتادة قال : كان الحسن يقول : " وانه لعلم للساعة " هذا القرآن . والرأى الثانى ان " الهاء " تعود الى عيسى بن مريـــم و معنى الكلام : ان عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة لانْ ظهوره من اشراطها . و هذا هو رأى كثير من الصحابة والتابعين . وقد اخرج ابن جرير بطرق مختلفة عن ابن عباس و مجاهد وقتادة والسدى والضحاك وابن زيد رضوان الله عنهم في قوله تعالى " وانه لعلم للساعة " اى خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة علم للساعة (١) .

والرأى الثانى هذا هو الصحيح . لان سياق الاية في ذكر عيسى بن مريم فرجوع الضمير اليه أقوى وأنسب . ومعنى الاية : ان عيسى عليه السلام لدليل على قيام الساعة و ذلك عند نزوله في آخر الزمان . لانْ نزوله شرط من اشراطها . وقد اخرج الحاكم(٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله عز وجل " وانه لعلم للساعة " قال خروج عيسى ابن مريم " وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى في تلخيصه .

وقال الزمخشرى في تفسيره(٣) :

("وانه " وان عيسى عليه السلام "لعلم الساعة " اى شرط من اشراطها تعلم به . فسمى الشرط علما لحصول العلـــم بـه) .

---

(١) انظر تفسير ابن جرير ج ص ٩٠-٩١ بتصرف واختصار
(٢) انظرالمستدرك و تلخيصه ج ٢ كتاب التفسير ص ٤٤٨
(٣) تفسير الكشاف ج٣ ص ٤٩٤

وكان ابن كثير ايضا رأى ان الضمير في " وانه لعلم للساعة " عائد الى عيسى بن مريم عليهما السلام . وقال في تفسيره بعد ان اورد آراء المفسرين في معنى الآية (١) :

(بل الصحيح انه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق في ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك و تعالى " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته " اى قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام " ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا " ويؤيد هذا المعنى القرأة الاخرى " وانه لعلم " اى امارة و دليل على وقوع الساعة) .

و منها قوله تعالى (٢) :

(اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة و من المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا و من الصالحين) .

الشاهد هنا قوله " ويكلم الناس في المهد وكهلا " وقد فسر بعض المفسرين ان عيسى عليه السلام كلم الناس في المهد حينما برأ أمه مما رماها به قومها ثم سيكلمهم كهلا بعد نزوله من السماء في آخر الزمان .

قال ابو العباس كما ذكره القرطبي في تفسيره (٣) :

(كلمهم في المهد حين برأ امه فقال " انى عبد الله الآية " واما كلامه وهو كهل فأذا انزله الله تعالى " من السماء " انزله على صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو الكهل فيقول لهم :

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٣٢

(٢) سورة آل عمران ٤٥-٤٦

(٣) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٩١

" انى عبدالله " كما قال فى المهد) .

واخرج ابن جرير فى تفسيره (١) عن ابن زيد فى قوله تعالى :

(" ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين " قال قد كلمهم عيسى فى المهد وسيكلمهم اذا قتل الدجـــال وهو يومئذ كهل) .

وجاء فى قصص الأنبياء للثعلبى قال (٢) :

(وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام فى القرآن ؟ قال نعم قوله " وكهلا " وهو لم يكـــن كهلا فى الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء) .

ومنها قوله تعالى (٣) :

(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحـــرب أوزارها) .

والمعنى اذا لقيتم الكفار فاضربوا اعناقهم وافعلوا باسراهم كما بينه الله لكم حتى تضع الحرب اوزارها . وقد فسر بعض المفسرين بأن المراد بالغايـــة " حتى " فى قوله " حتى تضع الحرب أوزارها " اى الى خروج عيسى عليه السلام فى آخر الزمان . وممن قال بهذا مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما .

وقد أخرج ابن جرير عن مجاهد قوله (٤) :

(" حتى تضع الحرب اوزارها " قال : حتى يخرج عيسى بن مريم فيسلم كل يهودى ونصرانى وصاحب ملة وتأمن الشاة من الذئب ولا تقرض فأرة جرابا وتذهب العداوة عن الاشياء كلها وذلك ظهور الاسلام على الدين كله . .)

---

(١) تفسير الطبرى ج٣ ص ٢٧٢-٢٧٣

(٢) ص ٣٦٣

(٣) سورة محمد ٤

(٤) تفسير ابن جرير ج٢٦ ص ٤٢

واخرج عبد بن حميد عن سعيد بن جبير رضى الله عنه " حتى تضع الحرب اوزارها " قال : خروج عيسى بن مريم عليه السلام " ذكره السيوطى فى الدر المنثور (١) .

وقال البغوى فى تفسيره (٢) :

(ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل الملل كلها فى الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكـــون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليهما السلام) .

تلك هى من الآيات التى تشير الى نزول عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان كما يراه كثير من المفسرين .

ثانيا - الاحاديث والآثار :

واما الاحاديث فكثيرة جدا وقد تواترت عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه اخبر بنزول المسيح عيسى بن مريم فى آخر الزمان . وكذلك الاثار عن الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم وسنذكر فيما يلى بعضـــــا منهـــا :

١ - عن ابى هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم :

(والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضـــــع

---

(١) الدر المنثور للسيوطى ج ٦ ص ٤٧

(٢) انظر فى هامش تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٤٩٣ - ٤٩٨ .

الجزية و يفيض المال حتى لا يقبله احد) * رواه البخاري و مسلم والترمذي واحمد واللفظ للبخاري (١)

٢ - وعن ابي هريرة ايضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم تابعه عقيل والأوزاعي) رواه البخاري و مسلم واحمد واللفظ للبخاري (٢) .

٣ - وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير و يضع الجزية و يفيض المال حتى لا يقبله احد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ** ثم يقول ابو هريرة رضي الله عنه واقرأوا

---

* شرح مفردات الحديث : " ليوشكن " اي ليقربن اي لا بد من ذلك سريعا " حكما مقسطا " اي حاكما عادلا والمعنى انه ينزل حاكما بهذه الشريعة فان هذه الشريعة باقية لا تنسخ فيكون عيسى حاكما من حكام هذه الأمة " فيكسر الصليب و يقتل الخنزير " اي يبطل دين النصرانية بكسر الصليب حقيقة ويحرم اقتناء الخنزير واكله وانه نجس " ويضع الجزية " والمعنى ان الدين يصير واحدا فلا يبقى احد من اهل الذمة يؤدي الجزية " ويفيض المال " اي يكثر بسبب نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم . انظر فتح الباري ج ٦ ص ٤٩١-٤٩٢ .

(١) موضع الحديث . البخاري ج ٣ " كتاب البيوع ٣٤ " باب قتل الخنزير ١٠٢ ص ٤٠ و مسلم م ١ " كتاب الايمان ١ " باب نزول عيسى ٧١ ص ١٣٥ " سنن الترمذي ج ٤ كتاب الفتن ٣٤ " باب ما جاء في نزول عيسى ٥٤ ص ٥٠٦ و مسند الامام احمد م ٢ ص ٢٧٣ .

(٢) البخاري ج ٤ " كتاب احاديث الانبياء " ٦٠ باب نزول عيسى ٤٩ ص ١٤٢ ومسلم م كتاب الايمان (١) باب نزول عيسى بن مريم ٧١ ص ١٣٦ ومسند احمد م ٢ ص ٤٩٤ .

** قوله " حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها " هذا كناية عن صلاح الناس وشدة ايمانهم واقبالهم على الخير . فهم يؤثرون الركعة الواحدة على جميع الدنيا . والسجدة تطلق ويراد بها الركعة انظر فتح الباري ج ٦ ص ٤٩٢ .

ان شئتم " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا") (١) رواه البخارى (٢) .

٤ - وعنه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) رواه البخارى وابن ماجة واللفظ للبخارى (٣) .

٥ - وعنه رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص* فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعوَنّ "وليدعوُن" الى المال فلا يقبله أحد) رواه مسلم واحمد واللفظ لمسلم (٤) .

٦ - وعنه رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد ذكر خروج الدجال :

(... فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف اذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فأمهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك. ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته) رواه مسلم (٥)

---

(١) سورة النساء ١٥٩

(٢) البخارى ج ٤ "كتاب احاديث الانبياء ٦٠" باب نزول عيسى ابن مريم ٤٩ ص ١٤٣ .

(٣) البخارى ج ٣ " كتاب المظالم ٤٦ " "باب كسر الصليب ٣١" ص ١٠٧ وابن ماجة كتاب الفتن ٣٦ " باب فتنة الدجال ٣٣ ص ١٣٦٣

(*) "القلاص" وهى من الابل ومعناه ان يزهد فيها ولا يرغب فى اقتنائها لكثرة الاموال .

(٤) مسلم م ١ " كتاب الايمان ١ باب نزول عيسى ١٧١ ص ١٣٦ ومسند احمد م ٢ ص ٤٠٤

(٥) مسلم م ٤ " كتاب الفتن ٥٢ " باب فتح قسطنطينية ٩ ص ٢٢٢١

٧ - وعنه ايضا رضى الله عنه - يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(والذى نفس بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجا او معتمرا او ليثنيهما *) رواه مسلم واحمد واللفظ لمسلم (١) .

٨ - وعنه رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(الانبياء اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد وانا اولى الناس بعيسى بن مريم لانه لم يكن بينى وبينه نبى وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه رجلا مربوعا الى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام فيهلك الله فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون) رواه احمد وابوداود والحاكم واللفظ لأحمد (٢) . وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى تلخيصه .

٩ - وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد) رواه احمد

---

* معانى المفردات : "بفج الروحاء" هو بين مكة والمدينة وكان طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر والى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع . (٤) "ليثنيهما" معناه يقرن بينهما . انظر مسلم فى الهامش ج٢ ص ٦١٥

(١) مسلم ج ٢ كتاب الحج ١٥ باب اهلال النبى صلى الله عليه وسلم وهديه ٣٤ ص ٦١٥ واحمد م ٢ ص ٢٧٢

(٢) مواضع الحديث : مسند احمد م٢ ص ٤٠٦ وابوداود ج ٤ كتاب الملاحم باب خروج الدجال ص ١١٨ والمستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبى ج ٢ كتاب التاريخ ص ٥٩٥

والحميدى فى مسنديهما (١) .

وفى رواية اخرى للحميدى عن ابى هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) :

(يوشك ان ينزل ابن مريم فيكم امام هدى وقاض عدل يكسر الصليب ويقتل الخنزير و يضع الجزية و يفيض المال حتى لا يقبله احد) .

١٠ - وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ينزل عيسى بن مريم اماما عادلا و حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير و يرجع السلم ويتخذ السيوف مناجل * وتذهب حمة كل ذات حمة ** وتنزل السماء رزقها و تخرج الأرض بركتها حتى يلعب الصبى بالثعبان فلا يضره ويراعى الغنم الذئب فلا يضرها ويراعى الأسد البقر فلا يضرها) . رواه احمد (٣) واسناده جيد قوى كما ذكره ابن كثير فى النهاية .

١١ - وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير و يمحو الصليب و تجمع له الصلاة و يعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها او يعتمر او يجمعهما وقال و تلا ابو هريرة " وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا" (٤) فزعم حنظلة ان ابا هريرة قال يؤمن به قبل موت عيسى فلا ادرى هذا كله حديث النبى صلى الله عليه وسلم اوشىء قاله ابو هريرة) رواه احمد (٥) .

---

(١) مسند الامام احمد م ٢ ص ٢٤٠ و مسند الحميدى ج ٢ ص ٤٦٨

(٢) مسند الحميدى ج ٢ ص ٤٦٩

* المناجل جمع منجل و هو الآلة التى يقطع بها الحشيش ويحصد بها الزرع والمراد ان الناس يتركون الجهاد و يشتغلون بالحرث والزراعة .

** و تذهب حمة كل ذات حمة ، الحمة السم اى ينزع سم كل دابة ذات سم انظر اتحاف الجماعة للتويجرى ص ٢٣٣

(٣) مسند الامام احمد م ٢ ص ٤٨٢ -٤٨٣ وانظر النهاية ج ١ ص ١٣٨

(٤) سورة النساء ١٥٩

(٥) مسند الامام احمد م ٢ ص ٢٩٠

١٢ - وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يوشك المسيح عيسى بن مريم ان ينزل حكما مقسطا واماما عدلا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب و تكون الدعوة واحدة - فاقرؤه او اقرئه السلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثه فيصدقنى فلما حضرته الوفاة قال اقرؤه منى السلام) رواه أحمد (١) .

قال الهيثمى (٢) وفيه كثير بن زيد وثقه احمد و جماعة وضعفه النسائى وغيره و بقية رجاله ثقات .

١٣ - وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ليهبطن عيسى بن مريم حكما عدلا واماما مقسطا وليسلكن فجا حاجا او معتمرا او بنيتهما وليأتين قبرى حتى يسلم علىّ ولأردن عليه يقول ابو هريرة اى بنى أخى ان رأيتموه - فقولوا ابو هريرة يقرئك السلام) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبى فى - تلخيصه (٣)

١٤ - وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يوشك من عاش منكم ان يلقى عيسى بن مريم اماما مهديا وحكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير و يضع الجزية و تضع الحرب اوزارها) رواه احمد واسناده صحيح كما ذكره حمود عبد الله التويجرى فى اتحاف الجماعة (٤)

---

(١) مسند الامام احمد م٢ ص ٣٩٤

(٢) مجمع الزوائد ج٨ ص ٥

(٣) المستدرك للحاكم و تلخيصه للذهبى ج٢ كتاب التاريخ ص ٥٩٥

(٤) مسند الامام احمد م٢ ص ٤١١ وانظر " اتحاف الجماعة " ص ٢٣١

١٥ - وعن جابر بن عبدالله يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

(لا تزال طائفة من امتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة . قال فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول اميرهم تعال صل لنا فيقول : لا ان بعضكم على بعض امراء تكرمة الله هذه الأمة) رواه مسلم واحمد وفى رواية أخرى لأحمد عن ابى هريرة مثل المعنى) واللفظ لمسلم.(١)

١٦ - وعن جابر بن عبدالله ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن الدجال وفيه قال :

(... ثم ينزل عيسى بن مريم فينادى من السحر فيقول يا أيها الناس ما يمنعكم ان تخرجوا الى الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل جنى فينطلقون فاذا هم بعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم فاذا صلى صلاة الصبح خرجوا اليه قال فحين يرى الكذاب ينماث كما ينماث الملح فى الماء فيمشى اليه فيقتله حتى ان الشجرة والحجر ينادى يا روح الله هذا يهودى فلا يترك ممن كان يتبعه احدا الا قتله) رواه احمد باسنادين رجال احدهما رجال صحيح كما ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢)

---

(١) مسلم م ١ " كتاب الايمان (١)) (باب نزول عيسى ٧١) ومسند الامام احمد م ٣ ص ٣٤٥ و ص ٣٨٤

(٢) مسند الامام احمد م ٣ ص ٣٦١ - ٣٦٨ وانظر مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣٤٤ .

١٧ - وعن حذيفة بن السيد الغفاري قال :

(اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون ؟ قالوا نذكر الساعة " قال "انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم) رواه مسلم وابو داود وابن ماجه واللفظ لمسلم وروى ايضا بهذا المعنى الطبراني بطرق مختلفة في معجم الكبير (١)

١٨ - وعن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فذكر الحديث وفيه قال :

(... فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين * واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان **كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لـــد***

---

(١) صحيح مسلم م٤ كتاب الفتن واشراط الساعة ٥٢ باب في الايات التي تكون قبل الساعة ١٣ ص ٢٢٢٥ وسنن ابي داود ج ٤ كتاب الملاحم باب امارات الساعة ص ١١٥ وسنن ابن ماجة ج ٢ كتاب الفتن ٣٦ باب الايت ٢٨ ص ١٣٤٧ وانظر المعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١٩٠

* " مهرودتين " اي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران .

** " تحدر منه جمان كاللؤلؤ " الجمان هي حبات من الفضة على هيئة اللؤلؤ الكبار . والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه فسمى الماء جمان لشبهه به في الصفاء . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٦٧ .

*** " باب لد " اللد بضم اللام وتشديد الدال وهو بلدة قريبة من بيت المقدس انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٦٨ .

فيقتله . . . الحديث) رواه مسلم واحمد وابن ماجه وابو داود واللفظ لمسلم (١) .

١٩ - عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يخرج الدجال فى امتى فيمكث اربعين لا ادرى اربعين يوما او اربعين شهرا او اربعين عاما .. فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض احد في قلبه مثقال ذرة من خير او ايمان الا قبضته حتى لو ان احدكم دخل فى كبد *جبل لدخلته عليه تقبضه . . . الحديث) رواه مسلم واحمد واللفظ لمسلم (٢)

٢٠ - عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(لقيت ليلة اسرى بى ابراهيم وموسى وعيسى قال فتذاكروا امر الساعة فردوا امرهم الى ابراهيم فقال لا علم لى بها فردوا الامر الى موسى فقال لا علم لى بها فردوا الأمر الى عيسى فقال اما وجبتها فلا يعلمها احد الا الله ذلك وفيما عهد الىّ ربى عز وجل ان الدجال خارج قال ومعى قضيبان فاذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله حتى ان الحجر والشجر ليقول يا مسلم ان تحتى كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم واوطانهم . . الحديث) رواه احمد وابن

---

(١) صحيح مسلم م٤ كتاب الفتن واشراط الساعة ٥٢ باب ذكر الدجال ٢٠ ص ٢٢٥٠ -٢٢٥١ ومسند الامام احمد م٤ ص ١٨٢ . وسنن ابن ماجة ج٣ كتاب الفتن ٣٦ باب فتنة الدجال ٣٣ ص ١٣٥٦-١٣٥٩ وسنن ابى داود ج٤ كتاب الملاحم باب خروج الدجال ص ١١٧

* "فى كبد جبل" اى وسطه وداخله وكبد كل شئ وسطه . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج١٨ ص ٧٦

(٢) مسلم م٤ كتاب الفتن واشراط الساعة ٥٢ باب خروج الدجال ومكثه فى الأرض ٢٣ ص ٢٢٥٨ ومسند الامام احمد م٢ ص ١٦٦ .

ماجه والحاكم فى مستدركه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى تلخيصه(١) . واللفظ لأحمد .

٢١ - عن ابى امامة الباهلى قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال . فذكر الحديث بطوله وفيه قال :

(فقالت ام شريك بنت ابى العكر يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال " هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس وامامهم رجل صالح . فبينما امامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح اذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح فرجع ذلك الامام ينكص يمشى القهقرى ليتقدم عيسى يصلى بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فانها لك أقيمت فيصلى بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون الف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج . فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء . وينطلق هاربا ويقول عيسى عليه السلام ان لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شىء مما خلق الله يتوارى به يهودى الا انطق الله ذلك الشىء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة الا الغرقدة فانها من شجرهم لا تنطق الا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودى فتعال اقتله . . . الى ان قال . . : فيكون عيسى ابن مريم عليه السلام فى امتى حكما عدلا وامامًا مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا

---

(١) مسند الامام احمد م١ ص ٣٧٥ وسنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الفتن ٣٦ باب فتنة الدجال وخروج عيسى ٣٢ ص ١٣٦٥ ومستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبى ج ٤ كتاب الفتن والملاحم ج ٤ ص ٤٨٨ .

يسعى على شاة ولا بعير . و ترفع الشحناء والتباغض و تنزع حمة كل حمة حتى يدخل الوليد يده فى الحية فلا تضره و تفرّ الوليدة الاسد فلا يضرها و يكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها و تملأ الارض من السلم كما يملأ الاناء من الماء و تكون الكلمة واحدة فلا يعبد الا الله و تضع الحرب اوزارها و تسلب قريش ملكها و تكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم و يجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم و يكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات قالوا : يا رسول الله وما يرخص الفرس ؟ قال لا تركب لحرب ابدا قيل له فما يغلى الثور ؟ قال تحرث الأرض كلها . . . . الحديث) رواه ابن ماجه فى سننه (١)

٢٢ - وعن مجمع بن جارية الانصارى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يقتل ابن مريم الدجال بباب لد " قال وفى الباب عمران بن حصين ونافع بن عتبة وابى برزة وحذيفة بن ابى اسيد وابى هريرة وكيسان وعثمان بن ابى العاص وجابر وابى امامة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو و سمرة بن جندب والنواس بن سمعان وعمرو بن عوف و حذيفة بن اليمان) رواه الترمذى فى سننه وعبد الرزاق فى مصنفه وكذلك رواه الامام احمد وابن حبان (٢) وقال ابو عيسى الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

---

(١) سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الفتن ٣٦ باب فتنة الدجال و خروج عيسى ٣٣ ص ١٣٦١ - ١٣٦٢

(٢) الترمذى ج ٤ كتاب الفتن ٣٤ باب ما جاء فى قتل عيسى الدجال ٥٤ ص ٥١٥ والمصنف عبد الرزاق ج ١١ باب الدجال ص ٤٠٨ و مسند الامام احمد م ٣ ص ٤٢٠ وانظر موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان لابى بكر الهيثمى كتاب الفتن باب ما جاء فى الكذابين والدجال ص ٤٦٨

٢٣ - وعن عثمان بن ابى العاص رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(يكون للمسلمين ثلاثة امصار/بملتقى البحرين و مصر بالحيرة و مصر بالشام فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجـــال فى اعراض الناس فيهزم من قبل المشرق فأول مصر يرده المصر الذى بملتقى البحرين فيصير اهله ثلاث فرق فرقة تقول نشامة ننظر ما هو و فرقة تلحق بالاعراب و فرقة تلحق بالمصر الذى يليهم و مع الدجال سبعون الفا عليهم السيجان واكثر تبعه اليهود والنساء ثم يأتى المصر الذى يليه فيصير اهله ثلاث فرق فرقة تقول نشامه و ننظر ما هو و فرقة تلحق بالاعراب و فرقـــة تلحق بالمصر الذى يليهم بغربى الشام و ينحاز المسلمون الى عقبة افيق فيبعثون سرحا لهم فيصاب سرحهم فيشتد ذلك عليهم و تصيبهم مجاعة شديدة و جهد شديد حتى ان أحدهم ليحرق و ترقوسه فيأكله فبينما هم كذلك اذ نادى مناد من السحر يا ايها الناس اتاكم الغوث - ثلاثا - فيقول بعضهم لبعض ان هذا صوت رجل شبعان و ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر فيقول له اميرهم روح الله تقدم صل فيقول هذه الأمة امراء بعضهم على بعض فيتقدم اميرهم فيصلى فاذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته فيذهب نحـــو الدجال فاذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضع حربته بين ثندوته فيقتله و ينهزم اصحابه فليس يومئذ شىء يوارى منهم احدا حتى ان الشجرة لتقول يا مؤ من هذا كافر ويقول الحجر يا مؤ من هذا كافر) رواه الامام احمد والحاكم فى مستدركه واللفظ لاحمد . وقال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم يذكر

ايوب السختانى ولم يخرجاه . وقال الذهبى فى تلخيصه ان احد رجاله وهو ابى هبيرة واه (١)

٢٤ - وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته لكسوف الشمس فى حديث طويل وفيه قال :

((وانه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى كأنها عين ابى يحى لشيخ من الانصار وانه متى خرج فانه يزعم انه الله فمن آمن به وصدقه واتبعه فليس ينفعه صالح من عمل سلف ومن كفر به وكذبه فليس يعاقب بشىء من عمله سلف وانه سيظهر على الأرض كلها الا الحرم وبيت المقدس وانه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس فيزلزلون زلزالا شديدا فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيهزمه الله وجنوده حتى ان جذم الحائط واصل الشجرة لينادى يا مؤمن هذا كافر يستترى فتعال اقتله قال فلن يكون ذلك حتى تروا امورا يتفاقم شأنها فى انفسكم تسألون بينكم هل كان نبيكم صلى الله عليه وسلم ذكر لكم منها ذكرا وحتى تزول جبال عن مراسيها ثم على اثر ذلك القبض ...)) رواه الامام احمد والطبرانى بطرق مختلفة والحاكم واللفظ له وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى تلخيصه (٢) .

٢٥ - وعن سمرة بن جندب ايضا عن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى شأن الدجال وفتنته وفيه قال :

---

(١) مسند الامام احمد م٤ ص ٢١٦-٢١٧ والمستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبى ج ٤ كتاب الفتن والملاحم ص ٤٧٨ .

(٢) مسند الامام احمد ٥ ص ١٦ والمعجم الكبير للطبرانى ج ٧ ص ٢٢٦-٢٣٠ والمستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبى ج ١ كتاب الكشوف ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

(.... ثم يجيء عيسى بن مريم عليهما السلام من قبل المغرب مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملته فيقتل الدجال ثم انما هو قيام الساعة) . رواه الامام احمد - والطبرانى واللفظ لاحمد . ورجاله رجال الصحيح كما ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١) .

٢٦ - وعن جبير بن نفير عن ابيه رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(.... ليدركن الدجال قوما مثلكم او خيرا منكم ثلاث مرات ولن يخزى الله امة انا اولها وعيسى بن مريم آخرها) رواه الحاكم وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبى فى تلخيصه " ذا مرسل سمعه عيسى بن يونس عن صفوان وهو خبر منكر (٢) .

٢٧ - وعن عمران بن الحصين رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسم قال :

(لا تزال طائفة من امتى على الحق ظاهرين على من ناواهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى وينزل عيسى بن مريم عليه السلام) رواه احمد (٣) واسناده صحيح على شرط مسلم كما ذكره حمود بن عبد الله التويجرى فى اتحاف الجماعة .

---

(١) مسند الامام احمد م٥ ص ١٣ ومعجم الكبير للطبرانى ج ٧ ص ٢٦٧ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٣٣٦

(٢) المستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبى ج ٣ كتاب المغازى ص ٤١

(٣) المسند ج ٤ ص ٤٢٩ وانظر اتحاف الجماعة ج ٢ ص ٢٤٣

٢٨ - وعن عائشة رضى الله عنها قالت :

(دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكى فقال لي ما يبكيك قلت : يارسول الله ذكرت الدجال فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان يخرج الدجال وانا حى كفيتكموه وان يخرج الدجال بعدى فان ربكم ليس بأعور انه يخرج في يهودية اصبهان حتى يأتى المدينة فينزل ناحيتها ولها يومئذ سبعة ابواب على كل نقب منها ملكان فيخرج اليه شرار اهلها حتى الشام مدينة بفلسطين بباب لد وقال ابو داود مرة حتى يأتى فلسطين باب لد فينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث عيسى عليه السلام فى الأرض اربعين سنة اماما عدلا وحكما مقسطا) رواه الامام احمد وابن حبان واللفظ لأحمد . وقال الهيثمى رجاله رجال الصحيح غير الحضرمى ابن لاحق وهو ثقة (١) .

٢٩ - وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(عصابتان من امتى احرزهم الله من النار عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام) رواه الامام احمد والنسائى (٢) واللفظ لاحمد .

٣٠ - وعن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(الا انه لم يكن نبى قبلى الا قد حذر الدجال امته هو

---

(١) المسند م ٦ ص ٧٥ وانظر موارد الظمآن كتاب الفتن باب ما جاء فى الكذابين والدجال ص ٤٦٩ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٣٣٧ .

(٢) المسند م ٥ ص ٢٧٨ وسنن النسائى ج ٦ كتاب الجهاد - باب غزو الهند ص ٤٣

اعور عينه اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يخرج معه واديان احدهما جنة والاخر نار فناره جنة وجنته نار ومعه ملكان من الملائكة يشبهان نبيين من الانبياء لو شئت سميتهما باسمائهما واسماء آبائهما واحد منهما عن يمينه والاخر عن شماله وذلك فتنة فيقول الدجال " الست بربكم الست أحى واميت فيقول له احد الملكين كذبت ما يسمعه احد من الناس الا صاحبه فيقول له صدقت فيسمعه الناس فيظنون انما يصدق الدجال وذلك فتنة ثم يسير حتى يأتى المدينة فلا يؤذن له فيها فيقول هذه قرية ذلك الرجل ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عز وجل عند عقبة أفيق) رواه الامام احمد ورجاله ثقات كما ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١) .

٣١ - وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(سيدرك رجال من امتى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ويشهدون قتال الدجال) رواه الحاكم فى مستدركه (٢) .

٣٢ - وعن أنس ايضا رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من ادرك منكم عيسى بن مريم فليقرأه منى السلام صلى الله عليهما وسلم) رواه الحاكم وفى احد اسناده اسمعيل قال الحاكم اسمعيل هذا اظنه ابن عياش ولم يحتجا به (٣) .

---

(١) المسند م ٥ ص ٢٢١ - ٢٢٢ وانظر مجمع الزوائد للهيثمى ج ٧ ص ٣٤٠

(٢) المستدرك ج ٤ كتاب الفتن والملاحم ص ٥٤٣

(٣) المستدرك ج ٤ كتاب الفتن ص ٥٤٤

٣٣ - وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(كيف يهلك الله أمة انا فى اولها وعيسى فى آخرها والمهدى من اهل بيتى فى وسطها) . رواه الثعلبى فى قصص الأنبياء (١) .

٣٤ - وعن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات ، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف فى جزيرة العرب والدجال والدخان ونزول عيسى بن مريم فيأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تحشر الذر والنمل) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى فى تلخيصه (٢)

٣٥ - وعن عبدالله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ما اهبط الله تعالى الى الأرض منذ خلق آدم الى ان تقوم الساعة فتنة اعظم من فتنة الدجال وقد قلت فيه قولا لم يقله احد قبلى انه آدم* جعد ممسوح عين اليسار على عينه ظفرة** غليظة وانه يبرىء الأكمه والابرص ويقول انا ربكم فمن قال ربى الله فلا فتنة عليه ومن قال انت ربى فقد افتتن يلبث فيكم ما شاء الله ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم على ملته اماما مهديا وحكما عدلا فيقتل الدجال

---

(١) قصص الانبياء للثعلبى ص ٣٦٣

(٢) المستدرك وتلخيصه ج ٤ كتاب الفتن ص ٤٢٨

* اى شديد السمرة أقرب الى السواد

** ظفرة غليظة هى لحمة تنبت عند المآقى وقد تمتد الى السواد فتغشيه . انظر مجمع الزوائد للهيثمى ص ٣٣٥ فى الهامش .

فكان الحسن يقول : ونرى ذلك عند الساعة) رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط كما ذكره الهيثمى وقال : ورجاله ثقات وفى بعضهم ضعف لا يضر (١) .

٣٦ - وعن اوس بن اوس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء فى دمشق) . رواه الطبرانى ورجاله ثقات كما يقول الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢) .

٣٧ - وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا اول من يدخل الجنة يوم القيامة واشفع وسيدرك رجال من امتى عيسى بن مريم ويشهدون قتال الدجال) رواه الطبرانى فى الاوسط كما ذكره الهيثمى وقال : وفيه معاوية بن واهب ولم اعرفه (٣)

تلك من الاحاديث المرفوعة التى تثبت نزول المسيح فى آخر الزمان وهناك آثار كثيرة موقوفة تصرح بذلك وهى فى حكم المرفوع ، لأن الأصحاب والتابعين لا يقولون فى مثل هذه المسألة من قبل الرأى وانما يقولون عن توقيف وفيما يلى نذكر بعضا منها :

٣٨ - اخرج عبد الرزاق عن معمر عن ايوب او غيره/عن ابن سيرين قال :

(ينزل ابن مريم عليه لامته وهم قيام فيقولون له تقدم فيقول بل يصلى بكم امامكم انتم امراء بعضكم على بعض) (٤)

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ج ٧ ص ٣٣٥ - ٣٣٦
(٢) نفس المرجع ج ٨ ص ٢٠٥
(٣) نفس المرجع ص ٣٤٩ - ٣٥٠
(٤) مصنف عبد الرزاق ج ١١ باب الدجال ص ٣٩٩

٣٩ - واخرج عبد الرزاق أيضا فى مصنفه عن معمر قال :

(كان ابن سيرين يرى انه المهدى الذى يصلى وراءه عيسى) (١) .

٤٠ - واخرج عبد الرزاق عن معمر عن عبد الملك بن عمير عن رجل عن ربيعة الجرشى قال :

(عشر ايات بين يدى الساعة خسف بالمشرق و خسف بالمغرب و خسف بجزيرة العرب والرابعة الدجال والخامسة عيسى والسادسة دابة الأرض والسابعة الدخان والثامنة خروج يأجوج و مأجوج والتاسعة ريح باردة طيبة يرسلها الله فيقبض بتلك الريح نفس كل مؤمن والعاشرة طلوع الشمس من مغربها) (٢)

٤١ - وعن الشعبى قال قال رجل عند المغيرة بن شعبة صلى الله على محمد خاتم الانبياء لا نبى بعده فقال المغيرة حسبك ان تقول خاتم الانبياء فانا كنا نحدث ان عيسى بن مريم خارج فان كان خارجا فقد كان قبله وبعده) رواه الطبرانى وفيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف وقد ضعفه جماعة ووثق و بقية رجاله ثقات كما فى مجمع الزوائد (٣) .

٤٢ - واخرج ابن جرير (٤) عن ابن عباس فى قوله تعالى :

(" وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته " قال : قبل موت عيسى بن مريم) .

---

(١) مصنف عبد الرزاق ج ١١ باب الدجال ص ٣٩٩

(٢) نفس المرجع باب اشراط الساعة ص ٣٧٨

(٣) مجمع الزوائد للهيثمى ج ٨ كتاب فيه ذكر الانبياء باب ذكر المسيح ص ٢٠٥-٢٠٦

(٤) تفسير ابن جرير ٦ ص ١٨

٤٣ - واخرج ابن جرير(١) ايضا عن الحسن فى قوله :

(وان من اهل الكتاب الا ليؤ منن به قبل موته " قال : قبل موت عيسى والله انه الآن لحى عند الله ، ولكن اذا نـــزل آمنوا به أجمعون) .

٤٤ - وعن محمد بن على بن ابى طالب وهو ابن الحنفية رضى الله عنه فى قوله تعالى " وان من اهل الكتاب الا ليؤ منن به قبل موته " قال :

(ليس من اهل الكتاب احد الا أتته الملائكة يضربون وجهه ودبره ثم يقال يا عدو الله ان عيسى روح الله وكلمتـــه كذبت على الله وزعمت انه الله ان عيسى لم يمت وانه رفـــع الى السماء وهو نازل قبل ان تقوم الساعة فلا يبقى يهودى ولا نصرانى الا آمن به) اخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن شهر بن حوشب عن محمد بن على كما فى الدر المنثور.(٢)

٤٥ - واخرج ابن جرير(٣) بطريقين عن قتادة فى قوله تعالى " وانه لعلم للساعة " قال : نزول عيسى بن مريم علم للساعة .

٤٦ - وعن يوسف بن عبد الله بن سلام عن ابيه قال :

(الا أخبرة المنارية قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبر ابى بكر رضى الله عنه وقبر عمر رضى الله عنه وقبر رابع يدفـــن فيه عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم) أخرجه ابو بكر الاجرى فى الشريعة(٤)

---

(١) نفس المرجع والمكان .
(٢) الدر المنثور للسيوطى ج ٢ ص ٢٤١
(٣) تفسير الطبرى ج ٢٥ ص ٩٠
(٤) ص ٣٨١

٤٧ - وعن عبدالله بن سلام رضى الله عنه عن ابيه عن جده قال :

(مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه "

رواه الترمذى (١) وقال هذا حديث حسن غريب .

وهذان الاخيران يدلان على نزول عيسى ثم يموت ويدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم .

كل ما ذكر من الاحاديث والاثار تدل على نزول المسيح عيسى بن مريم فى آخر الزمان . وقد وردت بهذا المعنى احاديث وآثار كثيرة ولكن اكتفيت بذكر بعضها كما سبق لئلا يطول الكلام . وقد ذكر الشيخ محمد انور شاه الكشميرى فى كتابه " التصريح لما تواتر فى نزول المسيح " احاديث كثيرة بلغ عددها خمسة وسبعين حديثا ثم ذكر بعد ذلك آثارا كثيرة عن الصحابة والتابعين . كما ذكر حمود عبدالله التويجرى فى كتابه " اتحاف الجماعة " ما يزيد عن خمسين حديثا مرفوعا اكثرها صحيح والباقى غالبه حسن . وذكر ايضا اثارا وفيرة عن الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم . فمن اراد المزيد والتوسع فليرجع الى هذين الكتابين .

ثالثا - الاجمـــاع :

نظرا الى الادلة الكثيرة من الكتاب والاخبار المتواترة عن النبى صلى الله عليه وسلم كذلك عن الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم في اثبات نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان كما ذكرناه آنفا فقد اتفق علماء اهل السنة والجماعة على قبول هذه الاخبار واجمعوا على ان نزول المسيح عيسى عليه السلام امر محتم لا سبيل الى الانكار . ويكون نزوله شرطا من اشراط الساعة اى يدل على قرب وقوعها . فيجب على المسلمين ان يؤمنوا بنزوله ايمانا يقينيا حيث يكون انكاره انكارا لما اشار اليه الكتاب وما ثبت بالاخبار المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم .

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى ج ٥ كتاب المناقب ص ٢٤٩

ونسوق فيما يلي اقوال بعض علماء السنة وفقهائها ومفسريها ومحدثيها مما يدل على قبولهم للاخبار عن نزول المسيح بن مريم عليه السلام في آخر الزمان واجماعهم عليه.

قال السفاريني في شرح منظومته (١) :

(نزول المسيح عيسى بن مريم ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة ... الى ان قال... واما الاجماع فقد اجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه احد من اهل الشريعة وانما انكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه . وقد انعقد اجماع الأمة على انه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليست بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وان كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها) .

وقال العلامة السيد محمود الآلوسي في تفسيره (٢) :

(ولا يقدح في ذلك "اي ختم النبوة" ما اجمعت الامة عليه واشتهرت فيه الاخبار . ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوي ونطق به الكتاب على قول . ووجب الايمان به وكفر منكره كالفلاسفة من نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان لأنه كان نبيا قبل تحلي نبينا صلى الله عليه وسلم بالنبوة في هذه النشأة . ومثل هذا يقال في بقاء الخضر عليه السلام على القول بنبوته وبقائه ثم انه عليه السلام حين ينزل باق على نبوته السابقة لم يعزل عنها) .

---

(١) لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية للشيخ محمد بن احمد السفاريني ج ٢ ص ٩٤-٩٥

(٢) روح المعاني ٢٢ ص ٣٤

وقال ابو محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه " نظم المتناثر من الحديث المتواتر "(١) :

(وقد ذكروا ان نزوله "اى عيسى عليه السلام" ثابت بالكتاب والسنة والاجماع .... والحاصل ان الاحاديث الواردة فى المهدى المنتظر متواترة وكذا الواردة في الدجال وفى نزول سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام).

وقال الامام الكوثرى رحمه الله تعالى فى كتابه " نظرة عابرة فى مزاعم من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة " ص ٤٤ كما نقله عبد الفتاح ابو غدة فى تعليقه على " التصريح لما تواتر فى نزول المسيح "(٢) :

(والتواتر في حديث نزول عيسى عليه السلام تواتر معنوى حيث تشاركت احاديث كثيرة جدا بينها الصحاح والحسان بكثرة فى التصريح بنزول عيسى مع اشتمال كل حديث على معانى اخرى وهذا مما لا يستطيع انكاره احد ممن شم رائحة علم الحديث).

وقال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى " وانه لعلم للساعة "(٣) :

(وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة اماما عادلا وحكما مقسطا).

وقال ابو الحسن الخسعى الابدي فى مناقب الشافعى كما جاء فى فتح البارى(٤)

(تواتر الاخبار بأن المهدى من هذه الأمة وان عيسى يصلى خلفه).

---

(١) انظر ص ١٤٧

(٢) التصريح لما تواتر فى نزول المسيح محمد انوار شاه تحقيق عبد الفتاح ابو غدة فى الهامش ص ٥٨

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٣٢-١٣٣

(٤) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ج ٦ ص ٤٩٣ - ٤٩٤

وقال قاضي القضاة العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن ابي العز الحنفي (١) :

(ونوه من باشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ونوه من بطلوع الشمس من مغربها و خروج دابة الارض من موضعها) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية (٢) :

(والمسيح صلى الله عليه وسلم و على سائر النبيين لا بد ان ينزل الى الأرض على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة ، ولهذا كان في السماء الثانية مع انه افضل من يوسف وادريس و هارون لأنه يريد النزول الى الأرض قبل يوم القيامة بخلاف غيره) .

وقال ابو حيان (٣) :

(وروى عنه عليه السلام الفاظ تقتضي نصا انه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم والمعنى انه لا ينبأ احد بعده ولا يرد نزول عيسى اخر الزمان لأنه ممن نبيء قبله وينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته) .

وقال الشوكاني (٤) :

(وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة ان عيسى عليه السلام ينزل في اخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير و يضع الجزية ويحكم بين العباد بالشريعة المحمدية ويكون المسلمون انصاره واتباعه اذ ذاك) .

---

(١) شرح الطحاوية ص ٤٥٣
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية م ٤ ص ٣٣٩
(٣) تفسير البحر المحيط لابي حيان ج ٧ ص ٢٣٦
(٤) فتح القدير م ١ ص ٣٤٥

تلك من الاقوال لبعض كبار علماء السنة المتقدمين مما يدل على اجماعهم على القول بنزول المسيح عيسى بن مريم في آخر الزمان وقبولهم للاخبار عما يتعلق به . ولم يخالف ذلك الا بعض المعتزلة والفلاسفة والملحدة ونحوهم ممن لا يعتد بخلافه .

ومن هنا يمكن ان نقول ان نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ثابت بالكتاب والسنة والاجماع فلا ينبغي للمسلم ان ينكره لأن انكاره انكار للكتاب والسنة وما اجمع عليه علماء السنة .

موضع نزوله والحكمة من ذلك :

واما موضع نزوله فكان عند المنارة البيضاء شرقي دمشق كما بينته الاحاديث . وقد سبق ان ذكرنا حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة - فذكر الحديث بطوله - وفيه قال :

(فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذ طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات . ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله .. الحديث) رواه مسلم واحمد وابن ماجه وابو داود واللفظ لمسلم (١)

---

(١) مسلم م ٤ كتاب الفتن واشراط الساعة ٥٢ باب ذكر الدجال ٢٠ ص ٢٢٥٣ ومسند احمد م٤ ص ١٨٢ وابن ماجة ج٣ كتاب الفتن ٣٦ باب فتنة الدجال ٣٣ ص ١٣٥٦ - ١٣٥٩ وابو داود ج ٤ كتاب الملاحم باب خروج الدجال ص ١٩٧

وذكر ابن حجر العسقلانى فى الاصابة فى تمييز الصحابة (١) قال :

(واخرج ابن عائذ عن الوليد بن مسلم عن سمع عبد الرحمن ابن ربيعة عن عبد الرحمن بن ايوب بن نافع عن كيسان عن ابيه عن جده نافع بن كيسان صاحب النبى صلى الله عليه وسلم رفعه " ينزل عيسى بن مريم عند باب دمشق الشرقى) .

وعن أوس بن اوس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء فى دمشق)

رواه الطبرانى ورجاله ثقات كما ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس الحضرمى قال (٣) :

(يخرج عيسى بن مريم عند المنارة عند الباب الشرقى ثم يأتى مسجد دمشق حتى يقعد على المنبر ويدخل المسلمون المسجد) .

وأخرج ابن عساكر ايضا عن كعب (٤) :

(يهبط المسيح عليه السلام عند القنطرة البيضاء على باب دمشق الشرقى تحمله غمامة واضع يديه على منكبى ملكين عليه ريطتان موتزر باحدهما مرتد بالاخرى اذا أكب رأسه يقطر منه الجمان) .

وأما الحكمة فى نزول المسيح فى آخر الزمان - والله اعلم - لابطال زعم اليهود والنصارى ان المسيح عيسى بن مريم قد قتل وصلب اذ ان نزوله من ادل دليل على بطلان هذا الزعم لأن المقتول والمصلوب لن يرجع ولن ينزل .

---

(١) ج ٣ ص ٥٤٧

(٢) مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣٤٨

(٣) تهذيب تاريخ دمشق الكبير ابن عساكر ج ١ ص ٤٩

(٤) نفس المرجع ص ٥٠

كما يبدو من الاحاديث ان من الحكمة فى نزوله لازالة الفتن التى اثارهـــا الدجال واتباعه - وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سيظهر فى آخر الزمان المسيح الدجال يعرض نفسه على الناس مدعيا انه هو المسيح وانه هو الله ويأتى بالعجائب يقتل الرجل ويحييه ويمطر المطر ولا ينبت الشجر ومعه واديان احدهما جنة والاخر نار فناره جنة وجنته نار وغيرها من العجائب فيفتتن به ضعفاء الايمان وخصوصا الكفار من اليهود - فيتبعونه فهذه فتنة عظيمة شاملة وضلالة مطبقة فى العالم كله ، فعند ذلك ينزل المسيح الحقيقي وهو المسيح عيسى بن مريم الى الدنيا لكى يقمع فتنة هذا الدجال وينقذ الناس من شره وخداعه .

وقد ذكرنا حديث سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الا انه لم يكن نبى قبلى الا قد حذر الدجال امته هو اعور عينه - اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يخرج معه واديان احدهما جنة والاخر نار فناره جنة وجنتـــه نار معه ملكان من الملائكة يشبهان نبيين من الانبياء لو شئت سميتهما باسمائهما بإسماء آبائهما واحد منهما عن يمينه والاخر عن شماله وذلك فتنة فيقول الدجال " الست بربكم ألست احى واميت فيقول احد الملكين كذبت ما يسمعه احد من الناس الا صاحبه فيقول له صدقت فيسمعه الناس فيظنون انما يصدق الدجال وذلك فتنة ثم يسير حتى يأتى المدينة فلا يؤذن فيها له فيقول هذه قرية ذلك الرجل ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه اللـــه عز وجل عند عقبة أفيق) رواه الامام احمد وقال الهيثمـــى : ورجاله ثقات(١) .

---

(١) مسند الامام احمد م ٥ ص ٢٢٠-٢٢٢ وانظر مجمع الزوائد للهيثمى ج ٧ ص ٣٤٠

وعن جنادة بن ابى امية قال :

(اتيت رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدجال ولا تحدثنى عن غيرك وان كان عندك مصدقا فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " انذرتكم فتنة الدجال فليس من نبى الا أنذره قومه او امته وانه آدم جعد اعور عينه اليسرى وانه يمطر ولا ينبت الشجرة وانه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها وانه معه جنة ونار ونهر ماء وجبل خبز وان جنته نار وناره جنة وانه يلبث فيكم اربعين صباحا يرد فيها كل منهل الا اربع مساجد مسجد الحرام و مسجد المدينة والطور و مسجد الاقصى. وان شكل عليكم او شبه فان الله عز وجل ليس بأعور) رواه الامام احمد (١)

تلك من العجائب والفتن التى يأتى بها الدجال ليخدع الناس بها كما بينتها الاحاديث . فينزل عيسى عليه السلام لازالة هذه الفتن و ذلك بقتل الدجال نفسه " صاحب هذه الفتنة " واتباعه . ولقد ذكرنا احاديث كثيرة ان عيسى عليه السلام حين ينزل الى الأرض فيقتل الدجال واتباعه منها حديث جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن الدجال . . . وفيه :

(ثم ينزل عيسى بن مريم فينادى من السحر فيقول يا أيها الناس ما يمنعكم ان تخرجوا الى الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل جنى فينطلقون فاذا هم بعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم امامكم فيصل بكم فاذا صلى صلاة الصبح خرجوا اليه قال فحين

---

(١) مسند الامام احمد ج ٥ ص ٤٣٤ - ٤٣٥

يرى الكذاب ينماث كما ينماث الملح فى الماء فيمشى اليه فيقتله حتى ان الشجر والحجر ينادى يا روح الله هذا يهودى فلا يترك ممن كان يتبعه احد الا قتله) رواه احمد باسنادين رجال احدهما رجال صحيح كما قال الهيثمى (١) .

ومنها حديث امامة الباهلى فى حديث طويل بشأن الدجال وفيه :

(فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وينطلق هاربا ويقول عيسى عليه السلام ان لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شىء مما خلق الله يتوارى بـــه يهودى الا انطق الله ذلك الشىء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة الا الغرقدة فانها من شجرهم لا تنطق الا قال يا عبدالله المسلم هذا يهودى فتعال اقتله . . .) رواه ابن ماجه (٢) .

ومنها حديث مجمع بن جارية الانصارى قال :

(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " يقتل ابن مريم الدجال بباب لد " رواه الترمذى واحمد . وقال ابو عيسى الترمذى هذا حديث حسن صحيح (٣) .

وبعد قتل الدجال واتباعه من الكفار يصير عيسى عليه السلام حاكما على هذه الأمة فيحكم بشريعة الاسلام حكما عادلا . ويهلك الله فى زمانه الملل كلها الا الاسلام فيصير الناس كلهم على دين الاسلام فتقع الأمنة على الأرض كلها وليس بين اثنين عداوة سواء فى ذلك الانسان والحيوان . ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون .

---

(١) مسند الامام أحمـــد م ٣ ص ٣٦١ -٣٦٨ وانظر مجمع الزوائد للهيثمى ج ٧ ص ٣٤٤

(٢) ابن ماجة ج ٢ كتاب الفتن ٣٦ باب فتنة الدجال و خروج عيسى ٢٣ ص ١٣٦١ - ١٣٦٢

(٣) صحيح الترمذى ج ٤ " كتاب الفتن ٣٤ باب ما جاء فى قتل الدجال ص ٥١٥ و مسند الامام احمد م٣ ص ٤٢٠

وقد بينت ذلك الاحاديث : منها ما ذكرنا من حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(الانبياء اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد وانا اولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه رجلا مربوعا الى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام فيهلك الله فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة على الارض حتى ترتع الأسود مع الابل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون) رواه احمد وابو داود والحاكم (١) واللفظ لأحمد ، وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى تلخيصه .

وفاة عيسى عليه السلام وقبره :

يمكث عيسى بعد نزوله سبع سنين على القول الراجح عندى ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه بجوار قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد فى الحديث والاثار . وقد روى ابو بكر الاجرى فى الشريعة قال (٢) :

(قال محمد بن الحسين رحمه الله : " والذين يقاتلون مع عيسى عليه السلام هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم والذين يقاتلون عيسى

---

(١) مسند الامام احمد م٢ ص ٤٠٦ وابو داود ج ٤ كتاب الملاحم باب خروج الدجال ص١١٨ والمستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبى ج ٢ كتاب التاريخ ص٥٩٥

(٢) الشريعة لابى بكر الاجرى ص٣٨١

هم اليهود مع الدجال فيقتل عيسى الدجال ويقتل المسلمون اليهود ثم يموت عيسى عليه السلام ويصلى عليه المسلمون ويدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر و عمر رضى الله عنهما .) وروى ابو بكر الاجرى أيضا عن عبد الله بن سلام عن ابيه قال (١) :

(الا قبرة المنارية قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبر ابى بكر رضى الله عنه وقبر عمر رضى الله عنه وقبر رابع/يدفن فيه عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم) .

وعن عبد الله بن سلام ايضا رضى الله عنه عن ابيه عن جده قال :

(مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه)

رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب (٢) .

وقال الثعلبى فى قصص الانبياء (٣) :

(واخبرنا محمد بن القاسم الفارسى باسناده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش فى هذه الأمة ما يعيش ثم يموت فى مدينتى هذه ويدفن الى جانب قبر عمر فطوبى لأبى بكر وعمر يحشران بين نبيين) .

مدة اقامة عيسى عليه السلام بعد نزوله :

واما مدة اقامة عيسى عليه السلام بعد نزوله فقد اختلف فيها العلماء .

---

(١) الشريعة لا بى بكر الاجرى ص ٣٨١

(٢) الترمذى ج ٥ كتاب المناقب ج ٣٦٩٦ ص ٢٤٩

(٣) ص ٣١٢

قال ابن حجر العسقلانى (١) :

(واختلف فى مدة اقامته فى الأرض بعد ان ينزل فى آخر الزمان فقيل سبع سنين وقيل اربعين وقيل غير ذلك وقد وقع عند احمد من حديث ابى هريرة بسند صحيح رفعه انه يلبث فى الأرض مدة اربعين سنة) .

والراجح عندى انه يقيم سبع سنين لما رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) :

(..... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة .... الحديث) .

ولا يتعارض هذا الحديث مع حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال :

(.... فيمكث اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون) (٣)

لأن هذا الحديث - والله اعلم - محمول على مجموع مكثه فى هذه الأرض قبل الرفع وبعده . وقد رفع الى السماء وعمره ثلاث وثلاثون سنة . فاذا زيد عليها سبع سنين بعد نزوله كما فى حديث مسلم صار مجموع مكثه فى هذه الأرض اربعين سنة .

واما اذا قلنا انه يقيم اربعين سنة كما يقوله البعض فيلزم من ذلك رد لحديث مسلم وهذا ما لاينبغى وخصوصا لأن حديث مسلم اقوى واعلى من غيره - سوى البخارى - رتبة ودرجة عند علماء الحديث . ولأن الجمع بين الحديثين ممكن كما قلنا .

---

(١) الاصابة فى تمييز الصحابة ج ٣ ص ٥٤

(٢) مسلم م ٤ كتاب الفتن واشراط الساعة ٥٢ باب خروج الدجال ومكثه فى الأرض ٢٣ ص ٢٢٥٨ .

(٣) رواه الامام احمد فى المسند م٢ ص ٤٠٦ وابو داود فى السنن ج ٤ كتاب الملاحم باب خروج الدجال ص ١١٨ والحاكم فى المستدرك وصححه ج ٢ كتاب التاريخ ص ٥٩٥

وقد افتى بهذا ابن حجر الهيثمي وقال في فتاواه(١) :

(يقيم سبع سنين كما صح في حديث مسلم ولا ينافي حديث الطيالسي انه يقيم اربعين سنة لانّ المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده فانه رفع وسنه ثلاث وثلاثون سنة) .

والله أعلـــم .

---

(١) الفتاوى لحديثة ابن حجر الهيثمي ص ١٨٨

الفصل الرابع

شبه من أنكر نزول عيسى عليه السلام ومناقشتها

سبق ان ذكرنا ان رفع عيسى عليه السلام الى السماء حيا ونزوله فى آخر الزمان ثابت بالكتاب والسنة واجماع سلف الأمة. ورغم ذلك يوجد بعض الكاتبين المتأخرين قد خالفوا ذلك وانكروا رفع عيسى عليه السلام الى السماء حيا كما انكروا نزوله فى آخر الزمان . وهؤلاء اكثرهم من تلاميذ مدرسة محمد عبده كالشيخ محمود شلتوت والشيخ مصطفى المراغى ورشيد رضا والدكتور احمد شلبى وامثالهم .

وهؤلاء قد نشروا افكارهم الخاطئة فى هذه المسألة فى بعض مؤلفاتهم ونشراتهم وأتوا بكثير من الشبه حول الموضوع . فأخاف أن يعجب بافكارهم الناس الجهلاء ويتأثروا بها فينكروا رفع عيسى الى السماء حيا روحا وجسدا ونزوله فى آخر الزمان كما انكر هؤلاء فيحيدوا عن سواء السبيل كما حادوا وهذا من اعظم الفتن واكبر المنكرات التي يجب علينا محوها واصلاحها عملا بقوله تعالى :

(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) (١)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فقلبه وذلك اضعف الايمان) رواه مسلم (٢) .

---

(١) سورة آل عمران ١٠٤

(٢) صحيح مسلم ج ١ كتاب الايمان ١ باب بيان كون النهى عن المنكر ٢٠ ص ٦٩ .

ولذلك أرى ان اعرض هنا أهم تلك الشبه التى أتى بها هـؤلاء المنكرون ثم اناقشها واجيب عنها حتى يتبين للقارئ بطلانها بوضـوح وجلاء .

الشبهة الأولى : يقول هؤلاء المنكرون ان عيسى عليه السلام قد مات موتة عادية ورفعت روحه الى السماء كغيره من الاموات . وحجتهم فى ذلك ان القرآن الكريم قد عرض لعيسى فيما يتصل بنهايته بقوله تعالى :(١)

(اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ...)

وقوله تعالى :(٢)

(فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كـل شئ شـهيد)

ووجه استدلالهم فى هاتين الايتين ان كلمة " التوفى " قد وردت فى القرآن كثيرا بمعنى الموت . وكذلك كلمة " التوفى " فى الايتين المذكورتين تحمل على هذا المعنى وهو الاماتة العادية المعروفة لدى الناس ولا تستعمل فى غير هذا المعنى . تلك خلاصة اقوالهم فى هذه المسألة .

ولزيادة الايضاح فى ذلك نأتى هنا بنصوص بعض منهم .

قال الشيخ محمود شلتوت(٣) :

(وكلمة " توفى " قد وردت فى القرآن كثيرا بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منهـا ولم تستعمل فى غير هذا المعنى الا وبجانبها ما يصرفها عن المعنى المتبادر ... ومن حق كلمة " توفيتنى " فـى

---

(١) سورة آل عمران ٥٥
(٢) سورة المائدة ١١٧
(٣) " الفتاوى " ص ٦٠-٦١

الآية ان تحمل على هذا المعنى المتبادر وهو الاماتة العادية التي يعرفها الناس ويدركها من اللفظ و من السياق الناطقون بالضاد . . .

ولا سبيل الى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء لأن الاية ظاهرة في تحديد علاقته بقومه لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان و هم قوم محمد باتفاق لا قوم عيسى) .

ثم واصل شلتوت حجته في ذلك وقال (١) :

(ونحن اذا رجعنا الى قوله تعالى " انى متوفيك ورافعك الي " في آيات آل عمران مع قوله " بل رفعه الله اليه " في آيات النساء وجدنا الثانية اخبارا عن تحقيق الوعد الذى تضمنته الاولى . وقد كان هذا الوعد بالتوفية والرفع والتطهير من الذين كفروا . فاذا كانت الاية الثانية قد جاءت خالية من التوفية والتطهير . واقتصرت على ذكر الرفع الى الله فانه يجب ان نلاحظ فيها ما ذكر في الاولى جمعا بين الايتين . والمعنى ان الله توفى عيسى ورفعه اليه وطهره من الذين كفروا)

وأما بالنسبة لرفع عيسى فيقول شلتوت(٢) :

(وظاهر ان الرفع الذى يكون بعد التوفية هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصا وقد جاء بجانبه قوله " ومطهرك من الذين كفروا " مما يدل على ان الأمر امر تشريف و تكريم) .

---

(١) نفس المرجع ص ٦٢-٦٣

(٢) نفس المرجع ص ٦٣

وقال رشيد رضا في تفسيره(١) نقلا عن استاذه الشيخ محمد عبده في قوله تعالى : (٢)

("اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا" اى مكر الله بهم اذ قال لنبيه انى متوفيك . . . الخ. فان هذه بشارة بانجائه من مكرهم و جعل كيدهم فى نحرهم قد تحققت ولم ينالوا منه ما كانوا يريدون بالمكر والحيلة. والتوفى فى اللغة أخذ الشيء وافيا تاما. و من ثم استعمل بمعنى الاماتة قال تعالى (٣٩ : ٤٢ الله يتوفى الانفس حين موتها" وقال "٣٢ : ١١ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم" فالمتبادر فى الآية انى مميتك وجاعلك بعد الموت فى مكان رفيع عندى) .

وقال مصطفى المراغى فى تفسيره(٣) :

(وللعلماء فى تأويل هذه الاية* رأيان :

١ - ان فيها تقديما وتأخيرا والأصل : انى رافعك الي ومتوفيك اى انى رافعك الان و مميتك بعد النزول من السماء فى الحين الذى قدر لك . وعلى هذا فهو قد رفع حيا بجسمه وروحه وانه سينزل في آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله .

٢ - ان الاية على ظاهرها وان التوفى هو الاماتة العادية وان الرفع بعده للروح ولا غرابة فى خطاب الشخص وارادة روحه . فالروح هى حقيقة الانسان والجسد كالثوب المستعار

---

(١) تفسير المنار ج ٣ ص ٣١٦
(٢) سورة آل عمران ٥٥
(٣) تفسير المراغى ج ٣ ص ١٦٩
* قوله تعالى "اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك . . . الاية"

يزيد وينقص ويتغير والانسان انسان لان روحه هي هـي
والمعنى : انى مميتك وجاعلك بعد الموت فى مكان رفيع
عندى كما قال فى ادريس عليه السلام " ورفعناه مكانـــا
عليا ") (١)

والظاهر ان المرافى اختار ورجح الرأى الثانى لأنه من المنكرين نزول المسيح . ويدل على ذلك قوله فى احاديث نزول عيسى بأنها احاديث آحاد لا يجوز الاعتماد عليها فى الأمور الاعتقادية وسنأتى بنص كلامه فى هذا قريبا عند الحديث عن الشبهة الثانية ان شاء الله .

تلك من الشبه التى جاء بها هؤلاء المنكرون بنزول المسيح فى آخر الزمان وهو قولهم بوفاة المسيح ورفع روحه الى السماء كغيره من الأموات . وبناء على ذلك قالوا ان المسيح لن ينزل لأنه قد مات .

الجواب عن هذه الشبهة من ثلاث وجوه :

الوجه الأول : نقول ان تفسير " التوفى " فى قوله تعالى :
" اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الي . . . الاية " وقوله تعالى :
" فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم . . الاية " بمعنى الاماتة والرفع بعده بمعنى رفع المكانة والدرجة او رفع الروح دون الجسد تفسير بعيد مخالف لما عليه أئمة المفسرين المتقدمين والمتأخرين فانهم اتفقوا ان عيسى عليه السلام لم يمت وقد رفع الى السماء حيا روحا وجسدا . واما ما نسب الى ابن عباس انه فسر " التوفى " فى الاية بمعنى الوفاة الحقيقية فهذا غير صحيح لانقطاع السند الموصل اليه . وكذلك ما نسب الى وهب بن منبه انه قال ان الله توفى عيسى عدة ساعات ثم احياه فرفعه الى السماء فهذا ايضا ضعيف لأن احد رواته رجل مدلس . وقد تكلمت فيما سبق مفصلا عن هذا فى " الباب الثالث " فى المبحث الثانى من الفصل الثانى " فلا حاجة الى الاعادة هنا .

---

(١) سورة الانعام ٨٣

الوجه الثاني : ان تفسير "التوفي" بالاماتة والرفع بعده برفع الروح او رفع المنزلة والمكانة مخالف للغة العربية معنى واسلوبا . فكلمة "التوفي" في اللغة معناها الحقيقي هو أخذ الشيء وقبضه بكامله . قال محمد مرتضى الزبيدي (١) :

(فاستوفاه وتوفاه اي لم يدع منه شيئا فهما مطاوعان لأوفاه ووفاه ووافاه . ومن المجاز ادركته الوفاة اي الموت) .

فكان رفع عيسى الى السماء حيا بروحه وجسده معا يتفق مع معنى "التوفي" الحقيقي تمام الموافقة اذ ان الله اخذه وقبضه ورفعه اليه بكامله ولم يدع منه شيئا . ولا يجوز حمل "التوفي" هنا على معناه المجازي اي بمعنى الاماتة لأن الله اخبر بأنه رفعه اليه . وذلك في قوله تعالى : " اني متوفيك ورافعك الي " وقوله تعالى " بل رفعه الله اليه " (٢) فرفعه يقتضي ان يكون حيا روحا وجسدا لأن الخطاب الى عيسى فحقيقة عيسى عليه السلام هو وروحه وجسده معا .

واما قول المراغي ان حقيقة الانسان هي روحه فقط والجسد كالثوب المستعار وان خطاب عيسى بقوله "ورافعك الي" مرادا به روحه فيكون الرفع هو روحه فقط لا الجسد كما مر ذكره فهذا غير صحيح اذ لو كانت حقيقة الانسان هي روحه فقط لكانت ارواح الموتى داخلة تحت خطاب الله تعالى ومكلفة بجميع شرائعه من الصلاة والزكاة والصوم وغيرها من الفرائض فبهذا لا يقوله احمد . فتبين من هذا ان حقيقة الانسان هي الروح والجسد معا . فاذا كان خطاب الله تعالى الى عيسى بقوله "ورافعك الي" يقتضي ان يكون الرفع روحا وجسدا لان حقيقته هو الروح والجسد معا كما قلنا .

---

(١) تاج العروس م١٠ ص ٣٩٤

(٢) سورة النساء ١٥٨

فبذلك يبطل ادعاء المراغي بان رفع عيسى عليه السلام هو رفع روحه فقط . واما شلتوت فيقول ان المراد برفع عيسى هو رفع منزلته و مكانته وذلك بعد وفاته و هذا باطل ايضا . وقد رد الدكتور سعيد رمضان البوطي هذا الزعم الباطل حيث يقول (١) :

(فاما عقل العاقل الذى يفهم الكلام العربى عن طريق القواعد العربية ودلالتها اللغوية ، فهو يفهم من قوله تعالى "وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه" ان الله عز وجل اخفى نبيه عنهم بشأن رفعه الى سمائه فلم يقدروا منه على شيء يقتلونه او يصلبونه . يدلك على هذا المعنى الفاظ الاية ودلالتها اللغوية . وضرورة التقابل الذى ينبغى ان يكون بين ما قبل "بل" وبعدها . فليس لك ان تقول وانت عربى : لست جائعا بل انا مضطجع وانما تقول لست جائعا بل انا شبعان . وليس لك ان تقول : ما مات خالد بل هو رجل صالح ، وانما تقول : بل هو حى ، وليس لك ان تقول : ما قتل الأمير بل هو ذو درجة عالية عند الله لأن كونه ذو درجة عالية عند الله لا ينافى ان يقتل وانما تأتى "بل" لابطال ما قبلها بدليل ما بعدها . لا جرم اذا ان معنى الآية : ما قتله اليهود كما زعموا بل ان الله استلبه من بينهم و رفعه الى السماء) .

ثم أضاف الدكتور سعيد رمضان على ذلك وقال (٢) :

(ولك أن تسأل امثال شلتوت و هم يذهبون فى تفسير الاية هذا المذهب . فما معنى "اليه" في الآية ما دام ان

---

(١) كبرى اليقينات الكونية ص ٣٥٠ - ٣٥١

(٢) نفس المرجع ص ٣٥١

الرفع هو رفع الدرجة ؟ هل المعنى ان الله جعله الها مثله ؟ اذ لا معنى لقولك ان الله رفع مقام فلان اليه الا انه قد جعله فى مرتبته . ثم ما معنى تقييد رفع الدرجة على قصد الصلب او القتل ؟ او لم يكن مرفوع الدرجة قبل ذلك ؟) .

أسئلة تنتظر الجواب ولكنهم لا يستطيعون الجواب عنها الا بالتأويل الباطلة التى لا معنى لها .

و من الامر العجيب ان الشيخ شلتوت والدكتور احمد شلبى قد حاولا لتأييد رأييهما فى القول بوفاة المسيح استنادا الى قول من الاقوال التى جاء بها الالوسى فى تفسيره مع ان ذلك القول مرجوح وقد رده الالوسى بصراحة لا مجال للشك فيه . واشد عجبا من ذلك ان كلا منهما لم يقف عند هذا الحد ولم يكتف بالاستناد الى القول المرجوح والذى رده الالوسى بل عبر بتعبير يوهم القارئ بأن القول الذى استند اليه هو الذى اختاره الالوسى ورجحه .

ولايضاح ذلك نأتى بنص كلام كل منهما ثم نقارن بينه وبين كلام الالوسى حتى يتضح للقارئ خطأهما .

قال الشيخ محمود شلتوت فى عرض الاستدلال لتأييد رأيه (١) :

(وقد فسر الالوسى قوله تعالى "انى متوفيك" بوجوه منها وهو اظهرها "انى مستوفى اجلك و مميتك حتف انفك لا اسلط عليك من يقتلك وهو كناية عن عصمته من الاعداء وما همهصدده من الفتك به عليه السلام لأنه يلزم من استيفاء الله اجله وموته حتف انفه ذلك).

---

(١) الفتاوى ص ٦٣

وقال الدكتور احمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان (١) :

(ويقول الآلوسي ان قوله تعالى " انى متوفيك " معناه على الاوفق انى مستوفى اجلك وميتك موتا طبيعيا لا اسلط عليك من يقتلك) .

فتعبير الشيخ شلتوت بقوله : " وقد فسر الآلوسي في الاية بوجوه منها وهو اظهرها الخ ... وكذلك تعبير الشلبي بقوله : ويقول الآلوسي ان قوله تعالى " انى متوفيك " معناه على الاوفق .... الخ . فيهما وهم وشبهة وتشكيك وخصوصا التعبير الذى جاء به الشلبي اذ يفهم القارئ من هذين التعبيرين ان الآلوسي على هذا الرأى اى قوله بوفاة المسيح مع انه قد رد هذا الرأى صراحة ... وبيان ذلك ان الآلوسي قد أتى في تفسيره في تأويل قوله تعالى : " انى متوفيك ورافعك الي " بثمانية اوجه - منها هذا الوجه الذى استند اليه شلتوت والشلبي - ثم علق الآلوسي على تلك الاوجه وقال (٢) : (ولا يخلو اكثر هذه الاوجه عن بعد) وبعد ذلك أبدى رأيه في هذا الموضوع بوضوح حيث يقول (٣) :

(والصحيح كما قاله القرطبي ان الله رفعه من غير وفاة ولا نوم وهو اختيار الطبرى والرواية الصحيحة عن ابن عباس) .

وتبين من هذا ان الآلوسي قد رد القول بوفاة المسيح بل تمسك برأى الجمهور وهو ان عيسى عليه السلام رفع الى السماء حيا روحا وجسدا . وأما اعتماد شلتوت والشلبي على قول الآلوسي - على حد تعبيرهما - في القول بوفاة المسيح فهو في الحقيقة انهما اعتمدا على قول من الاقوال

---

(١) ج ٢ ص ٤٣

(٢) تفسير روح المعانى ج ٣ ص ١٧٩

(٣) نفس المرجع والصفحة

التى جاء بها الالوسى فى تفسيره . وهذا القول تد رده الالوسى بصراحة كما قلنا ولكن كلاهما عبرا بتعبير يوهم القارىء بان الذى اعتمدا عليه هو نفس قول الالوسى ورأيه . فهذا من انواع التشويه والتشبيه ما لا شك فيه . فليتنبه القارىء فى مثل هذا التشبيه لئلا يقع فى شبكة هؤلاء المنكرين .

الوجه الثالث :
نقول انه يلزم من القول بوفاة المسيح عليه السلام انكار نزوله فى آخر الزمان . ويلزم من انكار نزوله انكار ما ثبت بالأدلة القاطعة على نزوله فى آخر الزمان كما سبق ذكره . فاذاً يلزم من القول بوفاته انكار للادلة القاطعة وتكذيبها وهذا لا يجوز .

الشبهة الثانية :
هى دعوى الشيخ شلتوت ان احاديث النزول احاديث مضطربة مختلفة وانها من رواية وهب بن منبه وكعب الاحبار وهما رجلان غير موثوقين عند اهل الحديث . ونص كلامه (١) :

(ويعتمدون *فى ذلك -اولا- على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال وهى روايات مضطربة مختلفة فى الفاظها ومعانيها اختلافا لا مجال معه للجمع بينها . وقد نص على ذلك علماء الحديث وهى فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الاحبار وهما من اهل الكتاب الذين اعتنقوا الاسلام وقد عرفت درجتهما فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل) .

الجواب عن هذه الشبهة :
نقول ان دعوى الاضطراب والاختلاف فى الفاظ احاديث النزول ومعانيها غير صحيح . اذ ان كل من له أدنى علم ومعرفة بالحديث يعلم يقينا ان تلك الاحاديث متفقة متعاضدة لا اضطراب فيها

---

(١) الفتاوى ص ٦١ -٦٢

* اى يعتمد الجمهور على نزول المسيح

ولا اختلاف بينها : فقد كان سلف الأمة وأئمتها ومحدثوها وفقهاؤها كلهم قبلوا هذه الأحاديث ودونوها فى الصحاح والسنن وفى كتب العقيدة وغيرها من مؤلفاتهم بل اجمعوا على القول بنزوله فى آخر الزمان (١) . فلو كانت الاحاديث فى نزول عيسى مضطربة ومتعارضة كما قاله شلتوت لما قبلوها ولما اجمعوا على القول بنزوله .

واما قوله "وقد نص على ذلك - أى على الاضطراب والاختلاف - علماء الحديث" فهذا الكلام غير مسلم : فان علماء الحديث قبلوا هذه الاحاديث ودونوها فى كتب الصحاح والسنن والمسانيد ولم ينبّه على ذلك احد منهم بل صححوها .

واما قوله : ان الأخبار عن رفع المسيح ونزوله من روايات كعب الاحبار ووهب بن منبه ... الخ فهذا غير صحيح . فأحاديث النزول التى سقتها من قبل وقد بلغ عددها سبعة وثلاثين حديثا مرفوعا وعشرة احاديث موقوفة لم يوجد من بينها حديث واحد رواه وهب بن منبه او كعب الاحبار . وكذلك تتبعت جميع الاحاديث التى ذكرها التويجرى فى كتابه "اتحاف الجماعة" وعددها يزيد عن خمسين حديثا مرفوعا فما وجدت من بينها ايضا حديثا واحدا من رواية وهب بن منبه او كعب الاحبار (٢) .

فأى مصدر يستند اليه شلتوت فى هذه الدعوى ؟ واى كتاب تمسك به فى هذه الافكار ؟ والحقيقة انه لم يستند الى شىء بل قال هذه من عنده نفسه .

والذى يظهر من هذه الدعوى ان الشيخ شلتوت حاول تشويه نظر

---

(١) انظر اتحاف الجماعة للتويجرى ج ٢ ص ٢٥٤

(٢) نفس المصدر ص ٢٢٥ وما بعدها .

المسلمين بطريق غير صحيح بأن رفع عيسى عليه السلام الى السماء ونزوله في آخر الزمان من افكار اهل الكتاب و من تعاليمهم و ليس من الاسلام فـــي شيء . ولذلك اسند اخبار الرفع والنزول الى وهب بن منبه و كعـــب الاحبار حيث ان كلا منهما من اهل الكتاب الذين اعتنقوا الاسلام فأدخلا تعاليم النصارى في الاسلام حسب زعمه . واما الشلبي فقد صرح في ذلك حيث يقول (١) :

(و نختم هذا البحث بأن نقرر ان الاعتقاد بأن عيسى رفع بجسمه وروحه اعتقاد متأثر بالاتجاه المادي في الانســـان و متأثر كذلك بالفكر المسيحي الذي يرى ان عيسى هو الالـــه نزل من السماء ثم رفع للجلوس بجوار ابيه الاله الاب) .

الجواب عن هذا نقول ان رفع عيسى عليه السلام الى السماء حيا ونزوله في آخر الزمان ثابت بالكتاب والسنة واجماع سلف الأمة كما سبق . فيجب علينا قبوله والايمان به بقدر ما ثبت لا بالزيادة ولا بالنقصان . و من خالف او انكر شيئا مما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع او بواحد منها فقد توعده الله بالعذاب كما قال تعالى (٢) :

(ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) .

وقال تعالى (٣) :

(ومن يشاقق الله والرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم وســـاءت مصيرا) .

فالموافقة بين عقيدة المسلمين و بين عقيدة النصارى - من حيث المبدأ - في مسألة رفع عيسى الى السماء ونزوله في آخر الزمان ليس معنى ذلك ان المسلميـــن أخذوا هذه العقيدة من النصارى او تأثروا بأفكارهم ، اذ الموافقة بيـــن

---

(١) مقارنة الاديان الدكتور احمد شلبي ٥٨

(٢) سورة الانفال ١٣

(٣) سورة النساء ١١٥

واما تجريح شلتوت فى وهب بن منبه وكعب الاحبار كما سبق فاجاب عنه التويجرى وقال ان الشيخ شلتوت ليس ممن يعرف الرجال حتى يقبل قوله في الجرح والتعديل . فاما كعب الاحبار فقد روى عنه كثير من الصحابة وجماعة من كبار التابعين واخرج له البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وغيرهم من الائمة . ولو كان الامر فيه كما يظن المبطلون لبين هؤلاء الائمة حاله ولم يخرجوا عنه . واما وهب بن منبه فقد اخرج حديثه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وغيرهم وهذا كاف لتعديله وقد وثقه كثير من أئمة رجال الجرح والتعديل كالذهبي والعجلى وابن حجر والعسقلانى والنسائى وغيرهم (١) .

الشبهة الثالثة :

من الشبه التي اتى بها منكرو نزول عيسى عليه السلام قولهم أن الاحاديث عن نزول عيسى عليه السلام احاديث احاد فاحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة . يقول الشيخ احمد مصطفى المراغى فى تفسيره (٢) :

(وحديث الرفع والنزول آخر الزمان حديث آحاد يتعلق بأمر اعتقادى ، والامور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالدليل القاطع من قرآن او حديث متواتر ولا يوجد هنا واحد منها) .

ويقول الشيخ محمود شلتوت في " الفتاوى " ردا على الجمهور الذين تمسكوا بأحاديث النزول (٣) :

(واذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد وقد اجمع العلماء على ان احاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات) .

وقد جاء مثل هذا المعنى فى تفسير المنار (٤) .

---

(١) نفس المرجع ص ٢٥٩ بالاختصار والتصرف

(٢) تفسير المراغى ج٣ ص ١٦٩

(٣) الفتاوى ص ٦٢

(٤) انظر تفسير المنار رشيد رضا ج٣ ص ٣١٧

الجواب على هذه الشبهة :

ان دعوى الاحاد فى احاديث نزول المسيح عليه السلام فى آخر الزمان غير صحيح لأنه بعد التتبع لهذه الاحاديث وجدناها متواترة ، اذ رواها كثير من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالاحاديث المرفوعة التى اوردتها فيما سبق رواها تسعة عشر صحابيا . وهناك احاديث اخرى كثيرة رواها الاصحاب الاخرون لم اذكرها فى هذا الكتاب . فاذا اضفنا هذه على ما ذكرته صار عدد الصحابة الذين رووا احاديث نزول عيسى عليه السلام يزيد على عشرين صحابيا . وهذا العدد يزيد بكثير عن الحد الادنى للتواتر. اذ ان اقل عدد الرواة فى الاخبار المتواترة عشرة اشخاص على القول المختار.(١)

قال المودودى ما معناه ان الاحاديث عن نزول المسيح فى اخر الزمان اكثر من سبعين حديثا عن اربعة وعشرين صحابيا واما الرواة الذين سمعوا هذه الاحاديث عن الصحابة ورووها عنه والرواة الذين بلغوا عنهم ممن تبعهم من اصحاب كتب الحديث فيكاد يزيد عددهم على مائة نفر واكثرهم ثقات . وهم من سكان مختلف الاقطار . واكثرها متصلة الاسناد من اصحاب كتب الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم(٢) .

وهذا يدل على ان هذه الاحاديث متواترة متصلة الاسناد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد نص على ذلك كثير من كبار العلماء رضوان الله عنهم .

قال ابن كثير فى تفسيره (٣) ج

(وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر تيسير مصطلح الحديث للطحان ص١٩

(٢) انظر ما هى القاديانية المودودى ١٥٢

(٣) ج ٤ ص ١٣٢ - ١٣٣

انه اخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة اماما عادلا وحكما مقسطا) .

وقال الامام الكوثرى رحمه الله فى كتابه " نظرة فى مزاعم من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة " ص ٤٤ كما نقله الشيخ عبد الفتاح ابو غدة فى تعليقه على كتاب " التصريح لما تواتر فى نزول المسيح "(١) :

(والتواتر فى حديث نزول عيسى عليه السلام تواتر معنوى حيث تشاركت احاديث كثيرة جدا بينها الصحاح والحسان بكثرة فى التصريح بنزول عيسى مع اشتمال كل حديث منها على معانى اخرى وهذا ما لا يستطيع انكاره احد ممن شم رائحة علم الحديث) .

وقال أبو محمد بن جعفر الكتانى (٢) :

(والحاصل ان الاحاديث الواردة فى المهدى المنتظر متواترة وكذا الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام) .

وقال ابو الحسن الخسعى الأبدى فى مناقب الشافعى كما جاء فى فتح البارى(٣) :

(تواترت الاخبار بأن المهدى من هذه الأمة وان عيسى يصلى خلفه) .

تلك النصوص من كبار العلماء تدل على تواتر احاديث نزول عيسى فى آخر الزمان . وبذلك تبين ان دعوى الآحاد فيها باطلة .

---

(١) انظر فى هامش كتاب التصريح لما تواتر في نزول المسيح للشيخ محمد انور شاه الكشميرى تحقيق محمد ابو غدة ص٥٨

(٢) نظم المتناثرة من الحديث المتواتر ابو محمد بن جعفر الكتانى ص ١٤٧

(٣) فتح البارى ابن حجر ج ٢ ص ٤٩٣ - ٤٩٤

هذا ولم يكتف الشيخ شلتوت و من ذهب مذهبه في انكار تواتر احاديث النزول بل انكروا افادة العلم اليقيني بأخبار الآحاد الصحيحة حيث لا يعتمد عليها في امور العقيدة . وافحش من ذلك ان بعضهم اسند هذا القول الى اجماع العلماء كما فعله الشيخ شلتوت كما مر ذكره ،

والجواب عن هذا ان يقال من هؤلاء العلماء الذين اجمعوا على هذا القول الباطل ؟ أهم من علماء السنة ام هم من اهل البدع من الجهمية او المعتزلة و من نحا نحوهم ؟ فان كان المراد بأولئك الفريق الاخير فاجماعهم لا يعتد به . فان كان المراد باولئك الفريق الاول وهم اهل السنة والجماعة فحاشا وكلا أن المعروف عنهم انهم قبلوا اخبار العدول الثقات سواء كانت متواترة او احادا . والروايات عنهم بقبول اخبار الاحاد كثيرة نسوق منها مايلي :

قال الامام احمد كما ذكره التويجرى في اتحاف الجماعة (١) :

(كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد جيد اقررناه واذا لم نقر بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ودفعناه وردد ناه رددنا على الله امره ، قال الله تعالى(٢) وما اتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا ")

وقال ابو سليمان والحسين بن على الكرابيسى والحارث بن أسد المحاسبي وغيرهم كما ذكره ابن حزم الظاهرى (٣) :

(ان خبر الواحد العدل عن مثله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب العلم والعمل معا) .

ثم يقول ابن حزم : وبهذا نقول .

---

(١) ج ١ ص ٤

(٢) سورة الحشر ٧

(٣) الاحكام في اصول الاحكام ابن حزم ص ١٠٧ وفيه بحث قيم في هذا الموضوع .

واورد ابن القيم فى كتابه " مختصر الصواعق المرسلة فى الرد على الجهمية والمعطلة " اقوال العلماء فى وجوب العلم والعمل بخبر الواحد وقال (١) :

(وقال ابن ابى يونس في اول الارشاد " و خبر الواحد يوجب العلم والعمل جميعا " ونص القاضى ابو يعلى على هذا القول فى الكفاية وقال الشيخ ابو اسحاق الشيرازى فى كتبه " الاصول كالتبصرة و شرح اللمع وغيرها و هذا لفظه فى الشرح : و خبر الواحد اذا تلقته الأمة بالقبول يوجب العلم والعمل سواء عمل به الكل او البعض ولم يحك فيه نزاعا بين اصحاب الشافعى . وحكى هذا القول القاضى عبد الوهاب من المالكية عن جماعة من الفقهاء وصرحت الحنفية فى كتبهم بأن الخبر المستفيض يوجب العلم) .

و ممن قال بافادة العلم باخبار الآحاد كما ذكره ابن القيم الامام مالك والامام الشافعى واصحاب ابى حنيفة وداود بن على واصحابه كأبى محمد بن حزم ونص عليه الحسين بن على الكرابيسى والحارث بن اسد المحاسبى (٢) .

مما تقدم تبين لنا ان كبار العلماء و أئمة الامة تلقوا بالقبول أخبار الاحاد التى صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونصوا على انها تفيد العلم والعمل معا . فأين اذًا مستند شلتوت و من معه فى دعواهم بعدم افادة العلم بأخبار الاحاد ؟ وأى مصدر يتمسك به شلتوت في دعوى الاجماع على عدم صحة الاعتماد على احاديث الآحاد فى الامور الاعتقادية ؟

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة فى الرد على الجهمية والمعطلة ج٢ص ٣٦٣

(٢) نفس المرجع ص ٣٦٢ بتصرف

والظاهر انهم لم يستندوا على شيء بل يقولون ذلك من عند انفسهم لجذب الناس الى قبول آرائهم الباطلة .

وقبل ان انتقل الى مناقشة الشبه الأخرى اود ان اورد هنا بعض الأدلة على وجوب الأخذ باخبار الآحاد والعمل بها لكي لا يشك القارىء في هذه المسألة . ولئلا ينخدع باقوال هؤلاء المخالفين .

و تلك الأدلة منها قوله تعالى :

(ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فأولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم) (١)

قال القرطبي في تفسيره (٢) لهذه الاية :

(وفيه دليل على وجوب العمل بقول الواحد لأنه لا يجب عليه البيان الا وقد وجب قبول قوله) .

و منها حديث عبدالله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(بلغوا عني ولو آية ... الحديث) رواه البخاري (٣)

فالأمر بالتبليغ يعم الواحد فما فوقه و هذا يدل على وجوب قبول اخبار الآحاد والعمل بها اذ لا معنى للتبليغ اذا لم يجب قبوله .

و منها ايضا ابعاث الرسول صلى الله عليه وسلم رسله آحاد وارسال كتبه مع احاد . روى البخاري عن ابن عباس قال :

(بعث النبي صلى الله عليه وسلم دحية الكلبي بكتابه الى عظيم بصرى ان يدفعه الى قيصر) (٤)

---

(١) سورة البقرة ١٥٩-١٦٠

(٢) ج ٢ ص ١٨٥

(٣) البخاري ج ٤ " كتاب احاديث الانبياء ٦٠ " باب ما ذكر عن بني اسرائيل ٥٠ ص ١٤٥

(٤) البخاري ج ٨ كتاب اخبار الاحاد ٩٥ باب ما كان يبعث النبي عليه السلام من الامراء والرسل .. ٤) ص ١٣٦

وروى البخارى ايضا عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان عبد الله بن عباس اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه الى كسرى فأمره ان يدفعه الى عظيم البحرين يدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قرأه كسرى مزقه ... الحديث) (١)

فهذان الحديثان وغيرهما كثير تدل على وجوب قبول اخبار الاحاد اذ لو لم يجب قبولها والعمل بها لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله آحادا ولما يرسل رسائله مع الآحاد .

هذا وقد حكم بعض العلماء على تكفير من ينكر ما ثبت باخبار الاحاد . قال ابن القيم (٢) :

(وقد ذهب جماعة من اصحاب احمد وغيرهم الى تكفير من يجحد ما ثبت بخبر الواحد العدل . والتكفير من مذهب اسحاق بن راهويه) .

تبين مما سبق انه اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يفيد العلم والعمل معا . فيجب علينا قبوله واخذه سواء كان فيما يتعلق بالشريعة او العقيدة وسواء في ذلك ما عقلناه واطلعنا حقيقته وحكمته ام لا . وذلك من تحقيق الشهادة بأنه رسول الله وانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى كما قال الله تعالى :(٣)

(وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) .

الشبهة الرابعة : ومن الشبه التى جاء بها شلتوت قوله (٤) :

(انه ليس فى القرآن ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين

---

(١) نفس المصدر السابق
(٢) مختصر الصواعق المرسلة " ابن القيم " ج ٢ ص ٣٦٨
(٣) سورة النجم ٣ - ٤
(٤) الفتاوى محمود شلتوت ص ٦٥

عقيدة يطمئن اليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه الى السماء وانه حى الى الان فيها وانه سينزل منها فى آخر الزمان الى الأرض) .

وبناء على ذلك يقول (١) :

(ان من انكر ان عيسى قد رفع بجسمه الى السماء وانه فيها حى الى الان وانه سينزل منها آخر الزمان فانه لا يكون منكرا لما ثبت بدليل قطعى) .

وجوابنا على هذا نقول : ان دعوى عدم وجود الأدلة القاطعة من الكتاب والسنة على رفع عيسى عليه السلام الى السماء حيا وعلى نزوله فى آخر الزمان باطلة . وكذلك دعوى ان منكر رفعه ونزوله لا يكون منكرا لما ثبت بالأدلة القطعية هذا باطل ايضا لأن ما سبق من الأدلة من الكتاب والسنة والاجماع تفيد قطعا ويقينا على ان عيسى عليه السلام قد رفع الى السماء حيا وسينزل فى آخر الزمان . فاذا كان انكار رفعه حيا ونزوله فى آخر الزمان انكارا لما ثبت بالقرآن والسنة والاجماع . والله أعلم .

وتشككت بعض المنكرين فى رفع عيسى الى السماء وبقائه حيا الى الآن اذ يستلزم من ذلك ان يحتاج جسده الى الطعام والشراب وغيرهما من خواص الأجسام (٢) .

والجواب عن هذا من وجهين :

الوجه الأول : نقول ان رفعه الى السماء وبقاءه حيا الى الان من معجزات المسيح وليس من المستبعد ان تحصل له معجزات اخرى وهو فى السماء كحصوله على جميع ما يحتاج اليه الجسد من الطعام والشراب وغيرهما وقد ذكرنا فيما سبق

---

(١) نفس المصدر والصفحة

(٢) راجع " مقارنة الاديان " الدكتور احمد شلبى ج ٢ ص ٥٧

ان من معجزاته انزال المائدة من السماء . فلا مانع ان يحدث له مثل هذه المعجزة وهو في السماء . والله اعلم.

الوجه الثاني : ان يقال ان الله تعالى قادر، وقدرته شاملة وعامة لا حد لهـــا وهو قادر على حفظ جسد عيسى عليه السلام بدون اكل وشرب وبدون اشباع ما يحتاج اليه الجسد . كما حفظ اجساد اصحاب الكهف سنين طويلة بدون اشباع اى شيء مما تحتاج اليه اجسادهم ولم تتغير هذه الاجساد بمرور الزمان كما قال الله تعالى (١) :

(ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازداد تسعا) .

وهذا الأمر ليس بعسير على الله تعالى وهو على كل شيء قدير . قال الله تعالى (٢) :

(لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير) .

وتأول بعض المنكرين نزول عيسى وحكمه في الارض بانتصار الحق وغلبة روحه وسر رسالته على الناس . كما تأول الدجال بانه رمز للخرافات . يقـــول المراغي في تفسيره (٣) : بعد ان رد احاديث النزول :

(او ان المراد بنزوله وحكمه في الأرض غلبة روحه وسر رسالته على الناس بالأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها) .

ثم يقول عن الدجال (٤) :

(واما الدجال فهو رمز الخرافات والدجل والقبائح التـي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ باسرارها وحكمها) .

---

(١) سورة الكهف ٢٥

(٢) سورة المائدة ١٢٠

(٣) تفسير المراغي ج٣ ص ١٦٩

(٤) نفس المرجع ص ١٧٠

وذكر رشيد رضا فى تفسيره ان استاذه الشيخ محمد عبده سئل عن الدجال فاجاب عن ذلك كما قاله المراغى حيث قال (١) :

(ان الدجال رمز للخرافات والدجل ...)

اقول ان هذا التأويل باطل و تحريف للكلم عن مواضعه ويلزم على هذا التأويل ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد اخبر الناس باشياء لا حقيقة لهـــا . ولا يخفى هذا التأويل من الطعن والقدح في الرسول صلى الله عليه وسلم و رميه بالكذب (٢) ـ والعياذ بالله من ذلك ـ كما يلزم على هذا التأويل تكذيب ما تواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم من الاحاديث عن نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال و حكمه بشريعة الاسلام و تكذيب ما اجمع عليه سلف الأمة على ذلك فالله يحكم على ما يقولون .

الشبهة الخامسة :

و من الشبه التى جاء بها بعض المنكرين قولهم ان نزول عيسى فى آخر الزمان معارض لختم النبوة . هذه الشبهة جاء بها بعض المعتزلة والجهمية . وقالوا ان احاديث النزول مردودة بختم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الثابت بالكتاب والسنة والاجماع و بشريعته المؤبدة الى يوم القيامة لا تنسخ .

الجواب :

ان هذا الاستدلال فاسد و مردود لأنه ليس المراد بنزوله عليه السلام انه ينزل بشرع جديد ينسخ شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بل يكون تابعا لدينه و حاكما بشريعته كما دلت على ذلك الأحاديث(٣) .

---

(١) تفسير المنار ج٣ص ٣١٧

(٢) راجع اتحاف الجماعة للشيخ حمود التويجرى ج٢ص ٢٦٤ ومابعدها فانه تكلم بكلام طويل حول هذا الموضوع ورد على تأويل ابى عمية فى الدجال و نزول عيسى .

(٣) راجع اتحاف الجماعة الشيخ حمود التويجرى ج٢ ص ٢٥٧

وبناءا على ذلك فلا يكون نزوله فى اخر الزمان منافيا لختم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما زعم هؤلاء المنكرون .

قال ابو حيان (١) :

(وروى عنه عليه السلام الفاظ تقتضى نصا انه لا نبى بعده صلى الله عليه وسلم . والمعنى انه لا يتنبأ احد بعده . ولا يرد نزول عيسى آخر الزمان لا نه ممن نبىء قبله و ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته) .

وقال الالوسى فى تفسيره (٢) :

(ولا يقدح فى ذلك " أى ختم النبوة " ما اجمعت الأمة عليه واشتهرت فيه الاخبار ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوى ونطق به الكتاب على قول ووجب الايمان به واكفر منكره كالفلاسفة من نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان لأنه كان نبيا قبل تحلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى هذه النشأة) .

وقال الزمخشرى (٣) :

(فان قلت كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل فى آخر الزمان ؟ قلت معنى كونه آخر الانبياء انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبىء قبله . وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته) .

وسيأتى الكلام مفصلا عن حكمه بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى الفصل الخامس ان شاء الله .

---

(١) تفسير البحر المحيط ج ٧ ص ٢٣٦

(٢) روح المعاني ج ٢٢ ص ٣٤

(٣) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٦٥

الفصل الخامس

حكمه بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم

اتفق علماء المسلمين على ان نزول عيسى بن مريم الى الأرض لا يكون كنبي مرسل من الله تعالى بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يوحى اليه بشريعة جديدة ناسخة لشريعة الاسلام او مكملة لها . لأن ذلك ينافي ختم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وينافي كمال شريعة الاسلام وشمولها . بل يكون نزوله كخليفة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يؤيد دينه ويجدد دعوته وينفذ شرائعه واحكامه كما جاء في الاحاديث .

ومن الأحاديث التي وردت في ذلك :

١ - ما روى عن نافع مولى ابى قتادة الانصاري عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم) رواه الشيخان وأحمد . (١)

وفي رواية أخرى لمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" كيف انتم اذا نزل فيكم ابن مريم فأمّكم منكم ؟ " فقلت لابن أبي ذئب ان الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن ابى هريرة " وامامكم منكم " قال ابن ابى ذئب تدري ما أمّكم منكم قلت تخبرني قال فامّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم " (٢)

---

(١) البخاري ج ٤ " كتاب احاديث الانبياء ٦٠ باب نزول عيسى بن مريم ٤٩ ص ١٤٣ ومسلم م١ كتاب الايمان ١ باب نزول عيسى بن مريم ٧ ص ١٣٦ ومسند الامام م ٢ ص ٤٩٤ .

(٢) مسلم نفس الكتاب والباب ص ١٣٧

قال ابن حجر(١) فى قوله "وامامكم منكم" : (يعنى انه يحكم بالقرآن لا بالانجيل) .

٢ - وما روى عن سمرة جندب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عن الدجال وفيه . . .

(ثم يجئ عيسى بن مريم عليهما السلام من قبل المغرب مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملته فيقتل الدجال ثم انما هو قيام الساعة) . رواه الامام احمد والطبرانى وقال الهيثمى ورجاله رجال الصحيح (٢) .

٣ - وما روى عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن الدجال - وفيه قال :

(يلبث الدجال فيكم ما شاء الله ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقا بمحمد وعلى ملته اماما مهديا وحكما عدلا فيقتل الدجال . . .) رواه الطبرانى فى معجم الكبير والبيهقى فى البعث بسند جيد كما ذكره السيوطى فى الحاوى للفتاوى (٣) .

٤ - وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(. . . . وينزل عيسى بن مريم فيؤم مهم فاذا رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قتل الله الدجال واظهر المؤمنين) .

رواه ابن حبان فى صحيحه(٤) .

---

(١) انظر فتح البارى ج٦ ص ٤٩٤

(٢) مسند الامام احمد م٥ ص ١٣ ومعجم الكبير للطبرانى ج٧ ص ٢٦٧ وانظر مجمع الزوائد للهيثمى ج٧ ص ٣٣٦

(٣) انظر الحاوى للفتاوى للسيوطى ج٢ ص ١٥٦

(٤) موارد الظمان الى زوائد ابى حبان للهيثمى كتاب الفتن باب ما جاء فى الكذابين والدجال ص ٤٦٩ .

قال السيوطى (١) :

(ووجه الاستدلال من هذا الحديث ان عيسى يقول فى صلاته يومئذ سمع الله لمن حمده و هذا الذكر فى الاعتدال من خواص صلاة هذه الأمة كما ورد في حديث ذكرته فى كتاب المعجزات والخصائص) .

هذه الأحاديث تدل صراحة ان عيسى عليه السلام حينما ينزل من السماء يكون مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم و تابعا لدينه وحاكما بشريعته . ويكون من ضمن هذه الأمة وان لن تعزل نبوته السابقة وقد اجمع العلماء على ذلك و نصوا فى كتبهم ومؤلفاتهم .

قال السفارينى فى شرح عقيدته (٢) :

(وقد انعقد اجماع الأمة على انه ينزل و يحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وان كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها) .

وقال الحافظ ابن حجر فى شرح معنى الحديث "ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا" (٣) :

(و المعنى انه ينزل حاكما بهذه الشريعة فان هذه الشريعة باقية لا تنسخ بل يكون عيسى حاكما من حكام هذه الأمة) .

وقال السيوطى (٤) :

(انه يحكم بشرع نبينا لا بشرعه نص على ذلك العلماء ووردت الاحاديث وانعقد الاجماع . فمن جملة نصوص العلماء فى

---

(١) الحاوى للفتاوى ج٢ ص١٥٦
(٢) لوامع الانوار البهية للسفارينى ج٢ ص ٩٥٠
(٣) فتح البارى لابن حجر ج٦ ص ٤٩١
(٤) الحاوى للفتاوى ج٢ ص ١٥٥

ذلك قول الخطابى فى معالم السنن عند ذكر حديث ان عيسى يقتل الخنزير . " فيه دليل على وجوب قتل الخنزير وبيان ان اعيانها نجسة وذلك لأن عيسى عليه السلام انما يقتل الخنزير على حكم شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - لأن نزوله انما يكون فى آخر الزمان وشريعة الاسلام باقية) .

وقال الامام النووى (١) :

(ينزل (عيسى عليه السلام) حاكما بهذه الشريعة لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة) .

وقال العلامة محمود شكرى الالوسى (٢) :

(ثم انه عليه السلام حين ينزل باق على نبوته السابقة لم يعزل عنها بحال لكنه لا يتعبد بها لنسخها فى حقه وحق غيره وتكليفه بأحكام هذه الشريعة اصلا وفرعا فلا يكون اليه عليه السلام وحى ولا نصب احكام بل يكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحاكما من حكام ملته بين امته) .

وقال الشيخ عبدالحق الدهلوى (٣) :

(وقد ثبت بالتحقيق من الاحاديث الصحيحة ان عيسى سينزل تابعا لدين محمد صلى الله عليه وسلم ويحكم بشريعته صلى الله عليه وسلم) .

---

(١) شرح مسلم للنووى ج ٢ ص ١٨٩

(٢) روح المعانى للالوسى ج ٢٢ ص ٣٤

(٣) اشعة اللمعات شرح المشكاة ج ٤ ص ١١٧

ولعل القارئ يتساءل كيف يعرف عيسى عليه السلام احكام هذه الشريعة المحمدية فيحكم بها وقد رفع الى السماء قبل ظهور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمئات السنين ؟

يمكن ان يجب على هذا السؤال ان معرفة عيسى عليه السلام باحكام هذه الشريعة بثلاثة طرق :

الطريق الأول : ان جميع الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام قد كانوا يعلمون في زمانهم بجميع شرائع من قبلهم و من بعدهم بالوحي من الله تعالى على لسان جبريل و بالتنبيه على بعض ذلك في الكتب التي انزلت اليهم .

وقد نص القرآن الكريم على ذلك و هو قوله تعالى (١) : (وانه لفي زبر الأولين) الزبر الكتب الواحد الزبور . اى ان هذا القرآن باعتبار احكامه التي اجمعت عليها الشرائع مذكور في كتب الأولين . وهذا هو المعنى الذى اختاره الشوكاني (٢) .

وقال السيوطي في الحاوي (٣) :

(فقد دلت هذه الآية وكلام السلف في تفسيرها على ان المعاني التي تضمنتها القرآن موجود في كتب الله السابقة . وقد نص على هذا بعينه الامام ابو حنيفة حيث استدل بهذه الاية على جواز قراءة القرآن بغير اللسان العربي وقال ان القرآن مضمن في الكتب السابقة و هي بغير اللسان العربي اخذا من هذه الآية) .

ثم اضاف السيوطي قائلا (٤) :

(ومما يشهد بذلك وصفه تعالى للقرآن في عدة مواضع بأنه

---

(١) سورة الشعراء ١٩٦

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ١١٧

(٣) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٩

(٤) نفس المرجع والصفحة .

مصدق لما بين يديه من الكتب فلولا ان ما فيه موجود فيها لم يصح هذا الوصف ، من ذلك قوله تعالى (١) :

" وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ") .

ويؤيد ما ذكر ما ورد في الاثار ان الكتب السابقة بشرت بمجيء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وانه خاتم الانبياء والمرسلين واخبرت احوال أمتـــــه وامتيازاته التي فضلها الله تعالى اياها على سائر الأمم كما اخبرت جميـع احكامه وشرائعه صلى الله عليه وسلم. وقد اخبر ذلك الأنبياء والرســـل السابقون أممهم . ولذلك وجدنا كثيرا من الأحبار والرهبان في زمـن الرسول صلى الله عليه وسلم قد آمنوا بدعوته لأن صفته وتماليمه مذكور في كتبهم .

ومن ذلك الاحاديث والآثار :

١ - ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة عن وهب بن منبه قال :

(ان الله عز وجل لما قرّب موسى نجيا قال : رب اني اجد في التوراة امة خير أمة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمـــــة أحمد . قال : " رب اني أجد في التوراة امة هم الاخرون من الأمم السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتي . قال تلك أمة محمد . قال : رب اني اجد في التوراة أمة اناجيلهم في صدورهم يقرؤنها وكان قبلهم يقرؤن كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم امتي قال : تلك أمة أحمد . قال: رب اني أجد في التوراة أمة يؤمنون بالكتاب الاول والاخر ويقاتلون رؤس الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب فاجعلهم امتي . قال : " تلك أمة محمد . قال : رب اني اجد في التوراة أمة يأكلون صدقاتهم

---

(١) سورة المائدة ٤٨

في بطونهم وكان من قبلهم اذا اخرج صدقة بعث الله عليها نارا فأكلتها فان لم تقبل لم تقربها النار فاجعلهم امتي قال تلك أمة أحمد .

قال: رب انى أجد في التوراة امة اذا هم احدهم بسيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة . واذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشر حسنات الى مائة ضعف فاجعلهم امتي . قال تلك أمة احمد . قال : رب انى اجد في التوراة امة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي . قال تلك أمة أحمد) .(١)

٢ - وما أخرجه البيهقي ايضا في دلائل النبوة وابن عساكر في تاريخه عن وهب بن منبه في قصة داود النبي صلى الله عليه وسلم وما اوحى اليه في الزبور يا داود انه سيأتي من بعدك نبي يسمى احمد ومحمد صادقا سيدا لا اغضب عليه ابدا . ولا يغضبني أبدا وقد غفرت له قبل ان يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة اعطيتهم من النوافل مثل ما اعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتوني يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء وذلك انى افترضت عليهم ان يتطهروا لكل صلاة ، كما افترضت على الانبياء قبلهم وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء قبلهم وأمرتهم بالحج كما أمرت الانبياء قبلهم وامرتهم بالجهاد كما امرت الرسل قبلهم يا داود فانى فضلت محمدا وامته على الأمم كلها . اعطيتهم ستة خصال لم اعطها غيرهم من الأمم لا أؤآخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب ركبوه

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٣٧

على غير عمد اذا استغفرونى منه غفرته لهم . وما قدموا لآخرتهم من شئ طيبة به انفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم فى المغفور عندى اضعافا مضاعفة وأفضل من ذلك واعطيتهم على المصائب فى البلايا اذا صبروا وقالوا : انا لله وانا اليه راجعون . الصلاة والرحمة والهدى الى جنات النعيم فان دعونى استجبت لهم . فأما ان يروه عاجلا واما ان اصرف عنهم سوءا و اما ان أدخره لهم فى الآخرة . يا داود من لقيني من امة محمد يشهد ان لا اله الا انا وحدى لا شريك لى صادقا بها فهو معى فى جنتى وكرامتى . ومن لقيني وقد كذب محمدا وكذب بما جاء به واستهزأ بكتابى صببت عليه فى قبره العذاب صبا وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره من قبره ثم ادخله في الدرالاسفل من النار)(١) .

٣ - ما أخرجه ابو نعيم في دلائل النبوة عن كعب الاحبار قال : (صفة هذه الأمة في كتاب الله المنزل " خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا اراد احدهم امرا قال افعله ان شاء الله واذا اشرف احدهم على شرف كبر الله واذا هبط واديا حمد الله . الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرّ محجلون من آثار الوضوء) ذكر هذا الأثر السيوطى فى الحاوى للفتاوى (٢) .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ج ١ ص ٣٣٧ - ٣٣٨ وتهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ج ١ ص ٣٤٤ - ٣٤٥

(٢) الحاوى للفتاوى للسيوطى ج ٢ ص ١٥٨

ومما تقدم من الأدلة تبين ان الله تعالى قد أخبر انبياءه ورسله السابقين - ومنهم عيسى بن مريم - بأنه سيجيء نبي ورسول اسمه محمد صلى الله عليه وسلم وانه خاتم الانبياء والمرسلين وبين لهم شرائعه واحكامه وكل ما يتعلق بأمته وما يحدث فيها من حوادث وفتن وغيرها . فلذلك عندما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان يستطيع ان يحكم بهذه الشريعة دون احتياج الى اجتهاد او تعلم او تقليد لأنه قد عرفها قبل ان يرفع الى السماء بطريق الوحي عليه او بطريق قراءته للكتب السابقة كالتوراة والزبور وغيرها من الصحف .

الطريق الثاني : ان عيسى عليه السلام يمكن ان ينظر الى القرآن فيفهم منه جميع معانيه من أحكام وشرائع وغيرها من مضمون القرآن كما فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم دون حاجة الى مراجعة الحديث لأن القرآن الكريم شامل لجميع الاحكام الشرعية . او يقرأ القرآن والاحاديث معا بقراءة الشريعة فيفهم جميع ما فيها ويحفظها في صدره . فهذا غير بعيد عن عيسى عليه السلام لأنه اشتهر بالذكاء وسرعة الفهم والحفظ . كما ذكرته من قبل في باب الأول عند الكلام عن نشأته وتربيته .

الطريق الثالث : انه من الممكن ان يأخذ عيسى عليه السلام هذه الاحكام والشرائع من النبي صلى الله عليه وسلم نفسه . فانه اجتمع به عدة مرات في ليلة الاسراء وغيرها . ولذلك عده بعض العلماء من الصحابة .

قال الذهبي في تجريد اسماء الصحابة (١) :

(عيسى بن مريم عليه السلام صحابي ونبي فانه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وسلم عليه فهو آخر الصحابة موتا)

وروى ابن عدي في الكامل عن أنس رضي الله عنه قال :

---

(١) ج ١ ص ٤٣٢

(بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رأينا بردا و يدا فقلنا يا رسول الله ما هذا البرد الذى رأينا واليد ؟ قال : قد رأيتموه ؟ قلنا نعم . قال : ذاك عيسى بن مريم سلم عليّ) . واخرج ابن عساكر من طريق اخر عن أنس قال :

(كنت اطوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حول الكعبة اذ رأيته صافح شيئا لا نراه . قلنا : يا رسول الله رأيناك صافحت شيئا ولا نراه قال ذاك اخى عيسى بن مريم انتظرته حتى قضى طوافه فسلمت عليه) . أورد هذين الحديثين السيوطى فى الحاوى للفتاوى وابن حجر الهيثمى المكى فى الفتاوى الحديثة (١) ثم قال السيوطى بعد ان اورد هذين الحديثين (٢) :

(فحينئذ لا مانع من ان يكون تلقى من النبى صلى الله عليه وسلم احكامه المتعلقة بشريعته المخالفة لشريعة الانجيل لعلمه بأنه سينزل في امته و يحكم فيهم بشريعته فأخذها عنه بلا واسطة) .

هذا و قد تكلم السيوطى كلاما طويلا في هذا الموضوع و من اراد التوسع والتعمق فليراجع الى كتابه الحاوى للفتاوى جـ ٢ / ١٥٥-١٦٣ .

---

(١) الحاوى للفتاوى ج ٢ ص ١٦١ وانظر الفتاوى الحديثة ص ١٨١

(٢) نفس المكان .

الخاتمـــــــــــة

بعد ان تتبعت واستقرأت جوانب متعددة لهذا الموضوع تبين لى ان المسائل التى تتعلق بعيسى عليه السلام من المسائل المختلف فيها الناس منذ عصره الى يومنا هذا . فهم اختلفوا في شخصيته وفى ولادته ونبوته وقتله ورفعه الى السماء ونزوله فى آخر الزمان . وبعد المناقشات والتعديلات والترجيحات بين الآراء المختلفة امكن استخراج منها النتائج الآتية :

١ - ان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وامه هى العفيفة الطاهرة التى احصنت فرجها والتى اصطفاها الله على نساء العالمين وليس كما تقوله النصارى الضالة من ان عيسى ابن اللـــه او هو نفسه الله - تعالى الله عما يقولون - ولا كما تقوله اليهود لعائن الله وغضبه عليهم من انه ابن زنا وانه ليس نبيا ولا رسولا . والعياذ باللـــه من ذلك .

٢ - ان عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب وليس كما زعمته اليهود والنصارى بل المقتول والمصلوب هو رجل آخر شبهه الله لهم بالمسيح . واما المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فقد رفعه الله اليه .

٣ - كان عيسى عليه السلام لم يمت وقد رفع الى السماء حيا روحا وجسدا ويبقى حيا حتى الان وسينزل فى آخر الزمان .

٤ - ان نزوله فى آخر الزمان امر متيقن لا مجال للشك فيه لثبوته بالأدلة القطعية . فقد اشار اليه الكتاب واثبتته الاحاديث المتواترة واجمع عليه سلف الأمة .

٥ - ان الاحاديث عن نزوله عليه السلام احاديث متواترة رواها اكثر من عشرين صحابيا . فدعوى الاحاد والاضطراب في احاديث النزول من بعض المنكرين دعوى باطلة .

٦ - موضع نزوله كما جاء فى حديث مسلم عند المنارة البيضاء شرقى دمشـــــق .

٧ - أن من وظيفته عليه السلام بعد نزوله كما جاء في الاحاديث هو قتل الدجال واتباعه ومحو جميع الملل الا الاسلام فيصير الدين واحـــد وهو دين الاسلام. فيحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حكما عادلا .

٨ - تصير الأرض في زمنه عليه السلام أمنة حيث يلعب الصبيان بالحية فلا تضرهم وترعى الاسود مع الابل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم . وتتسع الارزاق فلا يطمع فيها احد لكثرتها .

٩ - يقيم عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله سبع سنوات على الرأى الراجح عندى ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه في روضة الرسول صلى الله عليه وسلم .

١٠ - يكون نزوله عليه السلام علامة من العلامات الكبرى على قـــرب حدوث الساعة .

تلك من النتائج التى توصلت اليها طوال بحثى لهذا الموضوع .

وبهذا فقد تم هذا الكتاب بعون الله وهدايته وله الحمد والشـــكر واليه المرجع والمآب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المراجع لهذا البحث

القرآن الكريم وما يتعلق بـــــه

١ - القرآن الكريم .

٢ - جامع البيان وتفسير القرآن - للامام محمد بن جرير الطبرى المتوفي سنة ٣١٠ هـ . الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . بمصر سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤م .

٣ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لابـــن القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشرى الخوارزمي ٤٦٧ - ٥٣٨ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦م .

٤ - الجامع لاحكام القرآن - لابي عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي . الطبعة الثانية - دار الكتب المصرية - ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م .

٥ - جامع البيان في تفسير القرآن - للشيخ السيد معين الدين محمد بـــن عبد الرحمن الحسني الحسيني الايجي الشافعي ٨٣٣ - ٨٩٤ هـ . علق عليه محمد بن عبد الله الغزنوى - حققه وصححه منير احمد . الطبعة الثانية - مطبعة دار نشر الكتاب الاسلامية كوجرا نواله باكستان - سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٣٧م .

٦ - تفسير القرآن العظيم - للامام الجليل الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ هـ - مطبعة دار الفكر .

٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للامام جلال الدين السيوطي المولـود سنة ٨٤٩ والمتوفي سنة ٩١١ هـ . الناشر محمد امين دمج بيروت.

٨ - تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل - لعلاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادى الشهير بالخازن المتوفي سنة ١٧٢٥ هـ - الطبعة الثانية - مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م .

٩ - احكام القرآن للامام ابي بكر احمد بن علي الرازى الجصاص المتوفي سنة ٣٧٠ هـ - دار الكتاب العربي بيروت - لبنان .

١٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان - لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابورى المتوفي سنة ٧٣٨ هـ - تحقيق ومراجعة ابراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف . الطبعة الاولى مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢م .

١١ - تفسير القرآن العظيم - للامامين الجليلين جلال الدين محمد بن احمد المحلى - والشيخ المتبحر جلال الدين بن ابي بكر السيوطي . دار احياء الكتب العربية لاصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٢ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل - للشيخ الامام محمد بن أحمد بن جزى الكلبي . الطبعة الثانية بدار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م

١٣ - تفسير كلام المنان - للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى . حققه وضبطه ونسقه وصححه محمد زهرى النجار - طبع في المؤسسة السعيدية بالرياض .

١٤ - تفسير البحر المحيط لأثير الدين بن عبد الله محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان المتوفي سنة ٦٥٤ هـ - مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض .

١٥ - معالم التنزيل - للامام البغوى المتوفي سنة ٥١٦ هـ بهامش تفسير ابن كثير. الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٧ هـ .

١٦ - تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل - لمحمد جمال الدين القاسمي ١٣٨٣ - ١٣٣٢ هـ - الطبعة الاولى بمطبعة دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م .

١٧ - تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير - للامام الشيخ الخطيب الشربيني - دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .

١٨ - التفسير الكبير - للامام الفخر الرازى - الطبعة الاولى المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م .

١٩ - تفسير النسفي - للامام الجليل ابي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي - دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٢٠ - انوار التنزيل واسرار التأويل - المعروف بتفسير البيضاوى - تأليف ناصر الدين بن سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى - مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع بيروت .

٢١ - روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للعلامة الآلوسي البغدادى المتوفي سنة ١٢٧٠ هـ تحقيق وتعليق السيد محمود سكرى الآلوسي البغدادى . دار احياء التراث العربي بيروت لبنان .

٢٢ - تفسير المراغي : تأليف احمد مصطفى المراغي الطبعة الثالثة بمطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر سنة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م .

٢٣ - الاتقان في علوم القرآن - للامام جلال الدين السيوطي الشافعي - مطبعة حجازى بالقاهرة .

٢٤ - الموجز في تفسير القرآن - المصفى - الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول - تأليف المستشار محمد رشدى حمادى . دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٢٥ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان .

٢٦ - التفسير القرآني - عبد الكريم الخطيب . دار الفكر العربي .

٢٧ - تفسير المنار - للسيد محمد رشيد رضا - مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٤ هـ .

الحديث الشريف وما يتعلق به

٢٨ - صحيح البخارى - لابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخارى الجعفي المولود عام ١٩٤ هـ والمتوفي عام ٢٥٦ هـ . طبع مؤسسة أليف اوفست ملا فنارى زقاق استانبول - تركيا سنة ١٩٧٩م .

٢٩ - صحيح مسلم - للامام ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى المولود سنة ٢٠٦ والمتوفي سنة ٢٦١ هـ - نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية .

٣٠ - سنن ابي داود - للامام الحافظ ابي داود سليمان بن الاشعث السجستاني الازدى ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ - تعليق وتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

٣١ - سنن الترمذى - وهو الجامع الصحيح - للامام ابي عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذى ٢٠٩ - ٢٧٩ . تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف - الطبعة الثالثة بمطبعة دار الفكرى سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

٣٢ - سنن النسائي - بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي . المطبعة المصرية بالأزهر .

٣٣ - سنن الحافظ ابن عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ٢٠٧ - ٢٧٥ - تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٣٤ - مسند الامام احمد - وبهامشه كنز العمال - دار صادر للطباعة والنشر بيروت .

٣٥ - المسند - للامام الحافظ الكبير ابي بكر عبد الله بن الزبير الحميدى - المتوفي سنة ٢١٩ هـ - تحقيق وتعليق الشيخ حبيب الرحمن اعظمي . الناشر المجلس العلمي " كراتشي الباكستاني ودابهيل الهند - الطبعة الاولى سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م .

٣٦ - المصنف - للحافظ الكبير ابي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني - ١٢٦ - ٢١١ هـ . تحقيق وتخريج وتعليق عليه الشيخ حبيب الرحمن اعظمي . الطبعة الاولى - المكتب الاسلامي - ببيروت لبنان سنة ١٩٧٢م .

٣٧ - المعجم الكبير للحافظ ابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني ٢٦٠ هـ - ٣٦٠ هـ - تحقيق وتخريج حمدى عبد المجيد السلفي الطبعة الاولى بمطبعة الوطن العربي - سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

٣٨ - المستدرك على الصحيحين للامام الحافظ ابي عبد الله الحاكم النيسابوري وتلخيصه للحافظ الذهبي . الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

٣٩ - موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفي سنة ٨٠٧ هـ - حققه ونشره محمد عبد الرزاق حمزة مدير الحديث بمكة المكرمة - المطبعة السلفية ومكتبتها .

٤٠ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر .
الناشر - دار الكتاب العربي بيروت لبنان - الطبعة الثانية ١٩٦٧ .

٤١ - فتح الباري بشرح صحيح للامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري - للامام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣ - ٨٥٣ . مكتبة الرياض الحديثة .

٤٢ - صحيح مسلم بشرح النووي - الطبعة الاولى - المطبعة المصرية - سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٩م .

٤٣ - فتح المنعم بشرح صحيح مسلم . الدكتور موسى شاهين لاشين - مكتبة الجامعة الأزهرية .

٤٤ - نظم المتناثر من الحديث المتواتر - للشيخ الامام ابي الفيض مولانا جعفر الحسني الادريسي الشهير بالكتاني - دار المعارف - حلب سورية .

٤٥ - تيسير مصطلح الحديث الدكتور محمود الطحان - الطبعة الثانية - دار القرآن الكريم - بيروت .

٤٦ - الاصابة في تمييز الصحابة لشيخ الاسلام احمد علي بن حجر العسقلاني المعروف بابن حجر . ٧٧٣ - ٨٥٣ هـ . الطبعة الاولى بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ هـ .

٥٣ - التصريح لما تواتر في نزول المسيح للشيخ محمد انور شاه الكشميرى الهندى تحقيق وتعليق عبد الفتاح ابو غدة . الناشر : مكتب المطبوعات الاسلامية حلس الغرافرة ، جمعية التعليم الشرعي ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م .

٥٤ - الرد على الجهمية والزنادقة للامام احمد بن حنبل تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة - الناشر : مكتبة دار اللواء - المملكة العربية السعودية الرياض ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .

٥٥ - الروح للامام شمس الدين ابي عبد الله بن القيم المعروف بابن القيم المتوفي سنة ٧٥١ هـ - الطبعة الثانية بمطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر - سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م .

٥٦ - كبرى اليقينات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - الطبعة الخامسة - دار الفكر .

٥٧ - مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة للامام المحقق محمد بن ابي بكر عرف بابن القيم - اختصره الشيخ الفاضل محمد بن الموصلي : الناشر : مكتبة الرياض الحديثة .

٥٨ - الاسلام امام افتراءات المفترين - توفيق علي وهب - مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

القصص ومايتعلق بالانبياء

٥٩ - قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس لابي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبي المتوفي سنة ٤٢٧ هـ .
المكتبة الثقافية بيروت - لبنان .

٦٠ - قصص الانبياء عبد الوهاب النجار - طبعة ثانية - مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة .

٦١ - قصص القرآن - محمود زهران - الطبعة الاولى - دار الكتاب العربي - بمصر - سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م .

٦٢ - قصص القرآن - تأليف محمد احمد جاد المولى - محمد ابو الفضل ابراهيم علي محمد البجاوى - السيد شحاته - الطبعة العاشرة بمطبعة مكتبة التجارية الكبرى بمصر - سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .

٦٣ - النبوة والانبياء - لمحمد علي الصابوني - المطبعة الثانية - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

٦٤ - حياة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام - عباس محمود عقاد - الطبعة الثانية - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان سنة ١٩٦٩م .

٦٥ - دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة - لابي بكر احمد بن الحسين البيهقي - تحقيق السيد احمد صقير .

الناشر : الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية لجنة احياء امهات كتب السنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠م .

التاريخ

٦٦ - مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودى المتوفي سنة ٣٤٦ هـ . تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد - الطبعة الثانية بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨م .

٦٧ - الكامل في التاريخ للامام العلامة ابي الحسن علي بن أبي الكرام محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزرى المتوفي سنة ٦٣٠ هـ - الطبعة الثانية بدار الكتاب العربي بيروت - لبنان سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م .

٦٨ - تاريخ الامم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى . دار القاموس الحديث للطباعة والنشر - بيروت لبنان .

٦٩ - البداية والنهاية للحافظ ابن كثير القرشي الدمشقي - الطبعة الثانية مكتبة المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧م .

٧٠ - المختصر في اخبار البشر لابي الفداء - دار الكتاب اللبناني - ببيروت.

٧١ - كتاب اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ لأبي العباس احمد بن يوسف ابن احمد الدمشقي الشهير بالقرماني - مكتبة المتنبى القاهرة .

٧٢ - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لقاضي القضاه أبي اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي - منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

٧٣ - تاريخ ابن الوردى - تأليف عمر بن الوردى .

٧٤ - تهذيب تاريخ دمشق الكبير للامام الحافظ ابي القاسم علي بن الحسين ابن هبه الله الشافعي - المعروف بابن عساكر المتوفي سنة ٥٧١ هـ هذبّه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران . الطبعة الثانية دار المسيرة بيروت سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٧٥ - قصة الحضارة تأليف "ول ديورانت" الترجمة الى العربية محمد بدران - المراقب العام للثقافة العامة بوزارة المعارف - طبعه ونشره لجنة التأليف والترجمة والنشر .

اليهودية والنصرانية وما يتعلق بهما

٧٦ - العهد العتيق - طبع في مطبعة المرسلين اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٧٩م .

٧٧ - الكنز الموجود في قواعد التلمود للدكتور روهلج - ترجمة الى العربية يوسف حنا نصر الله - الطبعة الثانية - طبع بيروت - سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

٧٨ - التلمود تاريخه وتعاليمه - ظفر الاسلام خان - الطبعة الاولى - دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت سنة ١٩٧١م .

٧٩ - حجية التعاليم الصهيونية - بولس حنا مسعد . منشورات المكتب الاسلامي بيروت - سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٦م .

٨٠ - خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية - عبد الله التل - الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٨١ - اليهودية بين المسيحية والاسلام - خلف محمد الحسني - مطبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٤م .

٨٢ - مكايد يهودية عبر التاريخ - عبد الرحمن حبنكة الميداني - طبعة ثانية - دار العلم دمشق - بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٨م .

٨٣ - الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام - الدكتور علي عبد الواحد وافي دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة .

٨٤ - هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى - للامام محمد بن ابي بكر ابن القيم الجوزية طبع في مؤسسة مكة للطباعة والاعلام من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - سنة ١٣٩٦ هـ .

٨٥ - العهد الجديد طبع في مطبعة المرسلين اليسوعيين في بيروت - الطبعة الثانية - سنة ١٨٨٢ .

٨٦ - انجيل برنابا - تحقيق احمد فاضل - الطبعة الاولى - دار القلم - الكويت - سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .

٨٧ - المجموعة الكاملة - لمخائيل نعيمة - دار الملايين - بيروت ١٩٧٥م

٨٨ - محاضرات في النصرانية - الامام محمد ابو زهرة - الطبعة الخامسة - دار الفكر العربي - سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .

٨٩ - مقارنة الاديان " المسيحية " - الدكتور احمد احمد شلبي - الطبعة الثالثة بمطبعة مكتبة النهضة المصرية لاصحابها حسن محمد وأولاده - القاهرة - سنة ١٩٦٧م

٩٠ - المسيح في القرآن والتوراة والانجيل - عبد الكريم الخطيب - الطبعة الأولى - مطبعة دار التأليف بمصر - سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م .

٩١ - النصرانية والاسلام عالمية الاسلام ودوامه الى قيامة الساعة - محمد عزت اسماعيل الطهطاوى - مطبعة التقدم بالمنيرة ١٩٧٧م .

٩٢ - بين عيسى ومحمد - محمد عبد الرحيم عنبر المحامي - الطبعة الثانية بمطبعة دار النصر للطباعة والنشر - القاهرة - سنة ١٩٦٧م .

٩٣ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الاسلام ابن تيمية ٦٦١ - ٧٢٨ هـ - مطابع المجد التجارية .

٩٤ - الفارق بين المخلوق والخالق - الحاج عبد الرحمن بك افندى باجه جي زادة - مطبعة الموسوعات بمصر .

٩٥ - الاجوبة الفاخرة شهاب الدين احمد بن ادريس المعروف بالقرافي بهامش كتاب الفارق بين الخالق والمخلوق مطبعة الموسوعات بمصر .

٩٦ - اضواء على المسيحية - الدكتور روف شلبي - مطبعة منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٩٧٥م .

٩٧ - مايجب ان يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير - ابراهيم السليمان الجبهان - الطبعة الاولى ١٣٩٧ هـ .

٩٨ - اظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى ١٢٣٣ - ١٣٠٨ هـ . تحقيق وتعليق الدكتور احمد حجازى السقار- دار التراث العربي للطباعة والنشر . ميدان المشهد الحسيني .

٩٩ - عقيدة الصلب والفداء - رشيد رضا - منقولة عن مجلة المنار - الطبعة الثانية بمطبعة المنار بمصر - سنة ١٣٥٣ هـ .

١٠٠ - منحة القريب في الرد على عباد الصليب للشيخ الفاضل عبد العزيز بن الشيخ محمد بن ناصر آل معمر من منشورات دار ثقيف للنشر والتأليف الطائف - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ١٩٧٩م

١٠١ - بين الاسلام والمسيحية - كتاب ابي عبيدة الخزرجي المتوفي سنة ٥٧٣ هـ حققه وعلق عليه الدكتور محمد شامة - مكتبة وهبة - القاهرة .

١٠٢ - حياة يسوع المسيح - الأب لويس برسوم الفرنسيسكاني - مطبعة دار العالم العربي بالقاهرة - سنة ١٩٦٠م .

١٠٣ - مذكرة في علم مقارنة الأديان - الدكتور الشيخ احمد حجازى السقا .

الفرق والمذاهب

١٠٤ - الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام ابي محمد علي بن احمد بن حزم الظاهرى وبهامشه الملل والنحل للامام ابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - الطبعة الثانية بمطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان - سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م

١٠٥ - ماهي القاديانية - ابو الاعلى المودودى - دار القلم - الكويت .

١٠٦ - القادياني والقاديانية - ابو الحسن الندوى - الطبعة الرابعة - مطبعة الدار السعودية للنشر بجدة - سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

١٠٧ - القاديانية دراسات وتحليل - لاحسان الهي ظهير - الناشر - ادارة ترجمان السنة - باكستان - الطبعة الثالثة : ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

١٠٨ - القاديانية تاريخها وغاياتها - كلزار احمد مظاهرى ناصر الدين شاه - محمد نواز - الطبعة الاولى - الشركة المتحدة للتوزيع - سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

١٠٩ - حقيقة البابية والبهائية - الدكتور محسن عبد الحميد - المكتب الاسلامي - بيروت - الطبعة الثانية - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

١١٠ - البهائية السيد محب الدين الخطيب - الطبعة الثانية - المكتب الاسلامي - بيروت .

١١١ - الحراب في صدر البهاء والباب لمحمد فاضل - الطبعة الاولى - بمطبعة دار التقدم بمصر سنة ١٩١١م .

١١٢ - المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها - الدكتور عبد الرحمن عميرة منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

اللغـــــات

١١٣ - معجم متن اللغة . موسوعة لغوية حديثة - للعلامة اللغوى الشيخ احمد رضا - مطبعة دار مكتبة الحياة - بيروت سنة ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠م .

١١٤ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - للرافعي - تأليف العلامة احمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي المتوفي سنة ٧٧٠ هـ . الطبعة السادسة بالمطبعة الاميرية بالقاهرة .

١١٥ - لسان العرب للامام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصرى - طبع بدار بيروت للطباعة والنشر - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م .

١١٦ - تاج العروس من جواهر القاموس - منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت - لبنان .

١١٧ - محيط المحيط المعلم - تأليف المعلم بطرس البستاني - طبع في بيروت - سنة ١٨٧٠م - ١٢٨٦ هـ .

١١٨ - المنجد في اللغة والأدب والعلوم - الطبعة العاشرة - المطبعة الكاثوليكية - بيروت .

١١٩ - مختار الصحاح للشيخ الامام محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازى مطبعة دار القلم - بيروت - لبنان ١٩٧٩م .

المعارف العامة

١٢٠ - دائرة المعارف القرن العشرين - محمد فريد وجدى - الطبعة الثانية بمطبعة دائرة المعارف - القرن العشرين - سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٣م

١٢١ - المقدمة - العلامة ابن خلدون - المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

١٢٢ - الاديان في القرآن الدكتور محمود الشريف - الطبعة الرابعة - بمطبعة دار عكاظ للطباعة والنشر سنة ١٩٧٩م .

الفقـــه وأصولـــــه

١٢٣ - الشريعة - للامام ابي بكر محمد بن الحسين الآجرى المتوفي سنـــة ٣٦٠ هـ - تحقيق - محمد حامد الفقي - الطبعة الاولى - مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م .

١٢٤ - الحاوى للفتاوى - في الفقه وعلوم التفسير والحديث والاصول والنحـــو والاعراب وسائر الفنون للامام جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بـــن محمد السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ - الطبعة الثانية - دار الكتـب العلمية - بيروت - لبنان .

١٢٥ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية - تصوير الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ .

١٢٦ - الفتاوى الحديثة للشيخ احمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي المكـي ٩٠٩ - ٩٧٤ الطبعة الثانية - مطبعة مصطفى البابي الحلبـــي واولاده بمصر - سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م .

١٢٧ - الفتاوى - الامام الاكبر محمود شلتوت - الطبعة الثامنة - دار الشروق القاهرة - سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

١٢٨ - الاحكام في اصول الاحكام - للحافظ ابن محمد علي بن حزم الأندلســي الظاهرة - مطبعة الامام بمصر .

المجـــلات

١٢٩ - مجلة الدعوة - العدد ٧٣٨ الاثنين ٩ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ الرياض - المملكة العربية السعودية .

١٣٠ - رسالة الطالب المسلم - مجلة اسلامية ثقافية دورية تصدرهـــــــا عمادة شئون الطلاب - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - المملكة العربية السعودية - العدد الثاني سنة ١٣٩٩/٩٨ هـ .

وبالله التوفيق والهداية .

فهارس الكتـــــاب

الموضـــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	١ - ٧
الباب الأول	
حياة المسيح عليه السلام ونبوته	٨ - ١١٨
وفيه فصـــول	
الفصل الأول : ميلاد المسيح عليه السلام ونبوته	٩
المبحث الأول : المراد من اطلاق كلمة المسيح على عيسى عليه السلام	٩
مدلول كلمة المسيح عند بنى اسرائيل	٩
اطلاق كلمة المسيح على عيسى عليه السلام	١٣
المبحث الثانى : البشارة بالمسيح والنفخ فى مريم	٢٠
مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام	٢٠
نزول الملائكة على مريم للبشارة بالمسيح والنفخ فيها	٢٥
المبحث الثالث : حمل المسيح وولادته	٣٥
مدة الحمل	٤٣
المبحث الرابع : اتهام الناس مريم وكلام المسيح فى المهد تبرئة لها .	٤٨
المبحث الخامس : معنى كون المسيح كلمة الله وروحا منه	٥٦
معنى كون المسيح كلمة الله	٥٦
معنى كون المسيح روح الله	٦٥
الفصل الثانى : نشأة عيسى عليه السلام وتربيته	٧١
الفصل الثالث : صفة عيسى عليه السلام وشمائله	٧٩

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الرابع : نبوة المسيح ودعوته	٩٢
المبحث الأول : اثبات نبوة المسيح عليه السلام	٩٢
الأدلة من القرآن	٩٢
الادلة من الاحاديث	٩٣
الأدلة العقلية " المعجزات"	٩٤
معجزات عيسى عليه السلام	٩٥
اولا - كلام المسيح فى المهد	٩٧
ثانيا - خلق الطين طيرا	٩٨
ثالثا - ابراء الأكمه والابرص	٩٩
رابعا - احياء الموتى باذن الله	١٠١
خامسا - انباء قومه بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم	١٠٣
سادسا - انزال المائدة من السماء	١٠٤
سابعا - القاء شبه عيسى على غيره ورفع عيسى الى السماء	١٠٦
متى بدأت نبوة المسيح	١٠٦
المبحث الثانى - دعوة عيسى عليه السلام	١٠٩
الباب الثانى	
المسيح فى نظر اليهود والنصارى وفيه فصلان	١١٩-١٥٨
الفصل الاول - المسيح فى نظر اليهود وموقفهم منه	١٢٠
الفصل الثانى - المسيح فى نظر النصارى وموقفهم منه	١٢٣
قول النصارى بألوهية المسيح ونبوته لله	١٣٨
المناقشة الاولى	١٤١

الموضوع	رقم الصفحة
المناقشة الثانية	١٤٣
المناقشة الثالثة	١٤٤
قول النصارى بصلب المسيح لاجل فداء الناس ومناقشته	١٥٤
قول النصارى بمحاسبة المسيح للناس ومناقشته	١٥٤
الباب الثالث	
توفى المسيح عليه السلام ورفعه	١٥٩-٢١٨
وفيه فصلان	
الفصل الأول - آراء اليهود والنصارى فى صلب المسيح واسبابه ونهايته	١٦٠
اولا - آراء اليهود في صلب المسيح	١٦٠
ثانيا - رأى النصارى فى صلب المسيح واسبابه ونهايته	١٦٢
المبحث الأول - نظرية الصلب والفداء عند النصارى وبيان بطلانها	١٦٢
المبحث الثانى - حادثة صلب المسيح ونهايته بعد الصلب	١٧٠
القبض على المسيح	١٧٠
محاكمة المسيح وما دار حولها	١٧٣
صلب المسيح وموته	١٧٩
نهاية المسيح كما تراه النصارى	١٨٢
بطلان عقيدة النصارى فى المسيح من وجوه	١٨٩
الفصل الثانى - رفع المسيح وموقف الاسلام من دعوى صلبه	٢٠٣
المبحث الاول : انكار المسلمين صلب المسيح وأدلتهم	٢٠٣
المبحث الثانى : رفع المسيح عليه السلام حيا بروحه وجسده	٢١١

الموضوع	رقم الصفحة
الباب الرابع	
نزول المسيح في آخر الزمان	٢١٩-٣٣٣
وفيه فصول	
الفصل الاول - آراء اليهود والنصارى	٢٢٠
المبحث الاول - آراء اليهود في نزول المسيح	٢٢٠
المبحث الثاني - آراء النصارى في نزول المسيح	٢٢٩
الفصل الثاني : رأى بعض الفرق الضالة في نزول المسيح	
كالقاديانية ونحوها	٢٣٨
اولا - رأى القاديانية في نزول المسيح	٢٣٨
نبذة عن القاديانية	٢٣٨
رأى القاديانية في نزول عيسى المسيح	٢٤٢
ثانيا - رأى البهائية في نزول المسيح	٢٤٩
ما هي البهائية	٢٤٩
عقيدة البهائية في المسيح الموعود	٢٥٣
الفصل الثالث - عقيدة المسلمين في نزول المسيح وموضع نزوله	
والأدلة على ذلك	٢٥٨
الأدلة من الكتاب	٢٥٨
الأدلة من الاحاديث والاثار	٢٦٥
الاجماع	٢٨٥
موضع نزوله والحكمة من ذلك	٢٨٩
وفاة عيسى عليه السلام وقبره	٢٩٤
مدة اقامة عيسى عليه السلام بعد نزوله	٢٩٥
الفصل الرابع - شبه من انكر نزول المسيح ومناقشتها	٢٩٨
الشبهة الاولى قول المنكرين بوفاة المسيح	٢٩٩

الموضوع	رقم الصفحة
الجواب عن هذه الشبهة	٣٠٢
الشبهة الثانية قول بعض المنكرين ان الاحاديث مضطربة	
و متعارضة	٣٠٧
الجواب عن هذه الشبهة	٣٠٧
الشبهة الثالثة : قول بعض المنكرين ان احاديث النزول	
احاديث احاد فلا تفيد عقيدة	٣١١
الجواب عن هذه الشبهة	٣١٢
الشبهة الرابعة : قول شلتوت انه ليست في القرآن ولا في	
السنة ادلة يصلح الاعتماد عليها	٣١٧
الجواب عن هذه الشبهة	٣١٨
الشبهة الخامسة : قول بعض المنكرين ان نزول عيسى	
في آخر الزمان معارض لخاتم النبوة ومناقشتها	٣٢٠
الفصل الخامس- حكمه بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم	
والأدلة على ذلك	٣٢٢
كيف يعرف عيسى عليه السلام واحكام هذه الشريعة	٣٢٦
الطريق الاول	٣٢٦
الطريق الثاني	٣٣٠
الطريق الثالث	٣٣٠
الخاتمة	٣٣٢
المراجع	٣٣٤
الفهارس	٣٥١
جدول تصويب الأخطاء	٣٥٦

انتهى هذا الكتاب بعون الله تعالى .